شعر الشريف المرتضى

دراسة موضوعية فنية

بإشراف الأستاذ الدكتور:

عباس طالب زاده شوشتري

المشرف المساعد

الأستاذ الدكتور عباس عرب

أطروحةتقدم بها الطالب

ماجد عطية حميدي الغزي

إلى قسم اللغة العربية في كلية الآداب والعلوم الإنسانية

في جامعة الفردوسي مشهد

وهي جزء من متطلبات نيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها

١٤٤٠ هـ **٢٠١٩ م**

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً ﴿٣﴾﴾

صدق الله العظيم

سورة الطلاق: الآية (٢-٣)

الإهداء

إلى ....

روح الشريف المرتضى وهي ترقد هناك بسلام

الى ....

أمي وأبي حباً وطاعةً

الى ....

عائلتي الحبيبة، وأحبائي ...أخوتي ...أصدقائي

الى ...كل من أحب اللغة العربية

جهد متواضع بين أيديكم

الباحث

شكر وامتنان

الحمد لله ربِّ العالمين أولا وآخرا، وله المنّ والفضل على جميع نعمه كلها، والصلاة والسلام على حبيبه المصطفى محمد ﷺ وآله الطيبين الطاهرينعليهم السلام ومن اهتدى واقتدى بهم ٠

وبعد...

فإنّ الإنسانَ مدين لخالقه على كل نعمة له في هذا الوجود، ومن نعمه – تعالى– أن مدّ الإنسان بمن يعينه في هذه الدنيا، وهذا الجهد، الذي بين أيدينا، مدين بوجوده لتلك النعم الكبيرة، ومهما عدّ الباحث وعدّد فانه لايمكنه أن يحصيها "وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا "إبراهيم/٣٤.

من أوجبوا عليَّ شكرهم كُثر، سائلاً الله تعالى أن يجزيهم بالإحسان إحساناً وأن يمنَّ عليهم بكرمه ولطفه. وأولهم والدايَ، وعائلتي، وأصدقائي الذين حملوا همَّ هذا البحث كما حملته، ومنهم– وهم كُثر– رحيم الطائي وعزيز العبادي وسليم العائشي، ومحمود قصري وشكر خاص الى الدكتورة طاهرة عبد الخالق اللواتية من سلطنة عمان التي خصتني بنسخة من كتابها القيّم وأوصلته الى العراق، والدكتور سعيد الزبيدي وأخوتي في الجامعة وغيرهم الكثير ٠

والشكر الجزيل والثناء الجميل لرئيس قسم اللغة العربية و أساتذة وإداريي قسم اللغة العربية في كلية الآداب في جامعة الفردوسي، وفي مقدمتهم أستاذي الدكتور طالب زادة الذي لاتوفيه الكلمات حقه من الثناء والتقدير ٠

الباحث

استماره ملخصه للرساله باللغة العربية
مديريت الدراسات العليا

لقب الطالب: الغزي
الإسم: ماجد
الاستاذ المشرف الدكتور :عباس طالب زاده، شوشتري
الاستاذ المشاور: الدكتور: عباس عرب
كليه الآداب و العلوم الإنسانيه، قسم: اللغة العربية وآدابها
فرع: الأدب مقطع: الدكتوراه
تاريخ المناقشه: ٢٠١٩/٧/٢١
عدد الصفحات: ١٨٦
عنوان الرساله:شعر الشريف المرتضى دراسة موضوعية - فنية

الملخص:

تهدف هذه الرسالة الى تسليط الضوء على شخصية الشاعر الشريف المرتضى ودراسته شاعرا لا فقيها، ودراسة موضوعاته الشعرية دراسة موضوعية ثم دراسة فنية، وابراز أهم الجوانب الفنية والابداعية في شعره، وتحليلها وتشخيص مواطن القوة والضعف فيها٠

وقد كانت هذه الدراسة ضرورية من هذه الناحية لقلة الدراسات التي تناولت الشاعر وتطرقت الى اشعاره بالدراسة والتحليل ٠

وكان المنهج المتبع هو النقدي التحليلي والأسلوبي في بعض المواطن ٠

وتوصلنا الى مجموعة من النتائج أبرزها : ان الشاعر له ديوان كبير ولم يدرسه أحد من الذين كتبوا في الادب العباسي وهو عصر الشاعر، وكذلك هو شاعر مبدع لايقل شأنا عن أخيه الشريف الرضي، وله أسلوبه الخاص في قصائد المدح والرثاء والفخر وتفرّد في ذكر الشيب وطيف الخيال ووصف البرق وغير ذلك في مواطن البحث ، وكان يملك ملكة نقدية أدبية جعلته يرد آراء الآمدي في كتاب الموازنة ، ولكنها لم تنل حظها من الدراسة

الكلمات الدليلة: الشريف المرتضى، الصورة الفنية، طيف الخيال، المرتضى ناقدا

توقيع الاستاذ المشرف :

ثبت المحتويات

المقدمة.....١

التمهيد.....١٤

الباب الأول الدراسة الموضوعية ٢١

المبحث الأول: المديح.....٢٢

المبحث الثاني: الرثاء.....٣٧

المبحث الثالث:الغزل.....٤٥

المبحث الرابع: الفخر ٥٤

المبحث الخامس:الوصف.....٦٥

المبحث السادس:أغراض أخرى.....٧٦

الباب الثاني الدراسة الفنية.....٨٨

الفصل الأول قراءة في مكونات النص الشعري ٨٩

المبحث الأول: بناء النص الشعري (بناءالقصيدة): ٩٠

المطلع: ٩١

المقدمة:.....٩٥

التخلص:.....٩٨

خاتمة القصيدة:.....١٠١

المبحث الثاني: اللغة والأسلوب.....١٠٥

١-اللغة:.....١٠٥

٢-الأسلوب: ١٠٩

أسلوب الشرط:.....١١١

أسلوب القصر: ١١٧
أسلوب الاستفهام: ١٢٢
أسلوب الأمر والنهي: ١٢٤
أسلوب النداء: ١٢٧
الفصل الثاني الصورة الشعرية وأنماطها ١٢٩
مهاد نظري: ١٣٠
المبحث الأول: الصورة التشبيهية: ١٣٢
المبحث الثاني: الصورة الاستعارية: ١٣٧
الاستعارة التصريحية: ١٣٩
الاستعارة المكنية: ١٤٠
المبحث الثالث: الصورة الكنائية: ١٤٣
المبحث الرابع: الاقتباس : ١٤٥
الاقتباس من القران الكريم: ١٤٦
الفصل الثالث الموسيقى الشعرية ١٥١
المبحث الأول: الموسيقى الخارجية ١٥٢
ا- الأوزان: ١٥٢
ب- القوافي: ١٥٨
المبحث الثاني: الموسيقى الداخلية ١٦٣
الخاتمة: ١٨٥
المصادروالمراجع ١٨٨

المقـــدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي شَرَعَ الإسلامَ فسهّلَ شرائعَه، وأعزَّ أركانَه، وجعله نوراً لمن استضاء به، وبرهاناً لمن تكلم به، وشاهداً لمن خاصم به، ربي واجعل شرائف صلواتك، ونوامي بركاتك، على محمد عبدك ورسولك، الفاتح لما سبق، والخاتم لما انغلق، والمعلن الحق بالحق، وعلى أهل بيته الذين بهم يُستعطَى الهدى، ويُستجلَى العمى. اللهم اجعلنا ممن يهتدي بهديهم، ويعتصم بعصمتهم، واجعلهم حجة لنا، ولا تجعلهم حجةً علينا.

وبعد

هذه محاولة في قراءة سِفر الشريف المرتضى الشاعر، قراءة في الموضوع والفن، وهي دراسة في ديوانه الذي أبصر النور متأخرا في عام١٩٥٨م، والذي حققه الأديب رشيد الصفّار، وبقيت صفحاته بعيدة عن أيدي الباحثين إلا بعد سنوات، وكانت دراسات قليلة بعضها اقتصر على غرض من أغراض شعره وبعضها الآخر تناول جانبا فنيا في شعره٠

وقد أفاد الباحث من بعض هذه الدراسات التي أغنت البحث ومنها:(الشريف المرتضى وأدبه) للباحث محمد المطرودي وهي أطروحة دكتوراه ١٩٧٨م في القاهرة، و(الغزل في شعر الشريف المرتضى: دراسة موضوعية وفنية) للباحث منيب عبد الرزاق محمد وهي رسالة ماجستير ١٩٨٧في القاهرة، وكتاب (الصورة الفنية في شعر المرتضى: دراسة نقدية) للباحثة الدكتورة طاهرة اللواتية٢٠١٥ وهو في الأصل رسالة ماجستير، و(أسلوبية التركيب في شعر الشريف المرتضى) للدكتور سمير عوض الله رفاعي ٢٠١٠، و(الرؤيا الإبداعية في شعر الشريف المرتضى دراسة موضوعية فنية) للدكتور جاسم الخالدي ٢٠١٤م وكانت دراسة الدكتور أحمد محمد المعتوق(الشريف المرتضى: حياته، ثقافته، أدبه و نقده) من أهم الدراسات التي أغنت البحث والتي من خلالها توسعّت آفاق الكتابة في موضوع الدراسة٠

ومهّد الباحث لدراسته بقراءة في حياة الشاعر بشكل موجز، وابراز عقيدته والخلاف والجدل الحاصل فيها، والتطرق الى الجانب المهم في حياته الأدبية وهو الجانب النقدي ، وأهم آرائه في النصوص الأدبية٠

وتوزعت الدراسة على أربعة فصول في بابين، كان الباب الأول في الدراسة الموضوعية في شعره، إذ حاول الباحث قراءة الشاعر من خلال الأغراض الشعرية التي تناولها وجاءت في الديوان وعرضها وتحليلها بشكل سريع لضيق المقام ، وكانت على ستة مباحث: (المديح، الرثاء، الغزل، الفخر، الوصف، أغراض أخرى)، وهذه كانت ضمن الفصل الأول من هذا الباب.

أما الفصول الثلاثة الأخرى، فقد توزعت داخل الدراسة الفنية، في الباب الثاني، فكان الفصل الأول يتحدث في المبحث الأول عن بناء القصيدة عند الشريف المرتضى، وأهم أجزائها (المطلع، المقدمة، التخلص، الخاتمة)، وكان المبحث الثاني في اللغة والأسلوب عند الشاعر، بدأه الباحث بعرض مفهوم اللغة والأسلوب عند القدماء والمحدثين، أهميتهما في العمل الأدبي ، مشيراً الى أبرز مظاهر اللغة والأسلوب في شعره.

والفصل الثاني دار حول الصورة الشعرية، والحديث عن مفهومها عند النقاد القدامى والمحدثين، وتناول الباحث أنماطها البلاغية من حيث التشبيه والاستعارة والكناية والمجاز، وتوظيف التراث من خلال الاقتباس.

وكان آخرها وهو الفصل الثالث في الموسيقى الشعرية ودورها في شعر المرتضى، فكانت البداية بعرض ماهيّة الموسيقى وأهميتها وأنواعها، ثم الحديث عن الموسيقى الشعرية في شعره من خلال الموسيقى الخارجية (الأوزان والقوافي) والداخلية من خلال المحسنات البديعية اللفظية والمعنوية مثل الجناس والطباق وغيرها....

وهذا البحث يقدّر قيمة الدراسات التي سبقته – سواء أكانت أكاديمية أم دراسات نقدية جادة ضمنتها المصادر والمراجع والبحوث والدوريات... فلها الفضل في إنجاز هذا البحث.

وأعتمد الباحث المنهج النقدي التحليلي والموضوعي والأسلوبي في جزء من البحث.

وبعد... فإن الشكر عرفانٌ للفضل وحفظٌ للجميل، ولقد كان لجهد المشرف الدكتور طالب زاده، وتواضعه الكبير وزرعه الثقة في الباحث، وتقديره لشخصيته وقلمه، الأثر الأكبر في إنجازه، فله من الباحث كلُّ الشكر و العرفان و الاحترام، كما يتوجه الباحث بالشكر الجزيل والعرفان بالفضل للأساتذة رئيس وأعضاء لجنة المناقشة، لما تكبدوه من عناء القراءة والمناقشة والتقويم، ما سيضفي على البحث الكثير من النضج والسداد.

وختاماً فمهما بذلَ الباحثُ جهدَه في التحليل واستخلاص النتائج، فإنه إنسان، مملوء بالنقص والسهو، تمر به العثرات والهفوات، وان كان يسعى نحو الأفضل،فإن وُفق فلله الحمد والمنة، وإن أخفق فما أُبرئ نفسي، وآخر دعوانا أن الحمدُ لله ربِّ العالمين، وصلى الله على رسوله الأمين، وأهل بيته الطاهرين، وأصحابه المخلصين.

الباحث

التمهيد

الشريف المرتضى: سيرة حياته ومكانته:

هو أبو القاسم، عليّ بن الحسين بن موسى بن محمد بن ابراهيم بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام[١]

ألقابه : الشريف المرتضى، ونقيب العلوية والطالبيين وشيخ الشيعة وعلم الهدى وذو المجدين والأجل والطاهر [٢]، ولد في رجب سنة (٣٥٥هـ) في بغداد وتوفي في ربيع الأول سنة (٤٣٦هـ)[٣]

والده النقيب السيد الحسين الموسوي (٤٠٣هـ) أو (٤٠٠هـ)، كان جليل القدر والمنزلة في عصره ، أيام الدولة العباسية والبويهية ، وتقلّد فيها المناصب الرفيعة، فتولى نقابة العلويين، وإمارة الحج ، وولاية مظالم المسلمين، ولقّب بالطاهر ذي المناقب، " وقد خاطبه بهاء الدولة أبو نصر بن بويه بـ (الطاهر الأوحد) ، وولّى نقابة الطالبيين خمس دفعات ، ومات وهو متقلّدها" [٤]

---

(١) ينظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، لابن خلكان(ت ٦٨١هـ)، تحقيق : د.إحسان عباس، دار صادر بيروت– لبنان، ط١، ١٩٧٨، ٣١٣/٣ ، والوافي بالوفيات للصفدي (ت٧٦٤هـ)،تحقيق : أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١،٢٠٠٠م، ٦/٢١–٧، وسير أعلام النبلاء، للذهبي(٧٤٨هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٨٣،١٧/٥٨٨ وشذرات الذهب في أخبار من ذهب، للعماد الحنبلي(١٠٨٩)، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، بيروت، ط١، ١٩٨٩م، ١٦٨/٥، ومعجم الأدباء، لياقوت الحموي، تحقيق: د. إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٩٣، ١/ ١٧٢٨والكنى والألقاب، الشيخ عباس القمي، مكتبة الصدر، طهران، ب.ت، ٢/ ٤٨٠ ، الغدير في الكتاب والسنة والأدب،عبد الحسين الأميني، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط١، ١٩٩٤، ٣١٢/٤، مشاهير شعراء الشيعة، عبدالحسين الشبستري، مطبعة ستارة، قم، ط١، ١٤٢١هـ، ٣/ ١٦١.

(٢) شذرات الذهب،١٦٨/٥، وفيات الأعيان، ٣١٣/٣، الغدير،٣١٢/٤، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم،ابن الجوزي(٥٩٧هـ)، تحقيق : محمد عبدالقادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١٥،١٩٩٢/١،٢٩٤، ديوان الشريف المرتضى: تحقيق :رشيد الصفّار، دار البلاغة، بيروت، ط١، ١٩٩٨، ٤٩/١، أدب الطف، جواد شبّر، دار المرتضى، بيروت، ط١، ١٩٨٨، ٢/ ٢٦٦، العبر في خبر من غبر،الحافظ الذهبي،(٧٤٨هـ)،تحقيق: ابوهاجر محمد زغلول، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط١، ١٩٨٥،٢/ ٢٧٢.

(٣) الكنى والألقاب، ٤٨٣/٢، ديوان الشريف المرتضى، الصفار ٤٤/١، وفيات الأعيان،٣١٦/٣،شذرات الذهب،١٧١/٥.

(٤) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، تحقيق: محمد إبراهيم، دار الكتاب العربي، بغداد، ط١، ٢٠٠٧، ٢٠/١، ينظر:الشريف المرتضى: حياته، ثقافته، أدبه ونقده، د.أحمد محمد المعتوق ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر=

وأمّه هي فاطمة بنت " الحسن بن علي بن الحسن بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام ، الملقب بالناصر الكبير أو الأطروش" [1]، فهو بهذا النسب يلتقي بالإمام عليٍّ عليه السلام، من ناحية الأب والأم، وهو شقيق الشريف الرّضي الذي يصغره بأربع سنوات(٣٥٩هـ-٤٠٦هـ)، الشاعر الكبير الذي غطّت شهرته كشاعر على خلفياته الأدبية في التأليف في مجالات شتى، كما أنّ أخاه المرتضى عُرف فقيها عالما متكلما أكثر منه شاعراً٠

فالمرتضى منحدر من أسرة ذات شرف رفيع، ومكانة مرموقة في المجتمع ، ولها منزلتها الدينية والاجتماعية والثقافية، والتي ارتبط اسمها بالنسب الشريف لعليٍّ بن أبي طالب عليه السلام ، وكذلك برئاسة الطالبيين وتولي منصب نقابتهم، فكان لوالده ولأخيه الرضي ذلك الشرف ثم وصل إليه من بعدهم.

عاش المرتضى في زمن عُرف بتقلباته، وضعف الدولة العباسية وتسلط الدخلاء عليها من بني بويه والسلاجقة والأتراك وغيرهم، فعاش حياته كلها في زمن السلطة البويهية على العراق والتي امتدت من (٣٢٠هـ- ٤٤٧هـ)، سنة سيطرة السلاجقة بعدهم على العراق، فكان يتمتع بعلاقات جيدة بين الطرفين – العباسي والبويهي – ، فكان التلميذَ النجيبَ لأستاذه محمد بن محمد بن النعمان، ابن المعلم أو الشيخ المفيد(٤١٣هـ) وابن نباتة السعدي(٤٠٥هـ) وغيرهما٠

وكان يمتلك موهبة الشعر ويجيده كأخيه الشريف الرضي ، لكنه اشتهر فقيها متكلما، مع أنه شاعر مفلق كأخيه الرضي ولكنه لم ينل حظه من الشهرة في هذا المجال ٠

ذكر ابن الجوزي: " كان يقول الشعر الحسن وكان يميل إلى الاعتزال ويناظر عنده في كل المذاهب وكان يظهر مذهب الإمامية ويقول فيه العجب وله تصانيف على مذهب الشيعة فمنها كتابهم الذي ذكر فيه فقههم وما انفردوا به نقلت منه مسائل من خط أبي الوفاء بن عقيل" [2]

= بيروت، ط١، ٢٠٠٨، ٣٢، والدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة، السيد علي خان الشيرازي(١١٣٠هـ)، مؤسسة الوفاء، بيروت، ط٢، ١٩٨٣، ٤٥٨، والأعلام للزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٥، ٢٠٠٢، ٢/ ٢٦٠

(١) روضات الجنان، محمد باقر الخوانساري، المطبعة الحيدرية، طهران، ط١، ١٣٩٠هـ، ٢/٢٥٦، الدرجات الرفيعة،٤٥٨

(٢) المنتظم:١٥/٢٩٤

وقد ألمّت بعض المصادر بجوانب حياته وسيرته العلمية والأدبية، ولاسيّما في السنوات الأخيرة، فذكرت جملة من أساتذته الذين تتلمذ على أيديهم وكذلك أبرز تلامذته من بعد وأبرزهم الشيخ الطوسي، وذكرت مؤلفاته الكثيرةلذلك نقتصر على ماورد فيها[١] .

- عقيدة الشريف المرتضى

نُسبَ المرتضى إلى الاعتزال مع أنه كان رأسا في الامامية، وهنا يمكن أن يغنينا صاحب الذخيرة عن الكثير من التوضيح " هذا الشريف المرتضى إمام أئمة العراق، بين الاختلاف والاتفاق، إليه فزع علماؤها وعنه أخذ عظماؤها، صاحب مدارسها، وجماع شاردها وآنسها، ممن سارت أخباره، وعرفت به أشعاره، وحمدت في ذات الله مآثره وآثاره، إلى تواليفه في الدين، وتصانيفه في أحكام المسلمين، بما يشهد أنه فرع تلك الأصول ومن أهل ذلك البيت الجليل " [٢].

وأقدمُ من نسبه إليه ابن حزم (ت ٤٥٦ هـ) على ما نقله عنه ابن حجر (ت ٨٥٢ هـ) إذ قال: " وقال ابن حزم كان [المرتضى] من كبار المعتزلة الدعاة ، وكان إمامياً ..." [٣].

إنّ تبني المرتضى للمنهج العقلي في البحوث والمناقشات والأدلة والبراهين وفي طريقة تفسيره، واعتماده الرأي والعقل، كل ذلك ساعد على الصاق هذه الصفة- الاعتزال- بالمرتضى، على انه هو نفسه قد ألّف كتبا في الرد على المعتزلة ، وقد عارضهم في الكثير من آرائهم ولاسيّما في كتابه (الشافي في الإمامة)، " إن دعوى تأثر المرتضى ببعض عقائد المعتزلة، وميله إلى بعض آرائهم، دعوى مردودة لا أساس لها من الصحة...." [٤]، وهذا الرأي المتأخر يدعم ماذهب إليه الأميني في الغدير" وهناك فتاوى مجرّدة من قذف سيدنا المترجم بالاعتزال تارة وبالميل إليه تارة أخرى وبنسبة وضع كتاب " نهج البلاغة" إليه طورا من أبناء حزم وجوزيّ وخلكان وكثير والذهبي، ومن لفّ

---

(١) أفاض في ذلك المعتوق في كتابه القيّم:(الشريف المرتضى: حياته، ثقافته، أدبه ونقده) .

(٢) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة : ابن بسام الشنتريني: تحقيق : إحسان عباس، الدار العربية للكتاب –ليبيا– تونس، ط١،١٩٧٩، ٤٦٥/٨

(٣) ينظر : مقدمة الديوان: رشيد الصفار: ٧٠

(٤) الشريف المرتضى: المعتوق، ٥٤

لفّهم من المتأخرين" [١]، يقصد بذلك من المتأخرين(الدكتور عبد الرزاق محي الدين[٢] ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم[٣]،والزر كلي[٤]، وعمر فروخ[٥]، وجرجي زيدان [٦].

أما الشريف المرتضى نفسه فأنه يصرح بكل وضوح بأنه لم يكن معتزلياً . ويصرح الشريف المرتضى بعقيدته هذه بعبارات كثيرة وخير دليل على ذلك ردوده الكثيرة على القاضي عبد الجبار المعتزلي ومن ذلك " فأما قولهم ..." فجملة أمرهم أنهم لما غلوا في الإمامة وانتهوا بها إلى ماليس لها من القدر، ذهبوا في الخطأ كلّ مذهب الى قوله والأصل فيهم الإلحاد لكنهم تستروا بهذا المذهب" –هذا كلام القاضي– يرد المرتضى: فيقول:" فسباب وتشنيع على المذهب بما لايرتضيه أهله من قول الشّذاذ منهم، ومن أراد ان يقابل هذه الطريقة المذمومة بمثلها واستحسن ذلك فلينظر في كتب ابن الراوندي في فضائح المعتزلة، فانه يشرف منها على مايجد به على الخصوم فضلا كثيرا لو امسكوا معه عن تعيير خصومهم لكان أستر لهم، وأعود عليهم، وقلّ ما يسلك هذه الطريقة ذوو الفضل والتحصيل" [٧]

أما نعت المرتضى بأنه شيعي معتزلي في الوقت نفسه فلا يصح [٨]، يقول السيد محسن الأمين في هذا الشأن : " وكيف يكون الشيعي معتزلياً وردود الشيعة على المعتزلة في قديم الزمان وحديثه قد ملأت الخافقين ، ولكن جماعة خلطوا بين الشيعي

---

(١) الغدير:٤/٣١٢-٣١٣

(٢) ينظر : أدب المرتضى : ٣٤ .

(٣) ينظر: أمالي المرتضى :الشريف المرتضى: تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم،دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٨، ١ / ١٨. المقدمة

(٤) ينظر : الأعلام ، الزركلي: ٤ / ٢٧٨ .

(٥) ينظر : تاريخ الأدب العربي : ٣ / ١١٣ .

(٦) تاريخ آداب اللغة العربية: جرجي زيدان، دار الهلال، مصر، ب. ت، ٢/٢٩٠

(٧) الشافي في الإمامة: الشريف المرتضى: تحقيق: عبد الزهراء الحسيني الخطيب، مطبعة الصادق، طهران، ط٢، ٣٨/٢٠٠٦،١

(٨) ينظر: الخطاب النقدي عند الشريفين الرضي والمرتضى:سعد ناصر الحسني، رسالة ماجستير، بإشراف الدكتور:فاروق الحبوبي، جامعة واسط– كلية التربية، ٢٠٠٨، ٥

والمعتزلي لموافقة المعتزلة الشيعة في بعض المسائل المعروفة في العقائد حتى نسبوا الشريف المرتضى للاعتزال مع تصنيفه كتاب الشافي في الرد على المغني " [١].

يقول احد الباحثين:" ولم أجد من نسب الشريف المرتضى الى الاعتزال فقط دون التشيع الامامي الاثني عشري ....ورغم كل هذا الاتفاق في هذه المسائل- يقصد بين الشيعة والمعتزلة- الا ان الشريف المرتضى خصوصا، والشيعة الامامية الاثني عشرية عموما، قد خالفوا المعتزلة في مسائل عديدة، جعلتهم يتميزون عن المعتزلة، وبها كانوا فرقة خاصة متميزة عن المعتزلة....." [٢]

وهناك جانب آخر مهم جدا في شخصية الشريف المرتضى؛ وهو الجانب النقدي والكلامي، وقد أفرد الدكتور المعتوق في كتابه السالف الذكر فصلا كبيرا بعنوان (المرتضى الناقد)، وفيه عرض لأبرز آراء المرتضى النقدية وبخاصة ردوده على تعليقات الآمدي (٣٧٠هـ) صاحب كتاب الموازنة بين الطائيين، وكان المرتضى يعرض آراء الآمدي ويناقشها ويرد عليها ويدعم ذلك بأدلة نقدية وأحيانا ينقضها أو يدعمها ويزيد عليها تحليلا وتوضيحا٠

" ومجمل القول: إننا، في الواقع، مدينون بصورة خاصة للآمدي في جانب كبير من معرفتنا بالشريف المرتضى كناقد، وفي اطلاعنا على أهم آرائه النقدية،لأن المرتضى قد أدلى بمعظم آرائه في الشعر والنقد وقضاياه كما سبق القول، من خلال تعقيباته وتعليقاته على آراء الآمدي وتفسيراته وشروحه لأبيات كل من أبي تمام والبحتري، وبعبارة أخرى: كان الآمدي، بمواقفه وأحكامه المتطرفة وموازناته ووجهات نظره التي طرحها في كتابه الموازنة، حافزا رئيسا للمرتضى في مناقشته لعدد من القضايا النقدية" [٣]

وقد أوضح الكاتب أسس العملية النقدية عند المرتضى وكيفية تحقيق النصوص الأدبية وفحصها، وتفسيرها وتحليلها، وعرض آراء المرتضى في القضايا المهمة كلغة الشعر، وقضية اللفظ والمعنى، وغموض المعنى الشعري، وتعدد المعنى، وقضية السرقات الشعرية، وموقفه منها،إلى

---

(١) أعيان الشيعة السيد محسن الأمين، حققه: حسن الأمين،دار التعارف للمطبوعات، بيروت،لبنان،(د ت) : ٣ / ٥٣.

(٢) آراء الشريف المرتضى العقدية(عرض ونقد):محمد بن سعيدالغامدي،اشراف الدكتور:سعود العريفي، أطروحة دكتوراه، المملكة العربية السعودية، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، ١٤٣٤هـ، ٨٥-٨٦

(٣) الشريف المرتضى: المعتوق: ١٨٤

غير ذلك من القضايا النقدية الدقيقة، التي تجعل المرتضى في مصاف النقاد الكبار، بيد أنّ أغلب من كتبوا في النقد الأدبي لايذكرون المرتضى ولايتناولون آراءه النقدية[١]، وقد ردّ المعتوق على بعض آراء الدكتور عبد الرزاق محيي الدين صاحب كتاب (أدب المرتضى) والتي وجدها بعيدة عن الدقة في مواطن كثيرة، لاسيّما فيما يخص الجانب النقدي عند المرتضى واللغة التي يتناول بها أبحاثه ٠

يقول احد الباحثين:" والشريف المرتضى ناقد قوي العارضة لم يجد حرجا في توجيه سهام نقده إلى أشهر أعلام عصره في مجال النقد وهو أبو الحسن الآمدي، لقد اعترض الشريف المرتضى على بعض أراء الآمدي في شعر أبي تمام والبحتري، وآخذه عليها، بل انه قسا عليه قسوة يصعب تفسيرها أحيانا" [٢]

لاغرو أن الشاعر الناقد يختلف عن الناقد الناقد، " لقد جمع الشريف المرتضى الهاجس النقدي جنبا الى جنب الهاجس الإبداعي، فكان قارئا ناقدا لايقوم الفعل النقدي عنده إلا على معايير تتعاقد بينه بوصفه منشئا وبين نصه ومتلقيه " [٣]

وكانت وسيلته في الاحتجاج هي لغة العرب والاستدلال بأشعارهم على آرائه النقدية [٤]

---

(١) من أمثال:أحمد بدوي في كتابه: أسس النقد الأبي: دار نهضة مصر، ١٩٩٦

(٢) تأويل الشريف المرتضى للنص الشعري:محمد بن عبد الرحمن الهدلق، مجلة جذور، مج ١/عدد١٩٩٩،١، ٣٢٧

(٣) التفرد الإبداعي عند الشريف المرتضى منهجا ورؤية، قراءة في كتاب طيف الخيال: نادية هناوي سعدون، مجلة اضاءات نقدية،السنة ١٦، العدد ٢٠١٦،٢٢، ص ١٢

(٤) ينظر في ذلك كتابه : طيف الخيال

الباب الأول
الدراسة الموضوعية

المبحث الأول: المديح

اعتاد أغلب الشعراء في قصائد المديح، على أن يكون شخصا واحد أو أكثر هو الذي يثير فيهم عوامل رسم الصورة للممدوح،وحتى الذين أوقفوا مدحهم على شخص واحد، فقد قرنوا معه شخصا أو أشخاصا ربما أقل منزلة منه، وقد تكون المناسبات الاخوانية أو الضغوط السياسية وغيرها هي التي دعتهم إلى ذلك، كما هو الحال مع الفرزدق ودعبل ومهيار والكميت وغيرهم.

والمدح "هو فنّ الثناء والإكبار والاحترام قام بين فنون الأدب العربي مقام السجل الشعري لجوانب من حياتنا التاريخية، إذ رسم نواحي عديدة من أعمال الملوك، وسياسة الوزراء وشجاعة القواد، وثقافة العلماء، فأوضح بذلك بعض الخفايا وكشف عن بعض الزوايا" [١]

فأصبح "المديح تعداداً لجميل المزايا ووصف الشمائل الكريمة، وإظهارَ التقدير العظيم الذي يكنه الشاعر لمن توافرت فيهم هذه المزايا وعُرفوا بمثل هاتيك الشمائل"[٢]

والمرتضى في مدحه لم يكن متكسّبًا، وهذه سمةٌ يكاد يجمع عليها كلُ من درس حياتهوشعره، تمنعه من ذلك أرومتُه ونبلُ محتده ، وشرفُ أصلهِ، وسموُّ أسرته العلوية، وكبرياؤه، وغناه، وزعامته للطالبيين.

كل هذه الامتيازات وغيرها ، جعلت من الشريف المرتضى رجلا له مكانته الرفيعة في المجتمع، وتبعا لذلك نال القرب من البلاط العباسي ومن ثمَّ البويهي، الذي سيطر على الأمور في بغداد.

الأمر الذي جعله صاحب علاقات وصلات مع الخلفاء والقواد والوزراء والكتاب وغيرهم ممن لهم ذلك الشأن الرفيع في المسالك السياسية والاجتماعية، فلا غرابة أن يمدح تلك الشخصيات ويبث مشاعره، ويبين مدى العلاقة بيه وبينهم، محافظا على توازنه، واثقا من نفسه " فلم يُؤلِّه الممدوح، ولم يجعل نفسَه مطيّةً له، ولم يرضَ أن يرفعَه وينحطَّ أمامه، بل إننا نراه يمدحُه بما أراد من كلمات ، ويضفي عليه ماشاء من الصفات من غير أن يكون ذلك على حساب عزة نفسه،

---

(١) المد يح: سامي الدهان، دار المعارف–مصر، ط٥، ١٩٩٢، ٥

(٢) فن المديح وتطوره، احمد أبوحاقة، دار الشروق – بيروت، ط ١، ١٩٦٢م، ١٤.

وشرف أصله " [1]، وتبعا لهذه الوشائج نجد أن غرض المديح يأخذ حيزا كبيرا في ديوانه، كما نرى ذلك في الرثاء والغزل والفخر والحماسة ٠

إنَّ ممدوحي المرتضى هم النبيّ ﷺ وأهل بيته الطاهرين، وأسرة الشاعر ولاسيّما والده وأخوه الرضي، ومن ثم الخلفاء العباسيون وملوك البويهيين وبعض الوزراء والاصدقاء٠

ومن قصائده في مدح آل النبيّ عليهم السلام (من البسيط): [2]

لأَنـــتُمُ آلُ خيـــر النَّـــاسِ كلِّهِـــمُ ... المنهـــلُ العَـــذْبُ والمســـتوردُ الغَـــدَقُ

ولـــيس للّـــهِ ديـــنٌ غيـــر حـــبّكُمُ ... ولا إليـــه ســـواكمْ وحـــدَكمْ طُـــرُقُ

وَإِنْ يَكُـــن مـــن رســـول اللَّـــه غيـــركُمُ ... ســـوى الوجـــود فـــأنتمْ عنـــده الحـــدَقُ

رُزِقـــتُمُ الشّـــرفَ الأعلـــى وقـــومُكُمُ ... فـــيهمْ غضـــابٌ علـــيكمْ كيـــف مـــا رُزقـــوا

وأنـــتمُ فـــي شـــديداتِ الـــورى عُصُـــرٌ ... وفـــي ســـواد الـــدّياجي أنـــتمُ الفَلَـــقُ

مـــا للرّســـول ســـوى أولادكـــمْ وَلَـــدٌ ... ولا لنَشْـــرٍ لـــه إلّا بكـــمْ عَبَـــقُ

فَـــأَنتمُ فـــي قُلـــوب النَّـــاس كلّهـــمُ ... السَّـــمْتُ نقصـــده والحبـــلُ نَعْتَلِـــقُ

هل يَستوي عند ذي عينٍ رُبىً ورُبىً* ... أو الصّـــباح علـــى الأوتـــادِ والغَسَـــقُ

وُدّي عليـــه مقـــيمٌ لا بَـــراحَ لـــه ... مـــن الزَّمـــان ورَهْنـــي عنـــدكم عَلِـــقُ

وثقـــتُ مـــنكمُ بـــأن تســـتوهبوا زَلَلِـــي ... عنـــد الحســـاب وحســـبي مَـــنْ بـــه أثـــقُ

---

(١)الشريف المرتضى وأدبه: محمد إبراهيم عبد الرحمن المطرودي، جامعة الأزهر،كلية اللغة العربية، ١٩٧٩، ٢١٠

(٢)الديوان: ١/ ١٥٤-١٥٥

- ربما تكون (ربى) الأولى أو الثانية (زبى)، وهي الرابية العالية التي لايصلها الماء، أو حفرة الأسد في أعلى الرابية٠(هامش الديوان) ١٥٥

في هذه الأبيات خطاب مباشر، واضح الدلالة ، ليس فيه تعقيد ولا التواء، فهو يبرهن على أفضلية آل البيت ومكانتهم من الرسول ﷺ ، فهم الطريق الى الله تعالى، وليس هناك طريق آخر غيرهم ، وهم نسل الرسول وليس له نسل غيرهم، وهم مصابيح الدجى، ثم يعلن ثقته بهم يوم الحساب بأن يستوهبوا زلاته، وهو واثق من ذلك ٠

وله من قصيدة يذكرهم فيها(من الكامل): [1]

ومعاشـــرٍ لـــولاهُمُ مـــا بيننـــا ... مـــا كـــان تعظـــيمٌ ولا تبجيـــلُ

عـــنهمْ تُلُقِّيَـــتِ العظـــاتُ وَمـــنهمُ ... فُهِـــمَ الهُـــدى وَتُعُلِّـــمَ التأْويـــلُ

وبيـــوتُهمْ مَـــأْوَى الرَّشـــادِ وبيـــنهمْ ... سُـــطِرَ الكتـــابُ ونُـــزِّلَ التّنزيـــلُ

وتـــراهُمُ صـــبحاً وكـــلَّ عشـــيّةٍ ... يـــأْتيهمُ مِيكـــالُ أو جبريـــلُ

لـــو أنّهـــمْ لـــم ينهجـــوا سُـــبُلَ التُّقـــى ... مـــا بـــان تحـــريمٌ ولا تحليـــلُ

فهُـــمُ عـــن الأمـــرِ الـــدّنيِّ جوامـــدٌ ... وهُـــمُ إلـــى الأمـــر العلـــيِّ سُـــيولُ

بيـــتٌ أقـــام دِعامَـــه وقبابَـــه ... إمّـــا إمـــامٌ أو أخـــوه رســـولُ

بيـــتٌ يُنـــاجِي اللَّـــهَ حَـــلّالٌ بـــه ... وعلـــيهمُ الأمـــلاكُ فيـــه نُـــزولُ

ومســـاكنٌ مـــا غـــاب عـــن أفـــواههمْ ... فـــيهنّ تقـــديسٌ ولا تهليـــلُ

لهـــمُ مِنـــىً والموقفـــانِ وزَمْـــزَمٌ ... والبيـــتُ والتّطْـــوافُ والتجويـــلُ

هو سليل هذه الأرومة التي يُعَظَّم ويُجلُّ قدره من أجلها، فهم أهل التقى والعظات وفي بيوتهم نُزِّل التنزيل والذكر الحكيم، هم الذين نهجوا الحلال وبينوا الحرام، ثم يمضي في ذكر الصفات الحسنة التي يتمتع بها هؤلاء النفر الذين ينحدر من سلالتهم الكريمة٠

([1]) الديوان: ٢/٢٦٦-٢٦٧

وأيضا من قصيدة أخرى (من الخفيف) :[1]

يـــا بَنـــي الـــوحي والرّســـالةِ والـــتَّط ... هيـــر مـــن ربّهـــمْ لهـــمْ إكبـــارا

إنّكـم خيـرُ مـن تكـون لـه الخَضـ ... ـراءُ ســـــــقفاً والعاصـــــــفاتُ إزارا

وَخيـــار الأنـــيسِ لَـــولاكُمُ فيـــ ... ـــها تُحِلُّـــون مـــن يكونـــوا خِيـــارا

وَإذا مـــا شـــفعتُمُ مِـــن ذنـــوب الـــ ... ـخلـــق طُـــرّاً كانـــت هبـــاءً مُطـــارا

وَلَقـــد كُنـــتُمُ لِـــدين رَســـولِ الـــ ... ـــه فينـــا الأســـماعَ والأبصـــارا

وله (من البسيط): [2]

يـــا آلَ خيـــرِ عبـــادِ اللَّـــه كلّهـــمُ ... ومَـــن لهـــمْ فـــوق أعنـــاق الـــورى مِـــنَنُ

كـــم تُثْلَمـــون بأيـــدي النّـــاسِ كلّهِـــمُ ... وكـــم تُعَـــرِّسُ فـــيكمْ دهرَهـــا المِحَـــنُ

وكـــم يَـــذودُكُمُ عـــن حقّكـــمْ حَنَقـــاً ... مُمَـــلّأُ الصَّـــدْرِ بالأحقـــادِ مُضـــطغِنُ

إنّ الّـــذين نَضَـــوْا عـــنكمْ تُـــراثَكمُ ... لـــم يَغبنـــوكمْ ولكـــنْ ديـــنَهمْ غَبَنـــوا

بـــاعوا الجِنـــانَ بـــدارٍ لا بقـــاءَ لهـــا ... وَلـــيسَ للَّـــه فيمـــا باعـــه ثمـــنُ

أُحِـــبُّكمْ والّـــذي صـــلّى الجميـــعُ لـــه ... عنـــد البنـــاءِ الّـــذي تُهـــدى لـــه البُـــدُنُ

وَأَرتَجـــيكمْ لمـــا بعـــد الممـــاتِ إذا ... وارى عـــن النّـــاس جَمْعـــاً أعظـــمٌ جُـــبُنُ

وإنْ يَضِـــلَّ أُنـــاسٌ عـــن ســـبيلِهِمُ ... فلـــيس لِـــي غيـــرُ مـــا أنـــتمْ بـــه سَـــنَنُ

وَمـــا أُبـــالِي إذا مـــا كنـــتُمُ وَضَـــحاً ... لنـــاظِرَيَّ أضـــاء الخلـــقُ أم دَجَنـــوا؟

وَأَنـــتمُ يـــوم أرمِـــي ســـاعدي ويـــدي ... وأنـــتُمُ يَـــوم يرمينـــي العِـــدا الجُـــنَنُ

([1])الديوان: ١/ ٥٠٣

([2])الديوان: ٢/٥١٤- ٥١٥

ونأتي إلى مدائحه في خلفاء بني العباس وملوك بني بويه، فنراه قد مدح العباسيين في (٦)، للطائع(٣٩٣هـ) منها قصيدتان، وللقادر(٤٢٢هـ) واحدة، وللقائم بأمر الله(٤٦٧هـ) ثلاث قصائد، وقد توفي المرتضى في أيام خلافته، وفي آل بويه كانت قصائد المدح وصلت الى (٤٥) قصيدة، كانت في بهاء الدولة وجلال الدولة وسلطان الدولة، لكن الوزير فخر المُلك، كان له النصيب الأوفر من هذه المدائح ، فقد بلغت قصائد المرتضى فيه (٢٢) قصيدة، بينما بلغت (٢٣) قصيدة في ملوك البويهيين جميعا٠

ومن هذه القصائد نطالع ماقاله في بهاء الدولة، بعدما خَلع عليه لقب " الشريف الجليل المرتضى ذو المجدين"،(من الخفيف) [١]

لبهـــاءِ الملـــوكِ والـــدّين والـــدَّوْ ... لـــة شـــكرِي والفَـــرْطُ مـــن تمجيـــدِي

وَبِأيّامـــــه السَّـــــعيدةِ أعطيـــــ ... تُ لـــــواءَ التّعـــــديل والتّوحيـــــدِ

وبجَـــــدٍّ منـــــه أروح وأحـــــرا ... رُ المعـــانِي وإنْ غَمِضْـــنَ عبيـــدِي

كُنـــتُ قبـــلَ اِصـــطِناعهِ أَنظـــرُ الدّنـــ ... يـــا عُزوفـــاً وعِفَّـــةً مـــن بعيـــدِ

فَأَتـــــاني منـــــهُ كَـــــريمٌ تَـــــولّى ... مَـــدَّ ضَـــبْعِي حتّـــى أقـــامَ قعـــودِي

ودعـــانِي ولـــو ســـواه دعـــانِي ... مـــا رآنِـــي إلّا بعيـــدَ الهُجـــودِ

قـــد أتتنِـــي نُعمـــاك يـــا مالـــكَ النـــا ... سِ علـــى أَنّنِـــي بِمَرمـــى البعيـــدِ

غـــافلاً عـــن مواهـــبٍ منـــك وافيـــ ... ن فحلَّيْنَنِـــي وقلّـــدْنَ جِيـــدِي

جِـئْن عفـواً مـن غيـرِ كـدٍّ ومـا نَيْـ ... لُـــكَ فينـــا بالنّائـــلِ المكـــدودِ

لقـــبٌ كنـــتُ قبلـــه كاليمـــانيِّ ... قـــد أتـــى عاريـــاً بغيـــر بُـــرودِ

أَو كَـدَعوى صِـدْقٍ أضـرُّ بهـا عنـ ... دَ أَلَـــدٍّ أنْ لـــم تكـــنْ بشـــهودِ

---

(١)الديوان: ٤٠٤/١

وإذا كنــتُ مرتضــىً عنــد مَلْــكِ النّــا سِ طُــــرّاً فمـــن يكـــون نديـــدي

بعــد مــا كنــتُ ثاويــاً فــي أُنــاسٍ أرْتعـــي مـــنهمُ جَمـــيمَ الحقـــودِ

هذا التكريم من قبل الملك قد أخذ بيدي إلى المكان السامي وطوقني بجزيل نعماه، وقد كنت كالسيف من غير غمده قبل أن يصل اليّ هذا الكرم، ومادام الشاعر مرتضىً عند الملك فلا يهمه من يكون خصمه بعد ذلك.

وله يمدح جلال الدولة: (من الطويل)[1]

سَــلامٌ علـــى ملــكِ الملــوك يقــودُه ولـــيٌّ ينـــاجِي بالتّحايـــا فيُســـمِعُ

مقــيمٌ علـــى دار الحِفـــاظِ وطالمـــا تناســـى رجـــالٌ للحِفـــاظ فضـــيّعوا

وأنــتَ الّــذي فُــتّ الملــوكَ فكلّهــمْ خلالـــك ينحـــو أو طريقَـــك يتبـــعُ

فمــا لــك إلّا فــي السّــماء مُعــرَّسٌ ومــا لــك إلّا مَضــجَعَ الشّــمسِ مَضــجعُ

فَــإنْ يــكُ قــومٌ لــم يضــرّوا وينفعــوا فإنّـــك فينـــا قـــد تضـــرُّ وتنفـــعُ

وإنّــك مــن قــومٍ كــأنّ وجــوهَهمْ كواكــبُ فــي ليــل المعــارك تطلُــعُ

تُســاعِي لَهــمْ نَحــو العليّــاتِ أرجــلٌ وتبســطُ مــنهمْ فــي الملمّــاتِ أذرُعُ

ثم يقول:

قنعــتُ بخطّــي منــك ذخــراً أعــدُّهُ ولســتُ بشــيءٍ يُقنِــعُ النّــاسَ أقنــعُ

فمــا لِــيَ إلّا تحــتَ ظِلّــكَ موئــلٌ وَلا لِــيَ إلّا فــي ريــاضــك مَرْتَــعُ

وَلا كــانَ لِــي إلّا عليــك إقامــةٌ وَلا كــانَ لِــي إلّا برَبْعِــك مَرْبَــعُ

وَلا قــيّضَ اللّــهُ التفــرّقَ عــنكمُ ولا عَــنَّ نــأْيٌ بيننــا وتصــدُّعُ

([1])الديوان:٢/٤٦-٥٠

فلـــو أنّنـــي ودّعـــتكمْ يـــومَ فُرقـــةٍ لَمـــــا كـــــدتُ إلّا للحيـــــاةِ أودّعُ

وإمّـــا تكونـــوا لِـــي وفـــي طـــيّ قبضـــتِي فلســـتُ بشـــيءٍ غيـــركمْ أتطلّـــعُ

وإنْ كنـــتمُ لِـــي ناصـــرين علـــى العِـــدا فمـــا إنْ أُبـــالِي فرّقـــوا أو تجمّعـــوا

تتضح لك المبالغة في وصف الممدوح الذي طوّقه بكرمه، بعدما كان سيفا بلاغمد، ويكفيه أن هذا الملك راضٍ عنه، فلا يأبه لمن عاداه بعد ذلك، على أن هذا الملك مكانه في السماء، ومن قوم كأنّ وجوههم الكواكب التي تطلع في ليل المعارك... ويكرر المعنى ذاته في الأبيات الأخرى، فهو يتمنى أن يبقى بقربهم، ويعيش بربعهم، ويدعو بأن لايكون التفرق بينهم، ولو ودعهم يوما ما، فانه يودع حياته بفراقهم، ولايبالي بالأعداء تجمعوا أم تفرقوا عليه مادام في نعمة هذا الملك وقربه منه ٠

وله في سلطان الدولة: (من الرجز)[1]

أمّـــوا بهـــا مالـــكَ أمـــلاكِ الـــورى عمـــادَ هـــذا الـــدّين ســـلطانَ الـــدُّوَلْ

حيـــث تُـــرى الهـــامُ إليـــه ســـجّداً وأرضُـــه معمـــورةٌ مـــن القُبَـــلْ

والسُّـــؤْدُدُ الرَّغْـــدُ وأمـــوالُ الغنـــى تُهـــان فـــي عِراصِـــهِ وتُبتَـــذَلْ

وَمَنبـــتُ الجـــود الّـــذي نُـــوّارُه يُمطَـــرُ فـــي كـــلّ صـــباحٍ ويُطَـــلْ

الثّابـــتُ العـــزمِ إذا طـــيشٌ هفـــا والواجـــدُ الـــرّأي إذا الـــرّأي بَطَـــلْ

ذو فكـــرةٍ تُنيـــر كـــلَّ ظلمـــةٍ كأنّهـــا جَـــذوة نـــارٍ تشـــتعلْ

هذا الملك أيضا له من الصفات مايستحق المدح، فهو ثابت الرأي، والعزم، وأفكاره تنير الظلمة، ثم يتناول مجموعة من الصفات الفريدة في هذا الملك، منها: أنه يركب الصعاب من الأمور أو الجياد ويذللها، ويطيح بالأبطال ويزيحهم، وينزلهم، ويأخذ بقوة من حاد عند طريق الصواب، ثم إن هذا الملك من معاشر الملوك الذين خلقوا لهذه المناصب، يسوسون الدول٠

---

(1) الديوان: ٢/٣٨٦-٣٨٩

كـــم صـــعبةٍ ركبتَهـــا معضـــلةٍ تُطعمهـــا الريـــثَ إذا أكـــدَى العَجَـــلْ

وطـــامحٍ بغيـــر حـــقٍّ للعُـــلا زحزحتَـــه عـــن التّراقـــي فنـــزَلْ

وجـــامحٍ إلـــى الهـــوى ومائـــلٍ عـــن النُّهـــى رددتَـــهُ عـــن المَيَـــلْ

أيُّ فتـــىً مـــن قبـــل أنْ أرشـــدتَه قعقـــع أبـــوابَ المعـــالي فـــدخَلْ

وأيُّ خـــرقٍ عَبَـــقَ الجـــود بـــه لـــم يُســـألِ المعـــروفَ يومـــاً فبـــذَلْ

وَأَيُّ مـــاشٍ فـــي مـــزلّاتِ الـــرّدى جـــاز ولـــم يُخـــش عليـــه مِـــن زَلَـــلْ

مِـــن معشـــرٍ مـــا خُلقـــتْ إلّا لهـــمْ أَســـرَّةُ الملـــكِ وتيجـــانُ الـــدُّوَلْ

ومن مدائحه الكثيرة في الوزير فخر المُلك: (من أحذ الكامل) [1]

ملـــكٌ إذا بصـــرَ الرجـــال بـــهِ عَنَـــتِ الوجـــوهُ وقُبّـــلَ التّـــربُ

وَإذا اِحتبـــى فـــي رَجـــعِ مَظْلَمَـــةٍ فَوَقـــارُهُ لَـــم يُعطَـــه الهَضْـــبُ

مَـــن ذا الّـــذي نـــالَ الســـماءَ كَمـــا نالَـــت يَـــداكَ فَفاتـــهُ العُجْـــبُ؟

وَمـــن الّـــذي مـــا حـــلّ مَوضِـــعَه عُجـــمٌ بِـــذي الـــدُنيا ولا عُـــربُ؟

وَمـــن الّـــذي لَمّـــا عَـــلا قِمَـــمَ الـــ تَـــدبير دانَ الشّـــرقُ والغـــربُ؟

يـــا مَـــن تُعـــزّ بِهـــزِّ راحَتِـــهِ سُـــمْرُ الرّمـــاحِ وتَفخـــرُ الحـــربُ

هذا الملك له هيبة كبيرة في عيون الناس، وله وقار يمكنه من أخذ الحق للمظلوم، تطاول مجده حتى وصل أعنان السماء، فلا عربي ولا أعجمي يمكن ان يصل الى مكانته، وهو في الحرب ذاك الفارس الذي يضفي على الوغى أسس النصر، فتعز الرماح بأيدي الرجال وتتضاعف شجاعتهم بوجوده معهم.

---

(1)الديوان: ١/١٧٧-١٨٠

ومن قصيدة أخرى:(من الطويل) [1]

وُجـــدْتَ ولـــم تُسْـــأل بكـــلِّ نفيســـةٍ وَقَبلـــكَ قَـــومٌ لا يـــدرّون بالعَصْـــبِ

شَـــرِبنا أُجاجـــاً مِـــنْهُمُ وَتَنـــازحوا عَـنِ المَـوردِ المَـورودِ والمنهـلِ العـذبِ

وَمـــا نِلتَـــه إلّا بِحَـــقٍّ أتيتَـــهُ وكـم نيلَـتْ العظمـى مـن الأمـر بالغصـبِ

حَلفـت بِمـن ضـحّت مِنـى يـوم نحـرِهِمْ ومـا عقـروا مـن أُمِّ سَـقْبٍ ومـن سَـقْبِ

وبـــالنّفرِ الثّـــانين عُقْـــلَ رِكـــابِهِمْ علـــى عَرَفـــاتٍ يبتغـــون رضـــا الـــربِّ

لقـد نـال فخـرُ الملـك مـا شـاءَ مـن عُـلاً حَلَلْـنَ علـى أعلـى محـلٍّ مـن السُّـحْبِ

فتـــىً لـــم يـــزلْ يغـــدو بِعـــرْضٍ مُمَنَّـــعٍ ومـــالٍ مُـــذالٍ لا يفيـــق مـــن النّهْـــبِ

ولـــم يـــرضَ ســـهلَ الأمـــرِ يرطـــب مسُّـــه وَلَـــم تلْقَـــهُ إلّا علـــى مركـــبٍ صَـــعْبِ

وَرامَ مـــــداهُ المُترفـــــون وإنّمـــــا يَرومـــونَ مـــا رامَ الوِهـــادُ مـــن الهَضْـــبِ

كرمك لايضاهيه كرم، ومهما حاول الناس أن يصلوا منبع هذا الكرم فإنهم كما تكون الأودية من الهضاب المرتفعة فلا مجال لأن يبلغوا تلك الذرى، يؤكد هذا المعنى بقسمه الذي كرره في بيتين.

ومن قصيدة أخرى: (من البسيط) [2]

إنّـــي علقـــتُ بفخـــر الملـــكِ فـــي زمـــنٍ ما كان لِي منه في الأقوامِ مُعتَلِقُ

مـــردّدٌ كـــلَّ يـــومٍ فـــي مواهبِـــهِ متـــوَّجٌ منـــه بالنعمـــاءِ مُنْتَطِـــقُ

([1])الديوان:١/٢٣١-٢٣٣

([2])الديوان: ٢/١٥١-١٥٤

يــا صَــفْونا فــي زمــانٍ كلُّــهُ كَــدَرٌ وفجرَنـــا فـــي زمـــانٍ كلُّـــه غَسَـــقُ

وحامِــلَ العِــبْء كلّــتْ دونــه مُــنَنٌ وقائــدَ الجــيشِ ضــاقتْ **دونـــه الطُّـــرُقُ**

ورابـــطَ الجـــأْشِ والأبطـــالُ هائبـــةٌ والهـــامُ بـــين أنابيـــب القنـــا فَلِـــقُ

قــد كــان قبلــك قــومٌ لا جميــل لهــمْ كــأنّهمْ مــن خمــول الــذّكرِ مــا خُلِقــوا

وأيــن قبلــك يــا فخــرَ الملــوك فتــىً مُســتَجْمَعٌ فيــه هــذا الخَلْــقُ والخُلُــقُ

إنّ تعلقه بهذا الملك الذي جمع في كل صفاته الخَلقية والخُلقية، تلك المعاني النبيلة من كرم وشجاعة وسماحة، فهو النور بعدما كان الزمان كله ظلمة، وهو الصفو بعد كل الأكدار، ويذكر مجموعة من صفاته التي فاق بها الأنام...

ولاننسى أنه مدح والده بعشر قصائد، كانت لها خصوصيتها، وسيرد الحديث عنها في الدراسة الفنية، ومن تلك القصائد يمدح والده ويهنئه بشهر رمضان: (من المتقارب) [1]

فتـــــــــىً لا تعثّـــــــــر آراءَه بِطـــرقِ المَكـــارم صـــمّ الصَّـــفا

يَجـــودُ بِمـــا عَـــزَّ مِـــن مالِـــهِ فـــإنْ سِـــيلَ أَدنـــى عـــلاهُ أَبـــى

وَيَومـــاهُ فـــي الفَخـــرِ مُســـتَيقنان فَيـــومُ العَطـــاءِ ويـــومُ الـــوغى

يُفـــيض بِهـــذا جزيـــلَ الحِبـــاءِ وَيُقـــري بِهـــذا القَنـــا فـــي القَـــرا

تَعـــرّف فـــي الخلـــقِ بِالمَكرُمـــات فَأَغنَتـــهُ عَـــن رائِقـــاتِ الكُنـــى

وَأَخـــرَسَ بِالمجـــدِ قَـــولَ العُـــداة وَأَنطـــقَ خُـــرسَ اللَّهـــا باللُّهـــا

أَيـــا مَـــن كَبـــا فيـــهِ طِـــرفُ الحســـود فأمّـــا جـــوادُ مـــديحٍ فـــلا

تَمنّـــى أَعادِيـــكَ مـــا فـــارَقوه وَمِـــن دونِ مـــا أمَّلـــوه العُلـــى

([1])الديوان: ١/١٥٢-١٥٤

وَعِـــرضٌ يمـــزِّقُ مِـــرْطَ العُيـــوب وَيَهتِـــكُ عَنـــهُ بـــرودَ الخَنـــا

وَلَـــولا عُلـــوُّك عَـــن قَـــدرِهم لَحَكَّمـــتَ فـــيهِم طِـــوالَ القنـــا

وَأَلحَظْـــتَ أعيُـــنَهم غُـــرّةً تفـــارقُ مِنهـــا الجســـومُ الطُلـــى

يمدح والده بصفات معروفة، وقد كررها في أغلب مدائحه فيه، فهو الكريم وهو الشجاع، وصاحب الرأي الثاقب، ويوماه في معالي الفخر معلومان: يوم الكرم ويوم الحرب، فهو بمجده أخرس ألسنة الأعداء، وأنطق بكرمه الأخرس، ولولا علوه وتساميه عن الأعداء، لحكّم فيهم السيف، لكنه يتعالى ويتسامى عن هؤلاء...

ومن قصيدة أخرى :(من الطويل)[1]

وَلِـــي صـــاحِبٌ لا يَصـــحب الضّـــيمَ ربُّـــهُ لَـــهُ فـــي دِمـــاءِ الـــدّارعين قِـــرابُ

وَأَســـمرُ عَسّـــالُ الكعـــوبِ ســـنانُهُ رَســـولُ المَنايـــا فـــي يَديـــهِ كتـــابُ

إذا مـــا وَجـــا أو داجَ قَـــرْن مُصـــمّمٍ أعـــاد مشـــيبَ الوجـــهِ وهـــو شـــبابُ

ملانِـــيَ فخـــراً أنّـــكَ اليـــومَ والـــدي وأنَّـــكَ طَـــوْدي والأنـــام شِـــعابُ

أَلَســـتَ مـــنَ القـــومِ الـــذينَ إذا دنَـــوْا لِحَـــربٍ تَـــدانتْ أرْؤُسٌ ورقـــابُ

ســـيوفُهُمُ أَلحـــاظُهم وقنـــاتهُمْ ســـواعدُهمْ مهمـــا اِســـتَحرَّ ضِـــرابُ

في أغلب قصائد المدح التي خصّ بها أباه يبدأ بالحديث عن نفسه، ومن ثم يدخل في غرض المديح، فيقول له- هنا- أني فخور بنفسي لأنك والدي، وأنت الجبل في السمو والرفعة والناس أودية، فهو من القوم الذين تتدانى أمام سيوفهم الرؤوس، والرقاب، هؤلاء القوم عيونهم الحادة هي السيوف ، وسواعدهم القوية هي الرماح، في كل هول.

([1])الديوان: ١٩٧/١

ومن قصيدة أخرى: (من المتقارب) [1]

لَقــد أَلْصَــقَتْنِي بالحســين خلائــقٌ أَعَــدْنَ قــديمَ المجــدِ غضّــاً مجــدّدا

هــو المــرءُ إنْ قــلَّ التقــدّم مُقــدِمٌ وإنْ عــزّ زادٌ فــي العشــيرةِ زوّدا

أَبِــيٌّ علــى قــولِ العــواذلِ ســمعُهُ إذا أَعرضــوا دونَ الحفيظــة والنّــدا

وأَرْوَعَ مــن آل النبــيِّ إذا اِنتَمــى أصــابَ عليّــاً والــداً ومحمّــدا

كــرامٌ سَــعَوا للمجــد مــن كــلِّ وُجهــةٍ كمــا بســطوا فــي كــلّ مكْرُمــةٍ يــدا

وَمــا فــيهمُ إلّا فَتــىً مــا تلبّســتْ بِــهِ الحَــربُ إلّا كــانَ عَضْــباً مجــرّدا

وقــاؤُك مــن صَــرْفِ الــرّدى كــلُّ ناكــلٍ إذا صَــدمَتْهُ النّائبــاتُ تبلّــدا

جَــرِيءٌ إذا مــا الأمــنُ أخلــى جَنانَــهُ فــإنْ رابــه ريــبٌ تــولّى وعــرّدا

وأَنــتَ الّــذي لا يــثلمُ الرّعــبُ شــدَّه وقــد لفّــتِ الخيــلُ السّــوادَ المشــرّدا

وكنــتَ متــى لاذتْ بنصــرك بلــدةٌ ضــممتَ إليهــا قَطْــرَ أسْــحَمَ أربــدَا

تلك الصفات التي جعلته ملتصقا بأبيه، إنما هي خصال ورثها من آبائه سلالة النبي الأكرم محمد ﷺ فهو أبيٌّ، لايسمع الفاحش من القول، مقدام في الحرب ان لم يكن من يقدم من الفوارس، وهو الكريم في العشيرة، ولايخاف رعبا ولايثلم عزيمته شيءٌ، وكلما حويت بلدة بانتصارك ضممت إليها أخرى ، بتلك الهمة والعزيمة.

ومايمكن أن يُلحظ على قصائد المديح أنها ليست بنفَسٍ واحد، وحتى أنّ البنية تختلف تبعا للشخص الممدوح، من ذلك مانراه في مدائح والده، فهو يمدحه ويثني عليه بصفات يعتدّ بها هو نفسه، من نبلٍ وكرمٍ وشجاعةٍ ورأي حازمٍ، وامتدادٍ لأرومة وأسرة النبي ﷺ ، يصاحب ذلك صدق المشاعر والبعد عن التصنع، كون الممدوح يستحق ذلك، كونه الأب الذي يحمل تلك الصفات المعنوية وعلى هذا يكون مديحه خالصا، بعيدا عن الغلو والمبالغة والتصنع، فهذا المديح يمتاز

([1])الديوان: ١/٣٨٢-٣٨٤

بالصدق، وعدم التكلف لأنّ والده حقاً يمتاز بتلك الخصال، وانّإعجابه بتلك الخصال جعله يؤكد عليها في أغلب قصائده في والده٠

ومن قصيدة أخرى:(من أحذ الكامل) [١]

فـــي كـــلّ يـــومٍ صـــاحبٌ سَـــئِمٌ يُلقـــى علـــى ظهـــري فأحتمـــلُ

وإذا وصـــلتُ إلـــى الحســـين فـــدى وَصْـــلِي لـــه الخُـــلّانُ والخُلَـــلُ

ذاكَ الّـــذي جُمِـــعَ الـــولاءُ لـــه وتشـــايعتْ فـــي حبّـــه المِلَـــلُ

فـــي كـــلِّ عارفـــةٍ لـــه قَـــدَمٌ ولكـــلّ مَكرُمـــةٍ بـــه مَثَـــلُ

سَـــبْطُ الأنامـــلِ وَبْلُـــهُ دِيَـــمٌ للمعتفـــين ووِرْدُه عَلَـــلُ

والجـــودُ حيـــثُ الوعـــدُ مُفتَقَـــدٌ والقـــولُ معقـــودٌ بـــه العَمَـــلُ

وإذا أعـــار القـــولَ منطقُـــه خَفَـــتَ الكـــلامُ وأَمْسَـــكَ الزَّمِـــلُ

هـــذا وكـــم غمّـــاءَ خالطهـــا والظـــنُّ فيهـــا شـــاربٌ ثَمِـــلُ

أدّتْـــهُ وضّـــاحَ الجَبـــين كمـــا أدّتْ صـــقال الصّـــارمِ الخِلَـــلُ

وربما نلاحظ أن الكمّ العاطفي في هذه القصائد غائب نوعا ما، طغى عليه ذاك التوجه الحقيقي الحيّ في تجسيد الصورة المثلى للأب المثال، الذي كان المرتضى يتطلع إليه وينحو بمنحاه، " إن المرتضى نظر إلى أبيه نظرتين مختلفتين، نظر إليه على انه صاحب النسب الكريم وحامل الراية العلوية، ومن ثم نظر إليه على انه رجل دين وسياسة فرض وجوده على ولاة أمور عصره، حتى خشي منه الملوك، وحاولوا أن يحجموا دوره" [٢]

---

(١)الديوان:٢/٢٣٩-٢٤٢

(٢)الرؤيا الإبداعية لدى الشريف المرتضى : د.جاسم حسين الخالدي، دراسة موضوعية فنية، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط١، ٢٠١٤، ٧٧

المرتضى مدح أباه بما فيه حقا، ولم يتصنّع في ذلك المديح، ولم يضفِ شيئا عليه من المناقب لم تك حاضرة فيه، فكان الصدقُ طريقَه في كل ذلك، على حين انه لم يكن بتلك الصورة بكل حيثياتها مع غيره من الخلفاء العباسيين وملوك البويهيين، ومن وزَر لهم، مستثنين منهم الوزير فخر المُلك، الذي كانت تربطه به علاقة قوية، حتى انه عزم على ترك الشعر بعد مقتله(٤٠٧هـ)[١]، وقد تراءى ذلك الصدق في مدائحه مع بعض أهله وأصدقائه، ممن كان يكن لهم حبا كبيرا ولاسيّما أخوه الرضي٠

فنراه مع بني العباس الذين يشاطرونه القرب من النبي ﷺ ، يؤكد هذه العلاقة بشكل واضح لأنها تثلج صدورهم، وتقربهم الى العامة، وهو مديح متكلف فرضته عليه تلك العلائق مع الخلفاء، ومكانته السياسية والدينية والاجتماعية، حتى انه ندم وصرّح بذلك : (من الطويل) [٢]

مـــدحتُكمُ علمـــاً بـــأنّ مـــدائحي تضـــيع وتُـــذْرى فـــي الرّيـــاحِ العواصـــفِ

فلـــم أكُ إلّا موقـــداً فـــي ظهيـــرةٍ بـــلا صَـــرَدٍ أو هاتفـــاً فـــي تنـــائفِ[٣]

فهو كمن يوقد النار في ظهيرة حارة لابرد فيها، أو كمن يصيح في الفلاة الخالية، ويبلغ الندم عنده مرحلة كبيرة عندما يندم على تلك القصائد التي أرسلها إليهم وقد تعب فيها وهو يلين ماكان صعبا منها ، حتى انه عندما أهداها إليهم كأنما يهدي العفيفات إلى بيت العهر والفجور!

فيـــا ضـــيعةً للطّالعـــاتِ إلـــيكُمُ طلـــوعَ المطايـــا مـــن خـــلالِ النّفـــانِفِ

أبيـــتُ أَروضُ الصَّـــعْبَ منهـــا وإنّهـــا تحـــيصُ شِـــمَاسَ المائِـــلِ المتجـــانِفِ

وأُكرِههـــا سَـــوْقاً إلـــيكمْ ولـــم تـــزلْ تحايَـــدُ عـــنكمْ بـــالطُّلى والسّـــوالِفِ

كـــأنِّيَ أهـــديهِنَّ نحـــو بيـــوتكمْ أقـــود إلـــى العهّـــارِ بعـــضَ العَفـــائِفِ

---

(١)الديوان: ٣٨٦/٢

(٢)الديوان: ١٤٢/٢-١٤٣

(٣) المديح:سامي الدهان، دار المعارف-مصر، ط٥، ١٩٩٢، ٥

(٤) جمعها تنائف، الفلاة لاماء فيها ولا أنيس: المعجم الوسيط:٨٩/١

وهو مع بني بويه يؤكد على الصفات المعنوية التي يتمتعون بها، ومعلوم أنهم أدباء ومحبون للشعر ويقربون الشعراء إليهم كثيرا، وكثرت في مدائحه لهم معاني الفتوة والكرم والشجاعة والرأي الحصيف، وقربه منهم وإكرامهم له ورفعه الى مكانته التي يستحقها، ولاتخلو أكثر هذه القصائد من المبالغات، إلاّ مع فخر الملك الذي كانت تربطه به علاقة وطيدة، امتدت حتى بعد مقتله ورثاه بأكثر من قصيدة، فكان يوصي بني بويه أن لايفرطوا به، وعليهم التمسك به:(١)

أآلَ بُوَيْـــــهٍ اِحفظـــــوه لدولـــــةٍ لـــــه وعليـــــه صـــــعبُها وذَلولُهـــــا

نماهـــا فمـــا تـــدعو ســـواه أبـــاً لهـــا ومِـــن جَحْـــرِه دبّـــتْ إلينـــا شُـــبولُها

وغير هؤلاء ممن مدحهم المرتضى كثير، منهم الوزراء والكتاب ممن يرتبطون بالخلفاء والملوك والحكام وبعض الأصدقاء، وكانت في أغلبها اخوانية تؤكد وشائج الحب والمودة وهي في أغلبها صادقة المشاعر، لأنه كان على علاقة إنسانية وروحية مع جلّهم.

إنّ الذي يغلب على قصائد المديح، التصريع في معظمها، وكان يبتدئ الغالبية منها بالغزل أو النسيب أو ذكر الأماكن والديار ومن ثم يدخل في الغرض، وأحيانا يعرج على ذكر المشيب أو طيف الخيال قبل الولوج في المديح، وقلّأن يحيد عن هذا النهج في غرض المديح.

ومما تقدم في قصائد المديح نجد أنها بعيدة عن الغلو والمبالغة التي لاتتفق مع تعاليم الدين الإسلامي الحنيف، والتي انتشرت في عصر الشاعر بشكل واضح، تمنعه من ذلك منزلته الدينية ومكانته كنقيب للطالبيين، وكشخصية سياسية واجتماعية مرموقة، لايليق بها أن تتصاغر أمام الممدوح، والسمة الواضحة كذلك في المديح هي الفخر بالذات كثيرا، بحيث لاتخلو قصيدة من ذلك الاعتداد بالنفس، كما نجد ذلك عند أخيه الشريف المرتضى بشكل أكبر.

وهناك سمة أخرى تغلب على مدحياته، ألا وهي التقديم في أغلبها بالغزل أو الطلل وذكر الرحلة ومشقتها، والتعريج على الشيب إلى أن يصل إلى الغرض الرئيس، وهو يدمج هذه الموضوعات فيما بينها ليصل إلى ممدوحه، وفي كل واحد منها يبث مشاعره حتى يمهد الطريق لنفسه ويطلق لها العنان لتعبر بما يريد من ألفاظ تناسب ممدوحه.

---

(١) الديوان: ٢/٢٧٠-٢٧١

المبحث الثاني: الرثاء

الموت حقيقة لابد من الخوض فيها، والحيُّ يقضُّه هاجسُ الموتِ ، وهو يرى من يحب يخطفه هذا القادم، فتشدو الحناجرُ نفثاتِ القلوب بصدقٍ، وهي ترى تلك الحقيقة التي تقضّ المضاجع – الموت– قد خطفت منها من تحب٠

أصبح الرثاء غرضا شعرياً مهما، وبحسب تقسيم شوقي ضيف، فانّ العربَ تناولته من ثلاثة اتجاهات [١] :

١– الندب: بكاء الأهل والأقارب حين يعصف بهم الموت، فيكون فيه التفجّع والدموع الغزيرة، وهو لايندب نفسه فقط أو جزء من كيانه كالأب أو الأخ .... فقد يندب من ينزلهم منزلة النفس والأهل ممن يحب، ومراثي الشيعة خير مثال على ذلك ٠

٢– التأبين: ليس نواحا ولانشيجا، بل هو أقرب إلى ذكر مناقب المتوفّى من الحزن العميق، فتكون فيه العاطفة تتأرجح بين الفتور والمجاملة، ويكون في رجالات المجتمع والسياسة غالبا٠

٣– العزاء: مرتبة عقلية فوق مرتبة التأبين، قد يفضي بالشاعر إلى معانٍ فلسفية، فتخف شدة الصدمة ليعود الشاعر يفكر في الكون وخالقه تعالى٠

ومن الأدباء من عد الرثاء ضربا من المديح والفرق بينهما قليل " وليس بين الرثاء والمدح فرقٌ؛ إلا انه يخلط بالرثاء شيءٌ يدل على أن المقصود به ميت مثل " كان" أو "عدمنا به كيت وكيت" ، ومايشاكل هذا ليعلم انه ميت، وسبيل الرثاء ظاهر التفجع، بيّن الحسرة، مخلوطا بالتلهف والأسف والاستعظام، إن كان الميت ملكا أو رئيسا كبيرا" [٢]

---

(١) ينظر:الرثاء:د. شوقي ضيف،دار المعارف، مصر،ط ٤، ١٩٥٥، ٥

(٢) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: ابن رشيق القيرواني(ت:٤٥٦هـ)،تحقيق:محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط٥، ١٩٨١م ،١٤٧/٢

وهذا الغرض بعيد عن الترغيب والترهيب في الأعم الأغلب " وغالبا ما يأتي شعر الرثاء مجردا عن الرغبة والرهبة، لذلك كان أصدق الأغراض الشعرية وأكثرها تعبيرا عن العواطف الصادقة وأقواها تأثيرا في نفوس السامعين" [1]

إنَّ غرض الرثاء يأخذ في شعر المرتضى حجماً كبيراً في ديوانه، يوازي ما للمدح من مساحة واسعة ، وهو يكرّسه – كما فعل في المديح– في أهل البيت عليهم السلام، مبرزاً بشكل كبير واقعة الطّف في كربلاء، وماجرى فيها من الأحداث، متفجِّعا ومتوجّعا لتلك المصائب متمنيا لو كان حاضراً فيها ليذود عن آل الرسالة بسيفه ورمحه، وهو مازال يتحرق ألما لذلك اليوم العصيب، فتراه يندبهم ويبكي لما حلّ بهم، بعاطفة صادقةٍ، فينزلهم منزلة نفسه وأهله، بل يفتديهم بنفسه وأهله٠

فهو في قصيدته : (من الطويل) [2]

أأُسقى نميرَ الماءِ ثمَّ يَلَذُّ لي ... ودورُكُمُ آلَ الرّسولِ خَلاءُ

وَأَنتم كَما شاءَ الشَّتاتُ وَلَستُمُ ... كَما شِئْتُمُ في عيشَةٍ وَأَشاءُ

تُذاودن عَن ماءِ الفُراتِ وكارعٌ ... بِهِ إِبِلٌ لِلغادرين وشاءُ

تَنَشّر مِنكم في القواءِ معاشرٌ ... كَأَنّهُمُ لِلمُبصرينَ مُلاءُ

أَلا إِنَّ يَومَ الطفّ أَدمى مَحاجراً ... وأَدوى قُلوباً ما لَهُنَّ دواءُ

وَإِنّ مُصيباتِ الزمانِ كَثيرةٌ ... وَرُبّ مُصابٍ لَيسَ فيهِ عَزاءُ

ترى هذه المشاهد لاتفارق مخيلته، فهي تمنع عليه النوم وتحرمه لذته، وللفراتِ أهميةٌ كبيرة في رثائه للإمام الحسين وأهل بيته عليهم السلام وقد منعوا منه، بينما تشرب منه الكلاب والخنازير، ويوم الطفّ قد أدمى العيون، وأصاب القلوب بداء لادواء له ٠

---

(1) شعر الرثاء العربي واستنهاض العزائم: عبد الرشيد عبدالعزيز سالم، الكويت، ط١، ١٩٨٢، ٧

(2) الديوان: ١٥٩/١

ثم يقول من القصيدة نفسها وهو يصور ماجرى في ذلك اليوم العصيب ، وهو يخاطب اللائم الذي يلومه على لوعته وحزنه، إذ كيف ينسى وآل محمد قد شُرِّدوا بلا مأوى، حتى كأنهم من غير النبي ﷺ :

فَيــا لائِمــاً فــي دَمعَتــي أَو مفنّــداً عَلــى لَــوعَتي وَاللــومُ منــهُ عَنــاءُ

فَمــا لَــكَ مِنّــي اليــومَ إلّا تَلهُّــفٌ وَمــا لــكَ إلّا زَفــرةٌ وبكــاءُ

وَهَــل لــيَ سُــلوانٌ وآلُ محمّــدٍ شَــريدُهُمُ مــا حــان منــه ثــواءُ؟

تُصَــدُّ عــنِ الرّوحــاتِ أَيــدي مَطِــيِّهِمْ وَيُــزوى عَطــاءٌ دَونَهــم وحِبــاءُ

كــأنّهُمُ نســلٌ لغيــر محمّــدٍ وَمِــن شــعبهِ أَو حزبــهِ بُعــداءُ

ويذكر ذلك اليوم في قصيدة أخرى:(من مجزوء الرمل)[1]

إنَّ يــومَ الطــفِّ يــومٌ كــانَ لِلــدّينِ عَصــيبا

لَــم يَــدعْ فــي القَلــب منّــي لِلمَســرّاتِ نَصــيبا

إنّــه يَــومُ نحيــبٍ فَــالتَزِمْ فيــهِ النّحيبــا

وكما كان الحال عنده في المديح، كذاك الأمر في الرثاء، إذ يتمنى أن يكون معهم فينصرهم بسيفه، لكنه نصرهم بفيض الدمع الذي سابق الخيل، ولسانه الناطق الحاد على الأعداء لكنه مع هذا يفضل الموت على أن يسمع ماحلّ بهم [2]

وفي قصيدة أخرى، يبدأ بمقدمة النسيب لكنه نسيب يخاطب فيه نفسه الوالهة، يشير فيها الى منعهم من الماء، والى النكث بالعهود من قبل القبائل التي دعتهم الى كربلاء وكيف باعوا الدين ، وما هذه المحن إلا لقربه وصلته بالنبيّ الأكرم ﷺ وهو متحسّر دائما لأنّ سيفه لم يطل تلك الهامات في الطف فيشفي غليله منهم، حتى يلاقي ربه بوجه أبيض يوم تسوّد الوجوه:

([1])الديوان: ٢١٤/١

([2])الديوان: ٢٩١/١ ، ٥٠٤

(من البسيط)[1]

هَـــل أَنـــتَ لصـــبّ القلـــبِ معمـــودِ دَوِي الفـــؤادِ بغيـــر الخُـــرَّدِ الخُـــودِ

مـــا شـــفّه هجـــرُ أحبـــابٍ وَإِنْ هَجَـــروا مـــن غيـــر جُـــرمٍ ولا خُلـــفِ المواعيـــدِ

وفـــي الجفـــونِ قـــذاةٌ غيـــرُ زائلـــةٍ وفـــي الضّـــلوع غـــرامٌ غيـــرُ مفقـــودِ

يـــا عـــاذلِي لـــيس وجـــدٌ بـــتُّ أكتُمـــه بـــين الحَشـــى وَجـــدَ تعنيـــفٍ وتفنيـــدِ

شِـــربِي دمـــوعِي علـــى الخـــدّين ســـائلةً إن كـــانَ شـــربك مِـــن مـــاء العناقيـــدِ

ومنها :

يـــا آلَ أحمـــدَ كـــمْ تُلـــوى حقـــوقُكمُ لَـــيَّ الغرائـــبِ عـــن نبـــتِ القراديـــد*ِ

وكـــم أراكـــمْ بـــأجواز الفـــلا جُـــزُراً مبـــــدّدين ولكـــــنْ أيَّ تبديـــــدٍ

لَـــو كـــانَ يُنصـــفكم مَـــن لـــيسَ ينصـــفكمْ ألقـــى إلـــيكمْ مطيعـــاً بالمقاليـــدِ

حُســـدتمُ الفضـــلَ لـــم يُحـــرزه غيـــركُمُ والنـــاس مـــا بـــين محـــرومٍ ومحســـودِ

جـــاؤوا إلـــيكمْ وقـــد أعطـــوا عهـــودهمُ فـــي فيلـــقٍ كَزُهـــاءِ الليـــلِ ممـــدودِ

والشاعر في رثائه وبكائه على أهل البيت عليهم السلام يحاول أن يعزّز الغرض بما يلائمه من الحوادث والأحاديث وذكر المناقب، من أجل تشخيص الفاجعة وإحكامها في القلب، وهو ماكان يفعله أيضا في مدحهم وذكر مآثرهم، ولم يكن بمنأى عن الإفصاح عن مشاعره جراء ماحصل، وشدة أسفه إذ لم يكُ حاضرا، كما هو حاله اليوم مع لسانه المدافع عنهم : [2]

وأرتضِـــي أنّنِـــي قـــدْ مـــتُّ قـــبلكُمُ فـــي موقـــفٍ بالرُّدينيّـــاتِ مشـــهودِ

---

(1) الديوان:١/٤٣٦

(2) الديوان: ١/٤٣٩

* القراديد: جمع قرديد، وهو المكان الغليظ المرتفع من الأرض

ويبقى الشاعر في كل قصائد الرثاء، يشكو ماحلّ بآل البيت عليهم السلام، مصوِّراً المشاهد في كربلاء ، وانّ الأمة لم تحفظ النبيّ صلى الله عليه وآله في آل بيته وقد وصّاهم بهم، وظلم الزهراءعليها السلام، وفي كل ذلك يبثّ شوقه وتحرقه لأخذ ثأرهم، وان هذا اليوم قد كُسرت فيه للدين شوكة لاتجبر، ويقصد آل البيت، ويؤكد في أغلب القصائد أن الثأر سيأخذه المهدي عليه السلام في آخر الزمان [١](من الرجز) [٢]

حَتّـــى مَتـــى أُلْـــوى بموعـــودكمْ أُمطَـــلُ مـــن عـــامٍ إلـــى شـــهرِ

لـــولا هَنـــاتٌ هـــنّ يلـــوينِي لبُحـــتُ بـــالمكتومِ مـــن ســـرّي

وَلَـــم أَكُـــن أَقنـــع فـــي نَصـــركمْ بـــنَظْمِ أبيـــاتٍ مـــن الشّـــعرِ

في رثائه أهل البيت تراه يندبهم ندباً، وكذلك في رثاء أسرته ومحبيه من أهله والمقربين منه، أما في غيرهم فتراه يؤبّن ويعزي الفقيد وذويه، ومن خلال الاطلاع على غرض الرثاء نجد أن رثاء الإمام الحسينعليه السلام يشكل ٢٥% من قصائد الرثاء عامة، كما أنّ الرثاء جاء في أغلبه ذكرا لفضائل الإمام الحسين عليه السلامأهل بيته وأصحابه، كما كان كذلك مع النبي صلى الله عليه وآله سابقا٠

" لقد دافع المرتضى في هذه القصائد التي كانت تنظم عادة في يوم عاشوراء عن مباديء الفكر الشيعي والتزم بالشيعة والتشيع التزاما حقيقيا" [٣]

ومن أبرز قصائده في أهله قصيدته في رثاء شقيقه الشريف المرتضى، الذي توفي سنة(٤٠٦هـ) وبقي المرتضى بعده ثلاثين سنة، فكانت حرارة العاطفة لاحدود لها في أبيات القصيدة، حيث كان وقع خبر وفاة شقيقه مؤلماً، جرّ عليه الأسى، فتراه يرثيه بعاطفة خالصة، تفيض حزنا وأسى: (من الكامل) [٤]

قُـــدْني إِليـــكَ فقـــد أمِنـــتَ شماســـي وكُفيـــتَ منّـــي اليـــومَ صـــدقَ مِراســـي

---

(١) ينظر الديوان: ٤٧٥/١، ٥٤١

(٢) الديوان: ٥٤١/١

(٣) بنية مراثي الإمام الحسين(ع) ومضامينها في ديوان الشريف المرتضى، د. محمد إسماعيل زاده، مجلة آفاق الحضارة الإسلامية العالمية، العدد ٢٣، السنة ١٢، ٢٠٠٩، طهران

(٤)الديوان: ٥٧٧/١

ولقيتنِـــــي مُتخشِّـــــعاً لا يُرتَجـــــى نَفعـــي ولا يُخشـــى العشـــيّةَ باســـي

أســـرِي بـــلا هـــادٍ بكـــلّ مضـــلّةٍ وأجـــوبُ مُظلمـــةً بـــلا مقبـــاسِ

بعد هذه المقدمة التي تتضح فيها فجيعته برزئه أخاه، فلا نفع فيه يرتجى بعد هذا اليوم، بعد أصبح اليوم سهل الانقياد بعدما كان جامحا، صعب المراس، يمضي في تعداد مناقب أخيه وسجاياه: [1]

مَـــن قـــاد شـــوسَ الفخـــر بعـــد تقـــاعسٍ وَاِســـتاقَ شـــمّ الـــذكر بعـــد شِـــماسِ

مَـــن كـــانَ مَرْجـــوّاً لِكـــلِّ حفيظـــةٍ تُـــدعى وَمَـــدعوّاً ليـــومِ عَمـــاسِ

مَـــن كـــانَ يـــأبى فضـــلُه العـــالي الـــذُّرا مِـــن أنْ يُقـــاسَ إلـــى الـــورى بقيـــاسِ

مَـــن كـــان طَلْـــقَ الوجـــهِ يـــومَ طلاقـــةٍ ومعبّســـاً شَرَســـاً علـــى الأشـــراسِ

ذاكَ الّـــذي جَمـــع الفخـــارَ فخـــارُهُ سَـــبْقاً إليـــه مـــن جميـــع النّـــاسِ

إنّ الفضـــائلَ بعـــد فقـــدِ محمّـــدٍ دَرَسَـــتْ معالمُهـــا مـــع الأدراسِ

إنّ الشاعر في رثائه للشخصيات الأخرى، من ملوك ووزراء وشخصيات أدبية وغيرها، كان يؤكد على علاقته بالمرثي، ويبين مدى حزنه على فراقه عليه، ومن ثم يبين مآثره ومناقبه ومافيه من خصال طيبة، ويؤكد على أحقية الموت وأنه لامفرّ منه ولابد من التسليم إليه، ولاتغيب عنه الدعوة إلى الصبر والتسلية، والاعتبار بالموت، وترك الحرص على الدنيا، والشكوى من الدهر الذي يحلو له أن ينزل المصائب والرزايا بالإنسان [2].

ومن قصائده في فخر الملك الذي هزَّه خبر مقتله، فرثاه بأكثر من قصيدة، منها:(الوافر)[3]

([1])الديوان: ١/٥٧٩

([2]) ينظر: بنية القصيدة الرثائية في ديوان الشريف المرتضى، سميه حسنعليان، مجلة اللغة العربية وآدبها،جامعة الكوفة، كلية الاداب،مج١، عدد٢٧، ٢٠١٨، ٣٢٠-٣٢٦

([3]) الديوان: ٢/ ٧-٨

فُجِعــتُ بُمشــبعِ السَّــغَباتِ جــوداً ونــــاقعِ غُلَّـــةِ الهـــيمِ العِطـــاشِ

تغلغـــلَ حبُّـــهُ فـــي أُمِّ رأســـي وخـــاض ودادُه منّـــي مُشاشِـــي

وَأَفرَشـــني القَتَـــادَ أســـىً عليـــهِ فَليـــتَ لِغَيـــرِه كـــانَ اِفتِراشـــي

وَكنـــتُ عَلـــى الرّزايـــا ذا إبـــاءٍ فَقَـــد قـــادتْ رزيّتُـــه خِشاشِـــي

وَلسـتُ سـواهُ متّخـذاً خلـيلاً وَلا يغشـى هـواي سِـواهُ غـاشِ

فَـإنّي إنْ فزعـتُ إلـى بَـديلٍ فزعـتُ إلـى الأُجـاج مـن العِطـاشِ

فَمـا لِـي بعـد فقـدك طيـبُ نفـسٍ وَلا جَـذَل بِشـيءٍ مـن معاشِـي

والأبيات تشي بتلك العاطفة التي لاتبعد عن الصدق، وتصور مدى العلاقة بينه وبين الوزير المذكور، ومن مراثيه التي لايمكن المرور عليها بسهولة دون الوقوف عندها، مرثيته في أبي إسحاق الصّابي، الذي تربطه وبأسرته علاقة متينة، وقصيدة الشريف الرضي فيه مشهورة كذلك وتعد من غرر القصائد، ومنها: [1] (من الكامل):

أَعَلِمـتَ مَـن حَمَلـوا عَلـى الأَعـوادِ أَرَأَيـتَ كَيـفَ خَبـا ضِـياءُ النـادي؟

جَبَـلٌ هَـوى لَـو خَـرَّ فـي البَحـرِ اِغتَـدى مِـن وَقعِـهِ مُتَتَـابِعَ الإِزبـادِ

مـا كُنـتُ أَعلَـمُ قَبـلَ حَطِّـكَ فـي الثَـرى أَنَّ الثَـرى يَعلـو عَلـى الأَطـوادِ

فكانت قصيدة المرتضى لاتقل شأنا عن مرثية الرضي، في صدق مشاعر الحزن والتفجع، وذكر وشائج الصداقة الحميمة بينهما:(من الكامل):[2]

مـا كـان يومُـك يـا أبـا إسـحاقِ إلّا وداعـي للمُنـى وفراقـي

وأشـدّ مـا كـان الفـراقُ علـى الفتـى مـا كـان موصـولاً بغيـر تـلاقِ

([1]) ديوان الشريف الرضي:منشورات مطبعة وزارة الإرشاد الإسلامي،إيران، ط١٤٠٦،١هـ، ١/ ٣٨١

([2]) الديوان:٢/٢٠٩

ولقــد أتــاني مــن مصــابك طــارقٌ لكنّـــــه مـــــا كـــــان كـــــالطرّاقِ

ولايفوته أن يذكر مكانة الصّابي وقربه منه وتعلقه به، مع أنه على غير عقيدته، لأنّ المودة خير من الأنساب عندما تلفُّ الرجال :

إنْ لــم تكــن مــن عنصــري فَلأَنْــتَ بالــ آداب مـــــن أهلـــــي وبـــــالأخلاقِ

ومـــــودّةٌ بـــــين الرّجـــــالِ تضـــــمُّهمْ وتلفُّهـــمْ خيـــرٌ مـــن الأعـــراقِ

وهذا المعنى ذكره الرضي أيضا في مرثيته: (١)

الفَضــلُ ناسَــبَ بَينَنــا إِن لَــم يَكُــن شَـــرَفي مِناسِـــبَهُ وَلا مـــيلادي

إِن لَــم تَكُــن مِــن أُســرَتي وَعَشــيرَتي فَلَأَنــتَ أَعلَقُهُــم يَــداً بِــوِدادي

والظاهر في قصائد الرثاء، إن المرتضى يبتعد عن مقدمات النسيب والطلل وبخاصة في رثاء أهل البيت عليهم السلام، ويدخل الى الموضوع مباشرة، وفي أغلبها كان يفتتحها بالتصريع في البيت الأول، وقد غلب عليها طول النفس، وبخاصة في رثاء الإمام الحسين عليه السلام وفخر الملك، ويوشي اغلب قصائده بأساليب البديع، ويسلك التوجه القديم في التصبر والتأسي بمن مضى من السالفين من ملوك وغيرهم، وأخذ العبرة من ذلك.

(١) ديوان الشريف الرضي: ١/ ٣٨٥

المبحث الثالث:الغزل

من الفنون الشعرية التي يعبر فيها الشاعر عن أحاسيسه ومشاعره بصورة صادقة، لصدوره عن أحساس شخصي خالص، وهذا اللون من الشعر له القدرة على تصوير النفوس والتعبير عما في داخلها، من دون الحاجة الى التصنع والمبالغة٠

" والشعراء دون غيرهم يصورون هذا الحب بعاطفة صادقة، فيتدفق على ألسنتهم من وجدان مرهف ليعبّر عما يجيش في خاطر الشاعر، وعمّا يختلج في قلبه" (١)

وشغل الغزل مكاناً واسعاً في موروثنا الشعري الذي خلّفه لنا عصر ما قبل الإسلام، ويكاد يكوّن الجزء الأكبر من ذلك الموروث، فلا تكاد تخلو قصيدة في مطلعها من الغزل ٠

ربما يكون الغزل من أقرب الفنون الشعرية إلى التعبير عن صدق المشاعر التي تخالج الشاعر، من غير تكلف أو تصنع، وهنا تكمن جمالية هذا الفن ، وبحسب قدرة الشاعر وكيفيته في التعبير عن مشاعره وعواطفه تكون جمالية النص الشعري، ويُؤشر له إبداعهُ، ومن ثَم يتعايش القاريء مع النص وكأنه صورة مرسومة بكلمات عليه أن يسبر أغوارها ٠

احتل هذا الغرض مكانة كبيرة في ديوان الشريف المرتضى، تناول في اغلب قصائده ومقطعاته علاقته بالمحبوبة من خلال حنينه وبث أشجانه وهي بعيدة، أو قربها منه لكن اللقاء قصير يدعوه إلى التحسر والألم لذلك، وهو في كل ذلك ملتزم ومحافظ على مكانته، ولاينجرف وراء الملذات التي تقلل من هيبته وتنال من شخصه٠

ومن خلال الاطلاع على ديوان الشريف المرتضى، نجد أنّ غزله تقليدي سار فيه على نهج أسلافه الشعراء، في مخاطبة الربع، أو ذكر محاسن المرأة، ووجد عنده الغزل على شكل مقطعات قصيرة، أو في مقدمات بعض قصائد المديح والرثاء، " وقد نظم في هذا الفن ثماني وتسعين مقطوعة، وأربع عشرة قصيدة مستقلة ..." (٢) ، وقد ذكر الدكتور عبد الرزاق محي الدين في أدب المرتضى، أن المرتضى" قال الغزل في مطالع كثيرة من قصائده، على عادة الشعراء ،

---

(١) الغزل في الشعر العربي:سراج الدين محمد، دار الراتب الجامعة، بيروت، ب. ت

(٢) الرؤيا الإبداعية لدى الشريف المرتضى : ١٤٤

ولكنه لم يوفق في جملة ذلك، وقال في مقاطيع مستقلة فوفِّقَ بعض التوفيق "[١]، وعندما نستعرض تلك القصائد والمقطوعات، نجد مايخالف هذا الرأي، ويثبت للمرتضى صدق المشاعر والتعبير عنها بأريحية تبرز تمكنه من أدواته وكأنه صاحب تجربة واقعية في عالم الحب ٠

ومن أبياته في الغزل : [٢]

نَصـــيبِيَ منـــكِ اليـــومَ هجـــرٌ وبغضَـــةٌ ومـــا لـــكِ إلّا فـــي الـــودادِ نَصـــيبُ

وَقَلبُـــكِ مِـــن حُبّـــي صَـــحيح مســـلَّمٌ وَقَلبـــيَ فيـــهِ مِـــن هـــواكِ نـــدوبُ

نصيبه ممن يحب الهجر والبغض ، ولكن قلبه يحتضن حبها وان كان قلب المحبوبة صار سالما وخاليا من حبه ، على حين أن، قلبه تحمل الجراح من فرط حبه ، وهو يعلل ذلك بسبب الشيب الذي لاح لمحبوبته في رأسه:[٣]

وَلَـــيسَ عَجيبـــاً شـــيبُ رَأســـي وَإِنّمـــا صـــدودُك عَـــن ذاكَ المشـــيب عجيـــبُ

ومرة نراه يصرح باسم المحبوبة (لمياء) أو قد تكون صفتها ، وهو يراجع معها ذكرياتهما، بتلك الليلة الحالكة، وقد كان اجتماعهما كحبيبين لم يفرق بينهما سوى تلك الرائحة الطيبة، ويذكر أحاديث الريق وعذوبتها ولاسيما في آخر الليل، ويدلل على حبه وصدقه ولا صحة لما يتناقله الوشاة ، وهذه الصورة متكررة في شعرنا العربي كثيرا عند الشعراء :[٤]

أَتَنســـيْن يـــا لَميـــاءُ شـــملكِ جامعـــاً وَإِذْ أَنـــا فـــي صـــبغ الـــدُّجى منـــك أقـــربُ

وَقـــد لفّنـــا ضـــيقُ العنـــاقِ وَبيننـــا عِتـــابٌ كعـــرفِ المســـكِ أو هـــو أطيـــبُ

وَإِذ علّنِـــي مِـــن ريقـــهِ ثـــم علّنِـــي عَلـــى ظمـــإٍ مُســـتعذَبُ الرّيـــق أشـــنبُ

---

(١) أدب المرتضى من سيرته وآثاره: عبد الرزاق محي الدين، بغداد، ١٩٥٧م، ٢٣٠

(٢) الديوان: ١/ ١٨٠

(٣) الديوان: ١/١٨١

(٤) الديوان: ١/ ١٨٣

كَـــأنّ عليـــهِ آخـــرَ اللّيـــلِ قهـــوةً مُعتّقـــــةً ناجودُهـــــا يَتصـــــوّبُ

أُحبّـــكِ يـــا لَميـــاءُ مِـــن غَيـــرِ رِيبـــةٍ وَلا خَيـــرَ فيمـــا جـــاءَهُ المتريِّـــبُ

وَيُطرِبُنـــــي إنْ عـــــنَّ ذكـــــرُك مـــــرّةً وَلَســـتُ لِشـــيءٍ غيـــر ذكـــراك أطـــربُ

وقال أيضاً:(١)

وفـــي النّقـــرِ الغـــادينَ وجـــهٌ أُحبُّـــهُ ومـــا كـــلُّ وَجـــهٍ فـــي الرِّفـــاق حبيـــبُ

يَنـــوبُ مَنـــابَ البـــدرِ ليلـــةَ تمِّـــهِ وَيُغنـــي غنـــاءَ الشّـــمسِ حـــين تغيـــبُ

وَلمّـــا دَعـــاني للغـــرامِ أَجبتُـــه وَمـــا كـــانَ قَلبـــي للغـــرامِ يجيـــبُ

وَمـــا كنـــتُ إلّا فيـــهِ للحُـــبِّ طائِعـــاً وَمـــا لِســـواهُ فـــي الفـــؤادِ نَصـــيبُ

إن هذا الوجه الذي يحبه الشاعر ليس ككل الوجوه، فهو الذي ينوب مكان البدر ليلة تمامه ، وهو البديل عن الشمس في غيابها ، حتى إن هذا الوجه هو الذي دعاه إلى الحب ولم يك قلبه يستجيب إلى الغرام ويقع فيه لولا جماله ، فكان مطيعا له في حبه وهو خال من حب غيره ٠

وفي أبيات أخرى يصف المحبوب الذي يأتيه خِلسةً من الحراس، ولم يكترث لكبر سن الشاعر وهو مازال في ريعان شبابه ، بيد أنه كان عفيفا معه تمنعه من الحرام خشية الله ، مع ان الشوق الذي يحمله له لامثيل له، فذهب عنه ولم ينل مايريد ولم استطع إسعافه به، وقد عف عنه الشاعر وكأنه لايريده : (٢)

بِـــــأَبِي زائـــــراً أتـــــانِيَ لَـــــيْلاً ســـــارِقاً نَفسَـــــه مـــــنَ البـــــوّابِ

مـــا ثَنـــاهُ عنِّـــي تَقَضِّـــي شَـــبابِي وهْـــوَ فـــي وجْنتيـــه مـــاءُ الشّـــبابِ

بـــاتَ بينـــي وبينـــه خَشـــيَةُ اللـــ ـــهِ وخـــوفُ العـــذابِ يـــومَ العـــذابِ

---

(١) الديوان: ١٨٧/١

(٢) الديوان: ٢٢٢/١

لَـــم أَزِدْهُ شـــيئاً وَبـــينَ ضُـــلوعي كـــلُّ شَـــوقٍ علـــى مَلـــيحِ العتـــابِ

ثـــمَّ ولَّـــى كَمـــا أَتـــى أَرِجَ الأخـــ بـــارِ فـــي النّـــاسِ طيّـــبَ الأثـــوابِ

عالمـــاً أنّنِـــي وإنْ كنـــتُ أهـــوا هُ فغيـــرُ الحَـــرامِ منـــه طِلابـــي

وَلَقـــد جـــاءني وَمـــا كـــانَ فـــي نفْـــ سِـــيَ إســـعافُهُ ولا فـــي حِســـابي

غَيـــرَ أَنّـــي عَفَفْـــتُ حتّـــى كـــأنّي لا أُباليـــهِ أو بغَيْـــرِيَ مـــا بِـــي

وقريب منه قوله: (١)

وحَلَلْـــتِ مـــن قلبـــي وأنـــتِ بخيلـــةٌ مـــا لا يحـــلُّ بـــه الجَـــوادُ المحســـنُ

وســـكنتِ ممّـــن كـــلُّ جاريـــةٍ لـــه شـــوقاً إليـــكِ وصَـــبْوَةً لا تســـكنُ

وَأَسَـــرتِني وأنـــا الطّليـــقُ وطالمـــا أسَـــرَ الهـــوى وقَتَلْـــتِ مَـــنْ لا يُفـــتَنُ

وأردتِ كتمـــانَ الهـــوى فكتَمْتُـــهُ والـــدّمعُ يُبـــدي مـــا أُســـرُّ وأُعلِـــنُ

وحَبَسْـــتِ فـــي الشّـــكوى لســـاناً واحـــداً لـــو لـــم تكـــنْ لِـــي بالشّـــكايةِ ألْسُـــنُ

ونراه أكثر صراحة في هذه الأبيات، وهو يعانق محبوبته ولكن كان بينهما سيف يمنع ذلك العناق ويكرهه وهو الجفون لأنها بمثابة السيوف، وهو يكره ذاك العناق مع السيف وغمده، بينما المحبوب الذي كالسيف فيا حبذا عناقه لأنه يملك قواما كقوام السيف ، وأنت معه في مأمنٍ من كل سوء ، فهو هنا يمازج مابين الحب وشجاعته :(٢)

ولمّـــا تعانقنـــا ولـــم يـــكُ بيننـــا ســـوى صـــارمٍ فـــي جَفْنِـــهِ لا مـــن الجُـــبْنِ

كرهـــتُ عنـــاقَ السّـــيف مـــن أجـــلِ جَفْنِـــهِ فهـــا عـــانِقِي منّـــي حُســـاماً بـــلا جَفْـــنِ

فَمـــا كنـــتِ إلّا منـــه فـــي قبضـــةِ الحِمـــى ولا ذقـــتِ إلّا عنـــده لـــذَّةَ الأمْـــنِ

---

(١) الديوان: ٥١٣/٢

(٢) الديوان: ٥٦٤/٢

وهذا المعنى يكرره مرة أخرى ، فهو لايرضى بأن يفارق سيفه حتى في أحلى ساعات اللقاء وهي العناق بينه وبين محبوبته، فيطلب منها أن تعده كتميمة تنجيهما من أعين الأهل :(١)

لمّـــا اِعتَنقنـــا ليلـــةَ الرّمـــل ومُضـــاجِعِي مـــا بيننـــا نَصْـــلِي

قالـــت أمـــا ترضـــى ضـــجيعك مِـــنْ جســـمي الرّطيـــب ومِعْصَـــمي الطَّفْـــلِ؟

ألّا اِحتَملـــتَ فـــراقَ نصـــلك ذا فـــي هـــذهِ الظّلمـــاء مِـــن أجلـــي

اِنظـــرْ إلـــى ضـــيق العنـــاقِ بنـــا تنظـــرْ إلـــى عقـــدٍ بـــلا حَـــلِّ

لا بيننـــا يجـــري العُقـــارُ ولا فضـــلٌ بـــه لمَدبَّـــةِ النَّمْـــلِ

فأَجَبتُهـــا إنّـــي أَخـــافُ إذا فطنـــوا بنـــا أهلـــوكِ أوْ أهلـــي

عدّيـــهِ مثـــلَ تميمـــةٍ نصـــبتْ كـــي لا نُصـــابَ بـــأعينٍ نُجْـــلِ

وفي الأبيات الآتية يؤكد على أغلب المعاني التي تسود بين المحبين ، من قربٍ وبعدٍ وصدٍ وهجرٍ، وعدم الاستطاعة على كتم الحب :(٢)

مـــاذا يضـــيركِ هنـــدُ مـــن حُبّـــي وإذا قربـــتُ إليـــكِ مـــن قربـــي؟

لا تَعجبـــي مِـــن صَـــبوتي بكُـــمُ فَالحســـنُ أَيـــن رأيتـــهُ يُصـــبي

وَربـــاعكمْ أَنَّـــى أفارِقهـــا وبهـــا غـــديري العـــذْبُ أو عُشـــبي

وَلـــو اِســـتَطعتُ كَتمـــتُ حُـــبَّكُمُ للضَّـــنِّ عَـــن قَلبـــي وَعَـــن صَـــحبي

وَمِـــنَ الغرائـــبِ أنّنـــي أبـــداً سِـــلْمٌ لمـــنْ هـــو ظالمـــاً حربـــي

كـــم ليلـــةٍ نادمـــتُ فيـــك وأنـــتِ فـــي سِـــنَةِ الرُّقـــاد موائـــلَ الشُّـــهبِ

---

(١) الديوان: ٣٨٤/٢

(٢) الديوان: ١/ ٢٥٧

مُتقلّباً طولَ الدّجى أَسِفاً ... كالصّلِّ من جنبٍ إلى جنبِ

ما تَعلمينَ وأنتِ ناعمةٌ ... مَنْ بات فيكِ معانقَ الكربِ

وَأَردتُ أَن أَسلو وذا عَجَبٌ ... لَو كانَ قَلبي بِالهَوى قَلبي

وَعذلتِ منّي من لَه أُذُنٌ ... صمّاءُ عن عَذْلٍ وعن عَتْبِ

وَمَتى يَكنْ ذَنبي هَواكِ فلا ... غَفرَ الإلهُ وأنتِ لي ذَنبي

أَخشى لِساني أَنْ يبوحَ بما ... أشكوهُ في جِدٍّ وفي لِعْبِ

فَلِسانُ مَنْ عُرفَتْ بَلاغتُهُ ... أمضى إذا ما قال من عَضْبِ

وهو يذكر كثيرا أماكن المحبوب ويحن الى الديار وهي سمة تكثر في شعره ، كغيره من الشعراء ولاسيما شعراء الغزل: (١)

أمُرُّ على الأجداثِ في كلّ ليلةٍ ... وقلبي بمن فيها رهينٌ معلّقُ

وَأُقريهمُ منّي السّلامَ وبيننا ... رِتَاجٌ ومسدولٌ من التربِ مُطبَقُ

ولو أنّني أنصفتُ مَنْ في ترابها ... لما رحتُ عنه مُطلقاً وهو موثَقُ

وأنّ له منّي قليلاً جوانحٌ ... خَفَقْنَ وعينٌ بالدّموع تَرَقْرَقُ

ويذكر المحبوبة وبعض الأماكن: (٢)

كتَمْتُ من أسماءَ ما كان عَلَنْ ... يومَ طلولٍ ورسومٍ ودِمَنْ

---

(١) الديوان: ١٦٨/٢

(٢) الديوان: ٥٦٥/٢

لــــولا ليـــالِي الخَيْـــفِ مـــا كـــان لنـــا قلـــبٌ علـــى حـــبِّ الغـــواني مُـــرْتَهَنْ

عَـــنَّ لنـــا منـــكِ علـــى وادي مِنـــى نَـــوْءُ غـــرامٍ ليتـــه مـــا كـــان عَـــنْ

لـــم تَقصـــدي رَمـــيَ الجِمـــارِ إنّمـــا رميتِنـــــا دون الجِمـــــارِ بـــــالفِتَنْ

كـــم صـــادنا ثَـــمَّ فصِـــرْنا رِقَّـــهُ مِـــنْ شَـــعَرٍ جعـــدٍ وَمِـــن وَجـــهٍ حَسَـــنْ

ليـــتَ قَطينـــاً بـــان عنّـــا بـــاللِّوى مِـــن بعـــد أنْ أوْرَطَ حُبّـــاً لـــم يَـــبِنْ

وليتَـــــه مَـــــنَّ بوصـــــلِ حَبْلِـــــهِ علـــى قلـــوبٍ لـــم تُطِـــقْ حَمْـــلَ المِـــنَنْ

نِمْـــتُمْ ومـــا تعـــرف منّـــا أعـــيُنٌ مـــن بعـــد أنْ ظَعَنْـــتُمُ طَعْـــمَ الوَسَـــنْ

راعـــكِ يـــا أســـماءُ منّـــي بـــارقٌ ضـــوّأ مـــا بـــين العِـــذارِ والـــذَّقَنْ

وسواء كان المرتضى صاحب تجربة واقعية في الحب، أم لم يكن كذلك وكان مقلدا غيره من الشعراء، فانه يملك حسّاً لايعدمه نوازع الحب وقلباً ينبض بمشاعر المحبين، ولِمَ يُستكثر عليه أن يكون عاشقا؟ فلا تمنع مكانته الدينية من ذلك، كما نجد هذه الصفة عند الحبوبي وغيره من الشعراء ، وعلى ذلك لانؤيد ما أورده الدكتور عبد الرزاق محي الدين من انّ الشريف المرتضى " خلا من نوازع الحب، فقد خلا منه كثير غيره من الشعراء، فليكن غَزِلا مثلهم يعوض مافاته من حبٍّ بما تكلفه من اصطناعه ...." [١]

قـــلْ لمـــنْ خـــدُّهُ مـــن اللّحـــظِ دامٍ رقّ لِـــي مـــن جـــوانحٍ فيـــك تُـــدْمى

يـــا ســـقيمَ الجفـــون مـــن غيـــرِ سُـــقْمٍ لا تَلُمنِـــي إنْ مـــتُّ مـــنهنّ سُـــقْما

أنـــا خـــاطرتُ فـــي هـــواك بقلـــبٍ ركـــب البحـــرَ فيـــك أَبـــاً وأُمّـــا

وهي ظبية في نظره ، كما رأيناها في شعر أخيه الرضي ، وغيره من الشعراء: [٢]

---

(١) أدب المرتضى من سيرته وآثاره:٢٢٩، ينظر: الرؤيا الإبداعية لدى الشريف المرتضى: ١٤٦

(٢) الديوان: ٤٥٧/٢

أَيـــا ظبيـــةً فـــي رُبـــى جاسِـــمِ سُـــقيتِ حَيـــا واكـــفٍ ســـاجِمِ

طلعـــتِ لنـــا فـــي خـــلالِ الهضـــابِ فبُحـــــتِ بســـــرِّ اِمـــــرئٍ كـــــاتِمِ

تنـــــاهَى العـــــواذلُ فـــــي عَذْلـــــهِ وأعيـــــا علـــــى رُقْيَـــــةِ اللاّئِـــــمِ

وفي صورة أخرى:(١)

صـــاد قلبـــي عشـــيّةَ النّفْـــرِ ظبْـــيٌ وظِبـــاءُ الفـــلاة صـــيدُ الرّجـــالِ

ذو دلالٍ وإنّمـــــا يســـــكنُ القلـــــ ـبَ كَما شاء واشتهى ذو دَلالِ

الشاعر يكره اللقاء لأنه قصير سريع ، مع انه دائم ، ذلك اللقاء كان يسر عيوننا وكأنه الصبح ، لكنه اظلم عيوننا خوفا من الأعداء.... (٢)

لقـــاؤكِ يـــا ســـلمى وإنْ كـــان دائمـــاً يعـــزُّ علينـــا أنْ يكـــونَ لمامـــا

وقـــد كـــانْ صُـــبحاً يمـــلأ العـــينَ قـــرّةً فعـــاد بقـــول الكاشـــحين ظلامـــا

كـــلا الهَجـــر منـــكِ الطّـــرف أن لا تعرّجـــي علـــى الحـــيّ أيقاظـــاً وزرتِ نيامـــا

ولـــم يشـــفِ ذاك القـــربُ وهـــو مـــرَجَّمٌ مـــن القـــوم سُـــقماً بـــل أثـــار سُـــقاما

على هذا التل قمرٌ(فتاة) ، يتمنى القمر ان يتمتع بحسنه وجماله، زادني سقما ذبول عينيه، وهذا الجرم مغفور له لأنه بين المحبين، ولامني العواذل لأني وقعت سريعا في الحب ،وهم لايعلمون بانّ طريق الحب قصير، وترك هذا القمر النار في أحشائي وجفوني تذرف الدمع كالمطر: (٣)

كَـــم فـــي الكَثيـــبِ وَكَـــم عارضـــته قمـــرٌ يـــودّ أنّ لـــه مـــن حســـنه القمـــرُ

---

(١)الديوان: ٣٥٥/٢

(٢) الديوان: ٤٤٨/٢

(٣) الديوان: ٤٧٣/١

يجنِـــي علـــيَّ ســـقاماً ســـقمُ مقلتِـــه وكـــلُّ جـــرمٍ جنـــاه الحـــبُّ مُغتَفَـــرُ

قـــال العـــواذلُ: سَـــرْعاً مـــا عشِـــقتَ ومـــا يـــدرون أنّ طريـــق العِشـــقِ مختصـــرُ

وَمـــا الصّـــبابة إلّا خُلســـةٌ عَرَضـــتْ ســـمعٌ جناهـــا علـــى الأحشـــاء أو بصـــرُ

النـــارُ فـــي كَبِـــدي مـــذ غبـــتَ عـــن بصـــري ومـــن جفـــوني وقـــد فـــارقتني المطـــرُ

يلجأ في الغزل إلى محاورة قلوب عشاقه، فيرسم صورة للعاشق القوي المغلوب على أمره مع معشوقه فيستسلم لنظراته الفتاكة، وتراه يوظّف ألفاظ الصحراء(ريم، الفلا، رشا، ظبية).

وهناك صورة طالعتنا يكررها الشاعر، وهي صورته يحمل السيف حتى مع المحبوبة في أجمل اللقاءات بينهما، وقد تكررت خمس مرات في الديوان، وقد صّرح بذلك " خطر ببالي أن أردَّ ماقيل فيمن ضاجعَ محبوبته وهو مرتدٍ سيفاً في تلك الحال فأتكلم عن محاسنه، فانّه معنى مثمر مقصود....." [١]

والشريف المرتضى جارى الشعراء في أغلب الموضوعات التي تناولوها في الغزل ، وكان يكثر من ذكر الديار والحنين إليها والى ساكنيها، ويبث لواعج الحب والحنين إلى الاحبة٠

والذي يغلب على الغزل في ديوانه أنه جاء بمقطوعات قصيرة جدا، وفي بدايات بعض قصائد المديح والفخر وقليل منه في الرثاء، أو عند ذكر المشيب، وطيف الخيال٠

وقد لخص الدكتور التونجي الرأي في غزله:" وتتمل عفته في الغزل النقي، ولاسيّما ماكان على طريق الطيف٠٠ لأنه لم يكن يريد واقعا لغزله وتبدو عفته كذلك في هذه المقدمات الغزلية، التي تبدو فيها المحبوبة راحلة أو صادة دوما من غير لقاء، سوى لقاء النظر المحتشم من غير ذكر للمفاتن الا مايستدعيه الموقف، ولانجد في شعره غزلا لغلام، لكنه قد يستخدم الضمير المذكر في غزله" [٢]

---

(١) الكشكول:الشيخ البهائي(١٠٣٠هـ)، تح، السيد محمد حسين المعلم،ب، ت،ج٣، ١٦٩٣

(٢) ديوان الشريف المرتضى: شرح د. محمد التونجي،دار الجيل ، بيروت، ط١، ١٩٩٧، ١/ ١٤-١٥

المبحث الرابع: الفخر

الإنسان يحب ذاته، ويرى نفسه أفضل من الغير، ولربما رأى عيوب الآخرين دون أن يرى عيوبه، فيعتدُّ بنفسه أو قبيلته بما يرى من الصفات الكريمة والنبيلة، والشمائل الطيبة، والأصل النبيل، واعتزازه بتلك القيم، والفخر من أخص صفات العرب، وأوسع الأبواب في أشعارهم كونه يمثل تلك الأنفة وذلك الاعتداد بالنفس، " ولم يكن الفخر هدفا بحد ذاته، لكنه كان وسيلة لرسم صورة عن النفس ليخافها الأعداء، فتجعلهم يترددون طويلا قبل التعرض للشاعر أو القبيلة"[١]

وقد توزع الفخر في ديوان الشاعر على جانبين:

١-تمثّلَ بالفخر بنسبه من آل البيت عليهم السلام، وبأسرته وقبيلته وبشجاعة أجداده في حفظ الاسلام.

٢-تمثّلَ بالفخر والاعتداد بشجاعته، وصبره، وعقله وحسن مداراته لمن يعاشر، ومكانته عند الخلفاء والملوك والوزراء، وتعظيمهم لشأنه .

٣- تمثّل بالفخر بقصائده، ومؤلفاته، وبمنزلته العلمية.

" والافتخار هو المدحُ نفسه، إلا أنّ الشاعر يخصُ به نفسَه وقومَه، وكلُ ماحسنَ في المدح حَسُنَ في الافتخار، وكلُ ماقبح فيه قبح في الافتخار" [٢]

وفيما يخص الجانب الأول، فقد أخذ الحيز الأكبر من قصائد الفخر، وكانت أبيات الفخر ممزوجة بالمديح لآل البيت عليهم السلام أو في رثائهم أوفي قصائد التهنئة وحتى في الغزل، ومما قال في ذلك معددا أمجاد آبائه وأجداده: (من الكامل) [٣]

أمّـا الطّريـفُ مـن الفخـار فعنـدنا ولنـا مـن المجـد التّليـد سـنامُهُ

ولنـا مـن البيـت المحـرّم كلّمـا طافـتْ بـه فـي موسـم أقدامُـهُ

ولنـا الحَطِـيمُ وزَمْـزَمٌ وتراثنـا نِعْـمَ التّـراثُ عـن الخليـل مَقامُـهُ

([١])الفخر في الشعر العربي: سراج الدين محمد، دار الراتب الجامعة، بيروت، ب. ت، ٥

([٢]) العمدة:١٤٣/٢

([٣]) الديوان: ٣٩٦/٢

ولنـــا المشـــاعرُ والمواقـــفُ والّـــذي تهـــدى إليـــه مـــن مِنـــىً أنعامُـــهُ

إن أسباب الفخر قديمها وجديدها مملوكة لهم، هذا التراث والمعين نعم التراث لأنه موروث عن إبراهيم الخليل عليه السلام، ثم يذكر الشاعر الأماكن التي يتشرف بها الناس في مكة ومناسك الحجيج لأنهم سدنتها، ويمضي في حفظ هذا البيت من قبل النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأخيه عليّ عليه السلام، وتضحياتهما من أجل نشر الدين الحنيف، ويذكر فداء الإمام عليّ للنبي ومبيته في فراشه:

وبجَـــدّنا وبصـــنْوِه دُحِيَـــتْ عـــن الـــ بيـــت الحـــرامِ وزُعزعـــتْ أصـــنامُهُ

وهمـــا علينـــا أطلعـــا شـــمسَ الهـــدى حتّـــى اِســـتَنارَ حلالُـــهُ وحرامُـــهُ

وَأَبـــى الّـــذي تَبـــدو علـــى رغـــم العِـــدا غُـــرّاً محجَّلـــةً لنـــا أيّامُـــهُ

كالبـــدر يكســـو اللّيـــلَ أثـــواب الضّـــحى والفجـــرُ شُـــبّ علـــى الظـــلام ضِـــرامُهُ

وَهـــو الّـــذي لا يقتضـــي فـــي موقـــفٍ إِقدامُـــهُ نُكْـــصٌ بـــه أقدامُـــهُ

حتّـــى كـــأنّ حياتَـــه هـــي حتفُـــه ووراءَه ممّـــا يخـــاف أمامُـــهُ

ووقـــى الرّســـولَ علـــى الفـــراش بنفســـه لمّـــا أرادَ حِمامَـــه أقوامُـــهُ

ثانِيـــهِ فـــي كـــلّ الأمـــور وحصـــنُه فـــي النّائبـــاتِ وركنُـــه ودِعامُـــهُ

للّـــه دَرُّ بلائـــه ودفاعِـــه واليـــومُ يغشـــي الـــدّارعين قَتامُـــهُ

وفي نص آخر:(من الرجز)[1]

مِنّـــا النبـــيُّ والوصِـــيُّ صِـــنْوُهُ ثُـــمّ البَتـــولُ والحســـينُ والحَسَـــنْ

وَعمُّنـــا العبّـــاسُ مَـــن كعمِّنـــا أبنـــاؤه الغـــرُّ مصـــابيحُ الـــزّمنْ

([1])الديوان:٢/٥٦٦

ومثله: (من الوافر) [1]

وَأنّ إلـــــى نبـــــيٍّ أو وصـــــيٍّ نُسِـبتُ فمـن لـه مثـلُ اِنتسـابي؟

وفـــي بيتـــي النبُـــوّةُ مـــا عَـــدَتْنِي وقـــانونُ الإمامـــةِ فـــي نِصـــابي

ويبدو أن القصيدة في مدح أحد الخلفاء العباسيين، لذلك تجده يذكر عمَّه العباس وأبناءه وواضح ماتراه من إقحام البيت بعد البيت السابق.

ويذكرهم في نصٍ آخر:(من الكامل)[2]

إنّ الّـــذين أعـــدُّهمْ مـــن عنصـــري وبهـــمْ إذا فـــاخرتُ يومـــاً أعلـــقُ

شَـــجعوا فمِنْسَـــرُهمْ يـــروّعُ جَحْفَـــلاً ووحيـــدُهمْ يـــومَ الكريهـــةِ فَيْلَـــقُ

ولهـــمْ إذا جمـــدَتْ أكـــفٌّ فـــي نـــدىً أو فـــي وغـــىً أيـــدٍ هنـــاك تَـــدَفَّقُ

قـــلْ للّـــذين تطـــامحوا أنْ يفخـــروا بمفـــــاخرٍ ببنـــــائهمْ لا تَعْلِـــــقُ

غُضّـــوا اللِّحـــاظَ فقـــد عَلَـــتْ تَلْعـــاتِكمْ فـــي مفخـــرٍ منّـــا الجبـــالُ الشُّـــهَّقُ

لايمكن لأحد أن يصل الى مراتب هذا الفخار الذي يفتخر به، فقومه بقليلهم يعادلون جيشا، وواحدهم يعادل فيلقاً، ولم يخلق الرحمن مثلهم ولن يخلق بعدهم، فمن أراد أن يفتخر بشيء فلا يمكنه أن يصل الى شيء من ذلك لأن التلاع لاتضاهي الجبال الشامخة.

ويؤكد هذا المعنى في نص آخر:(من الكامل)[3]

ولقـــد فخـــرتُ بمعشـــرٍ لمّـــا اِعتلَـــوْا لـــم يرتَضـــوا النَّسْـــرين والعَيّوقـــا

ملكـــوا الفخـــارَ فمـــا تـــرى مِـــن بعـــدهمْ إلّا اِفتخـــــاراً مـــــنهُمُ مســـــروقا

---

(١) الديوان:٢٤٧/١

(٢) الديوان: ١٥٧/٢

(٣) الديوان:١٨٢/٢

النّـــاحرين إذا الرّيـــاحُ تناوحـــتْ للنّـــــازلين فنيقـــــةً وفنيقـــــا

من يفتخر بهم، مكانهم فوق النجوم، كرمهم لايدانيه كرم، يطعمون الضيف كرام الإبل (الفنيق)، الذي لايُركب ويكرمه أهله، وكل فخر بعد فخرهم هو سرقة، ومثل هذا المعنى يكرره في نص آخر: (من الوافر)[١]

وإنّـــي إنْ فخـــرتُ علـــى البرايـــا فخـــرتُ بمـــن يبـــذُّ الفاخرينـــا

بآبـــــاءٍ وأجـــــدادٍ كِـــــرامٍ كمـــا كـــانوا علـــى كـــلِّ البنينـــا

ألَسْـــنا أشـــجَعَ الثَّقَلَـــيْنِ طُـــرّاً وأوْفـــاهُم وأجـــوَدَهمْ يمينـــا

وأطعَمَهُـــمْ وأقـــراهمْ ضُـــيوفاً وأعطـــاهمْ إذا وهبـــوا الثّمينـــا

ونبقى مع هذا المعنى أيضا: (من الطويل)[٢]

أيفخـرُ قـومٌ مـا لهـمْ مثـلُ مفخـري وأيـــن مـــن الـــنَّهْجِ القـــويمِ التَعَسُّـــفُ

ولـــي فَـــوقَ أَســـماكِ المجـــرّةِ منـــزلٌ وفـــي موقـــف الزُّهـــرِ الكواكـــبِ موقـــفُ

وقـــومي الأُلـــى لمَّـــا توقّـــف معشـــرٌ عـــن الـــذّروَةِ العَليـــاءِ لـــم يتوقّفـــوا

كـــرامٌ متـــى ســـيموا الدَّنِيَّـــةَ يَعزِفُـــوا وإنْ شـــهدوا نَجْـــوَى العَضـــيهةِ يَصـــدِفوا

وإنْ ركبـــوا ظهـــراً مـــن الفخـــر أردفـــوا وإنْ طلبـــوا شـــيئاً مـــن الـــذّكر ألْحَفـــوا

ومما يلفت النظر في فخره بآبائه انه يؤكد على أنهم حفظة الدين، لذلك لايَعُدُّ فخرَه بهم تعصبا للعرق من غير الدين، وقد أكد ذلك في أكثر من مكان: (من الطويل)[٣]

فَخَـــرْتُمْ بغيـــر الـــدّين فينـــا وإنّمـــا فَخَـــرتمْ بأنســـابٍ لِئـــامٍ خبائِـــثِ

---

(١) الديوان:٢/٥٢٤

(٢) الديوان:٢/١١٢

(٣) الديوان:١/٣٠٢، ينظر الديوان: ١/ ٢٦٤ ،٣١٨،٣٠١، ٢/٣٤، ١٤١،١٤٠، ١٨٢ ،٢٥٩

وقد كانت أسباب شيوع الفخر كثيرة عند المرتضى، وهي التي أمدته بهذا النتاج الغزير، وأعطته المسوغ للمضي فيه، ومعلوم أن الشاعر عاش في عصرٍ ساد فيه العنصر الفارسي على مجريات الواقع السياسي والاجتماعي، وربما دفع ذلك الشاعر وغيره إلى التغني بأمجاد العرب، فأكثر من التغني بفروسيته وأجداده [١]، فالمعروف عن المرتضى، انه لم يشارك في معركة حربية قط ، وهذا واضح من سيرته ومن ديوانه ، ولكنه كغيره من الشعراء أراد أن تكون له صولته في هذا الميدان، فمضى الشاعر يتغنى بشجاعته وبسالته، ويذكر حامده، وكل مايميزه، ومما ذكر في هذا المجال قوله: (من مجزوء الرمل)[٢]

قُـــــلْ لِحُسَّـــــادي أَفيقـــــوا ... فـــــاتكم عِنـــــدي الطِـــــلابُ

عِبـــــتُمُ مَـــــن لَـــــيسَ فيـــــهِ ... لِلّـــــذي عـــــابَ معـــــابُ

وَلَـــــهُ عِـــــرْضٌ نقـــــيٌّ ... زالـــــقٌ عنـــــه السِّـــــبابُ

مَـــــن لَكُـــــم مِثلـــــي إذا عـــــنَّ ... طِعـــــانٌ أو ضِـــــرابُ

ودفـــــاعٌ ونـــــزالٌ ... وســـــؤالٌ وجـــــوابُ

وَغِـــــلابٌ لأَعـــــادي ... كـــــم ومـــــا يرجـــــى الغِـــــلابُ

وفي النص الآتي تتجلى هذه الصورة ، بحيث ترى الأنا واضحة وهو يبرهن على مكانته فوق الشاهقات، ولايمكن لأحد أن يسبقه، وهو الذي لاينجو منه أحد في المعارك، وهو الذي يحسده الناس على هذه البسالة ولا ينظر لأحد لأنه غني عنهم، ويذكر مواقفه التي نصرهم بها(الطويل)[٣]

لِـــيَ الشـــاهِقاتُ الباســـقاتُ مـــن الـــذُّرا ... وَفـــي مَحتِـــدِي هاماتُـــه وغوارِبُـــهْ

وَكَـــم طالِـــبٍ لِـــي فُتُّـــه وَسَـــبقتُهُ ... وَلَـــم يَـــنجُ منّـــي هـــاربٌ أنَـــا طالِبُـــهْ

---

(١) ينظر: الرؤيا الإبداعية في شعر الشريف المرتضى: ١٤٣

(٢) الديوان:١/١٨٥

(٣) الديوان:١/٢٠٠

وَراقبنـــي كُـــلُّ الرّجـــالِ بســـالةً وما فـيهمُ مَـنْ بـتُّ يومـاً أُراقبُـهْ

وَقَـــد علـــم الأقـــوام لمّـــا عـــراهُمُ مِـنَ الـدّهر خطـبٌ لا تُـرَدُّ مخالبُـهْ

وَضَـلّتْ وُجـوهُ الـرّأي عنـه فلـم تَـبِنْ لِراكبـــه بـــالرّغم أيـــن مذاهبُـــهْ

بِـأنّي فيـهِ الـرّمحُ بـل كسـنانِهِ أو السّـيفُ لا تنبـو عليـه مضـاربُهْ

وكـم مَوقـفٍ فـي نَصـرهم قمـتُ وسْـطَه ومـا زال مسـدوداً علـيَّ مهاربُـهْ

وَسَـيلٍ مـنَ المـوتِ الـزُّؤامِ حميـتُهمْ شَـذاه وَقَـد سـالَتْ عَلـيهم مذانبُـهْ

ويبقى في تعداد مآثره وكرمه، من ذلك إن بابه لايغلق إلا على مكرمة، ولم تدنس ثيابه بدرنٍ، لايجوع جاره أبدا، ولايعود خائبا من رجا ثوابه، فحذارِ من الطّوفان الذي يجرف الأعداء فليتخذوا مكاناً ينجيهم منه٠٠٠(من الطويل)[1]

وَقَـد عَلِمـوا أنّـي عَلـى غيـرِ ريبـةٍ تُلَـطُّ سُـجوفي ثـمّ يُغلَـق بـابي

وإنّـــي وأَدنـــاسُ الزّمـــان كَثيـــرةٌ مَـــررتُ فَلـم تَعلـقْ بهـنّ ثِيـابي

وَمـا كـانَ جـاري وَالقِـرى يسـتفزّه مَروعـاً وقـد وافـى بِنَـبحِ كلابـي

وَلا طـارِقِي يرجـو ثـوابِيَ عائـداً بعسـرٍ ولا يُسـرٍ بغيـر ثـوابِ

فَقُـلْ للعـدى كونـوا جميعـاً بنجـوَةٍ إذا مـاج تيّـاري وجُـنّ عُبـابي

وَلا تَـأمَنوا وَالشـرّ ينـتجُ بِـالأَذى وَقَـد سَـحَّ وَدْقِـي أَنْ تَسـيلَ شِـعابي

وكثيرا ما يخاطب الأعداء مبرزاً صورته من خلال هذا الخطاب، ويؤكد مكانته وأهميته بين أعوانه، فيكون فقده عبئا عليهم، ولايسدّ غيابه أحد:(من الوافر)[1]

---

(١) الديوان:٢٢٦/١

فَقُــل لِمَعاشــرٍ رجمــوا حِمــامي أَرونــي مَــن يَنــوب لَكــمْ مَنــابي

وَمَــن يشــفيكُمُ كَلِمــاً وكلْمــاً لــدى غَمَــراتِ خطــبٍ أو خطــابِ

وَقَــد طَــرد الــرّدى عــنكمْ قِراعــي كمــا طــرح النّــدى فــيكمْ ســحابي

فــأين حضيضُــكمْ مــن رأسِ نِيقِــي ومِــن أوشــالكمْ أبــداً عُبــابي

وَمــا للعــار فــي طَرَفِــي مجــالٌ وأنــتمْ فــي يَــدَيْ عــارٍ وعــابِ

فَــلا تَســتَوطِنوا إلّا وِهــاداً فَــإنّ لِغيــركمْ قُلَــلَ الرّوابــي

وَممّــا ضــرّمَ الأعــداءَ نــاراً حلــولِي مــن قــريشٍ فــي اللّبــابِ

أَجِــلْ عَينيــك فــي مَجــدي تَجــدْني وَلَجْــتُ إلــى العــلا مــن كــلّ بــابِ

فمــا طُوِيــتْ علــى لَعِــبٍ ثيــابي ولا حُــدِيَتْ إلــى طَــرَبٍ رِكــابي

وفي قوله:(من البسيط)[٢]

لقــد حللــتُ مــن العَليــاءِ أفنيــةً مــا حلّهــا بشــرٌ نحــو العُــلا طَمحــا

وقــد مُنِحــتُ وضــلّ النــاسُ كلُّهُــمُ عنــه،طريقاً لطيــبِ الــذّكر مــا فتِحــا

كــان الزّمــان بهيمــاً قبــل أنْ مَنَحــتْ فضــائلِي جِلــدَه الأوضــاحَ والقُرحــا

وقــد رجحــتُ علــى قــومٍ وُزِنــتُ بهــمْ ومــا علــيَّ مــن الأقــوامِ مَــنْ رَجَحــا

مــا زلــتُ أُسّــاً وبــاقي النّــاسِ أَبنَيــةٌ وكنــتُ قُطبــاً وحــولِي العــالمون رَحــا

وأيُّ ثِقْــلٍ وقــد أعيــا الرّجــالَ علــى ظَهــري الّــذي حَمــل الأثقــال مــا طُرِحــا

وَسُــدْتُ قــومِيَ فــي عَصــرِ الصِّــبا حَــدَثاً وَلَــم يســودوا مَشــيباً لا ولا جَلَحــا

---

(١) الديوان:٢٤٧/١، ينظر:٣٠٣،٣١١،٣١٨/١

(٢) الديوان:٢٤٢/١

كل هذا تعريض بالأعداء، وتفاخر بما يملك من مناقب جعلته ينير ظلمة الأيام، وانه رجح على أقوام ولم يرجح عليه أحد، فهو الأساس الذي تُبنى عليه الأمور أو البنيان، وهو قطبُ الرحى، حتى أنه ساد قومه صبياً، وقد اعتاد حمل الأعباء، وهذه الصفات التي يحملها، من ظلٍ شامخٍ وعضدٍ باطشٍ وغيرها تتردد كثيرا في تضاعيف نصوصه، وتراه يلحي باللائمة على من ناوأه من الحسّاد والمبغضين ولاسيمّا وهو المقرّب من الخلفاء والملوك والوزراء، تلك المكانة التي لم يحظ بها غيره من الناس، فهو ان حضر كان الأقرب من الخليفة من حاجز بينهما، وان غاب قليلا عنه بادر بالسؤال عنه وافتقده، بينما يكون غيره في حجاب عن الخليفة : (من الطويل)[1]

ولـــم يـــك لِـــي عيـــبٌ يُعـــاب بمثلـــه ... أولـــو الفضـــل إلّا مـــا تقـــوّل قائـــلُ

وســـــارتْ بـــــروّادِ الفضـــــائل كلّهـــــا ... مـــن الشّـــرقِ والتّغريـــب عنّـــي الرّواحـــلُ

وحُمّلـــتُ أعبـــاءَ العشـــيرةِ فـــي نـــدىً ... ويـــوم ردىً والعَـــوْدُ للعِـــبء حامـــلُ

وحـــــزتُ كرامـــــاتِ الخلائـــــق وادعـــــاً ... وشـــاطرني ضـــيقَ المكـــانِ الحُلاحِـــلُ

وأنجـــــدتُهمْ بـــــالرّأي والـــــرّأيُ عـــــازبٌ ... وجُـــدتُ لهـــمْ بـــالحزمِ والحـــزمُ ماطـــلُ

ولمّـــا اِجْتَبَـــوْني لـــم يَطُـــرْ بهـــمُ أذىً ... وبـــان لهـــمْ منّـــي صـــحيحٌ وباطـــلُ

وســـحّبتُ أثـــوابَ الملـــوك علـــى الثّـــرى ... وغيـــريَ مـــن حَلْـــيِ المكـــارمِ عاطـــلُ

ولِـــي موقـــفٌ عنـــد الخليفـــة ماادّعَـــتْ ... عـــديلاً لـــه هـــذي النّجـــومُ المواثـــلُ

أقـــوم ومـــا بينـــي وبـــين ســـريرهِ ... مقـــامٌ ولا لِـــي دونـــه الـــدّهرَ حائـــلُ

ويُحجـــبُ عنـــه الزّائـــرون وإنّنـــي ... إليـــه علـــى ذاك التحجّـــبِ واصـــلُ

وَمـــا غـــاب وجهـــي عـــن مـــدى لَحْـــظِ طَرْفـــهِ ... لَـــدى الخلـــق إلّا وهـــو عنّـــيَ ســـائلُ

---

(١) الديوان:٢/٢٧٤

ومن افتخاره بشخصه أيضا:(من الكامل)[1]

وَأَنــا الّــذي أَعييــتُ قبلــك مَــن رَسَــتْ أَطـــــوادُه واِستشـــــرفتْ أعلامُـــــهُ

وتتبّـــع المعـــروفَ حتّـــى طُنِّبـــتْ جــوداً علــى سَــنَنِ الطّريــقِ خِيامُــهُ

وله :(من المتقارب) [2]

وإنّـــــي أُشـــــيرُ بـــــرأيٍ يضـــــمُّ إلـــــى النُّصْـــــحِ تَجْرِبَـــــةَ العـــــالِمِ

أمّا ما يتعلق بالجانب الآخر، وهو الفخر بقصائده، فهي قلائد ينظمها لمن يستحقها، وهي كالجبال الشامخة وغيرها هباء، يحسدها الشعراء والخطباء:(من الطويل)[3]

فـــدونَكها فيهـــا معـــانٍ ســـترتُها وأنـــتَ عليهـــا دون غيـــرك أوقـــعُ

ولـــم يكـــنِ التّعـــريضُ مِنِّـــيَ خِفيـــةً وَلَكِنّنـــي مـــا اِســـطَعتُ للشّـــرّ أدفـــعُ

إذا قلـــتُ فـــيكم كنـــتُ للقـــول مُفصِـــحاً وكـــم عـــيَّ بـــالقول اللســـانُ مُتَعْتـــعُ

وكـم لـيَ فـي مـدحي لكـمْ مـن قصـائدٍ لهـنَّ علـى الآفـاقِ فـي الأرض مَطْلَـعُ

هذه القصائد كوضح النهار،لاشية فيها، ناجحة وسريعة وطويلة النفس، تنمُّ عن محاسنها بتضوع عبقها: (من الكامل)[4]

وإذا رضـــيتَ فضـــيلةً لِـــي لـــم أُبَـــلْ مـــن نـــام عنهـــا بـــالعيونِ الهُجَّـــعِ

خـــذها كمـــا وَضَـــحَ النّهـــارُ لمبصـــرٍ واِفْتَـــرَّ روضٌ غِـــبَّ غيـــثٍ مُقلِـــعِ

غـــرّاءَ تحســـبها نجـــاحَ لُبانـــةٍ هبّـــتْ عليـــك مـــن النّـــواجي النُّسَّـــعِ

([1])الديوان:٢/٣٩٥

([2]) الديوان:٢/٤٥٨، ينظر أمثلة أخرى:١/٥٨٤،٤٢٨،٣٧٤،٣٤٢،٣١٧،٣١١، ٢/٤٩٦،٤٩٥،٤٣٢،٣٢٠،٢٧٥،١٢

([3])الديوان:٢/٤٩

([4])الديوان:٢/٧٨-٧٩

ومتـــى أراد رواتُهـــا طيّـــاً لهـــا نمّـــتْ علـــى إحســـانها بتضـــوّعِ

كـم لِـي عليهـا مـن حسـودٍ شـاعرٍ شَـغَفاً بهـا أو مـن خطيـبٍ مِصْـقَعِ

والشّـعرُ مـا قُضِـيَتْ حقـوقٌ جَمّـةٌ فيـــه لســـامِي الكبريـــاءِ ســـمَيْدَعِ

وفي قصيدة طويلة وازن بها اليتيمة، أسهب في وصف تلك القصائد الخالدات التي تشق طريقها في البلدان- وكأنها جواد- من غير أن تُجبَر على ذلك في السهل والوعر، تلك القصائد تتراقص بها وتتغنى الأطيار،لاينكرها أحد لأنها كشمس الضحى٠٠٠٠ (من أحذ الكامل)[١]

فَلَـــئِنْ فُقِـــدْتُ فـــإنّ لِـــي كَلِمـــاً حَتمـــاً خَوالِـــدَ مـــا لَهـــا فَقْـــدُ

تفـرِي الـبلادَ ومـا يُحَـسُّ بهـا عَنَـــقٌ علـــى دوٍّ ولا وَخْـــدُ

مـــن كـــلِّ قافيـــةٍ مُرَقِّصَـــةٍ يشـــدو بهـــا الغِرّيـــدُ إنْ يشـــدُو

وإذا تضـــوّع نشـــرُ نَفْحَتِهـــا قـــال العَـــرَارُ تَضـــوّعَ الرَّنْـــدُ

طَلَعـتْ كَشـمسِ ضـحىً علـى أُفُـقٍ بيضـــاءَ لا يســـطيعها الجَحْـــدُ

وَكَأنَّمـــا أَغراضُـــها شـــرَرٌ فـــي وهـــنِ ليـــلٍ شـــبّها زَنْـــدُ

سَـــيّارةٌ جَمِـــحُ الكـــلام لهـــا سَـــمْحٌ وحُـــرٌّ فصـــيحها عَبـــدُ

يُثْنِـــي عليهـــا الحاســـدون علـــى إحســـانها وخصـــومُها اللـــدُّ

فَلَـــوَ آنَّ جـــوهرَ لَفظهـــا جســـدٌ لأضـــافَهُ فـــي سِـــلْكِهِ العِقْـــدُ

وفي قصيدة يمدح بها القادر، لايفوته أن يذكر هذه الأشعار العجيبة التي تروي ظمأ العطشان ، ولم يجد الرواة لها نظيرا: (من الكامل)[٢]

خـذها تَقَلَّـبُ بـين لفـظٍ لـم يَطُـفْ نُطـقُ الـرّواةِ بـه ومعنـىً أوحـدِ

---

(١)الديوان: ٣٧٦/١

(٢) الديوان:٤٠١/١

غــرّاءَ تســـتلبُ القَبـــولَ كأنّمـــا جـــاءَتْ تبشّـــرُ صـــادياً بـــالمورِدِ

والكلام يطول في ذكر إشادته بقصائده وتصانيفه، التي بزَّ بها غيره في عصره، وكان يبدأ وصفها بكلمة(خذها) وفي ذلك نحيل إلى ديوانه [1]

ومن خلال الاطلاع على الديوان، نجد الشاعر قد مزج الفخر مع أكثر الأغراض الأخرى وخاصة في المديح والرثاء والغزل والوصف ، ووجدنا أن فخره فخرُ عزةٍ وأنفة فقد جمع مابين القوة والرقة في بعض جوانبه، لكن أغلب المعاني والصور متكررة في الفخر بالقصائد، وليس هناك من جديد يخالف فيه من سبقه من الشعراء٠

ومع طول النفس الذي غلب على قصائد الفخر، كان يبدأ أغلبها بالغزل أو النسيب وذكر الديار، وأحيانا يدخل بالغرض مباشرة، وقد طغى عليها طابع التصريع في البيت الأول، الذي زادها جمالا ٠

([1]) الديوان: ٤٠٨/١، ٤٢٩، ٥٦٢، ٥٨٤ ، ٣٨٨/٢، ٤٧٠، ٤٥٩، ٥٥٤

المبحث الخامس:الوصف

يكاد يطغى الوصف على كل الأغراض الشعرية، ويدخل فيها، فلا تكاد ترى قصيدةً تخلو منه مهما كان موضوعها، سواء في الغزل أم الرثاء أم المديح ٠٠٠٠٠ والوصف يتجلى في " تصوير الظواهر الطبيعية بصورة واضحة التقاسيم، وتلوين الاثار الانسانية بالوان كاشفة عن الجمال، وتحليل المشاعر الانسانية تحليلا يصل بك الى الاعماق، الى غير هاتيك العناصر التي قد يحتاج وصفُها الى ذوق فنيّ، وتتطلب الاحاطة بنواحيها، والسمو الى آفاقها وجداناً شاعراً، واحساساً مرهفاً، وذوقاً سليماً" (١)

والشاعر العربي بطبعه وصّاف ماهر لكل ماتقع عليه عيناه في هذه الطبيعة، سواء كانت حية أم جامدة، وليس بخافٍ علينا ماوجدناه من شعر الوصف في شعر المعلقات وغيرها مرورا بالعصور الأدبية وصولا إلى عصر شاعرنا المرتضى، وقد ذكرنا في غرض المديح كيف يصف ممد وحيه ويعرض لصفاتهم وشجاعتهم وكرمهم، وفي الرثاء الذي غلب عليه الحزن والأسى أكثر من وصف محصل بأهل البيت وبخاصة الإمام الحسين عليه السلام وصور واقعة الطّف وغير ذلك ، ورأينا في الفخر تلك الصور التي اعتزَّ بها الشاعر وتحمسَّ لها، وذكر مكانته وشجاعته وفخر بها، فرسمَ لنا صورا تشخيصية حية أبدع في وصفها، والأمر مثله في الغزل إذ وصف هجرَ المحبوبة وصدِّها، وذكر الأماكن والديار، والطلل وأجاد في وصف السيف وعلاقته مابين المحبين وغيره من الأغراض الأخرى ٠

يقول ابن رشيق: " الشعر إلاّ أقله راجعٌ إلى باب الوصف ، ولا سبيلَ إلى حصره واستقصائه، وهو مناسب للتشبيه مشتمل عليه ٠٠٠٠ وأحسن الوصف مانُعتَ به الشيء حتى يكاد يكون عياناً للسامع" (٢)، وقد شاعت في العصر العباسي موضوعات تناولها الشعراء بالوصف ومن تلك الموضوعات، وصف القصور والبرك والحرّاقات والسفن والخمور ومجالسها والغناء ومجالسه والمغنيات وآلات الموسيقى والطرب والشطرنج وأنواع الطعام إلى غير ذلك، بيدَ أن الشاعر

---

(١) الوصف في الشعر العربي: عبد العظيم علي قناوي،مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط١/١٩٤٩م،ج١ ٤٢،

(٢) العمدة: ٢٩٤/٢

المرتضى لم يكن في هذا الجانب، وديوانه بعيد تماما عن مثل هذه الأمور، فكان وصفه كما ذكرنا، وقد صوّر بعض الموضوعات التي تثبت قدرته على الوصف، ومن هذه الموضوعات:

الشيب والشباب:

من الموضوعات التي أسهب المرتضى في وصفها، وقد ورد هذا الوصف على شكل قصائد مستقلة ومقطوعات وفي ثنايا قصائد أخرى في الغزل والفخر والمديح ولاسيّما في بدايات تلك القصائد.

وقد ورد في الشعر الجاهلي نصوص كثيرة تذم الشيب وتجعله عنوانا للموت أو هو النذير بقدوم الموت، وهو ضيف بغيض، كما في أشعار عدي بن زيد، وعبيد بن الأبرص، وعمرو بن معدي كرب وغيرهم [١] .

وقد ذكر الشريف المرتضى الشيب في كتابه (الشهاب في الشيب والشباب)" وأعلم أن الشيبَ قد يُمدَح ويُذَم على الجملة ثم يتنوع مدحُه إلى فنون، فيمدح بأنّ فيه الجلالةَ والوقارَ والتجاربَ والحنكةَ وانّه يَصرف عن الفواحش ويَصدُّ عن القبائح ويعظُ من نَزَل به فيقلل إلى الهوى طِماحَه وفي الغيِّ جِماحَه وان العمرَ فيه أطول والمهلَ معه أفسح وانّ لونَه انصعُ الألوان وأشرفُها وما جرى مجرى ماذكرناه ، فالتركبُ منه كثير ومن يذمُّه بأنه رائدُ الموت ونذيره وانه يوهن القوة ويضعف المنّة ويُطمِعُ في صاحبه وانّ النساءَ يَصدُدْنَ عنه ويعبن به وينفرن عن جهته" [٢].

وبهذا القول يمكن أن نتعرف على رأيه في الشيب وكيف تناوله من تلك الجوانب، ووضعه في قصائد ومقطوعات متفرقة وهو يرى في الشيب " متنفساً لتباريح وجده، التي حبسها وقارُ الدين

---

(١) ينظر: وصف الشيب وبكاء الشباب في الشعر الجاهلي ، دراسة أدبية نقدية، مواهب أحمد علي محمد: مجلة جذور، جدة، العدد ٤٢، يناير ٢٠١٦ ،٢٨١

(٢) الشهاب في الشيب والشباب: الشريف المرتضى ، مطبعة الجوائب، الأستانة، ٣-٤

والعلم " [1]، والآن لنطالع بعض تلك النصوص التي ساح فيها الشاعر بين مدح وذم وهجر للنساء بسبب هذا الضيف الثقيل الذي حلّ عليه ٠

يقول: إن الشيب فضح الشباب، وجرح قلب الشاعر، وصار الأمر جِدا بعدما كان الشباب لهوا ولعبا، وهو يحبُّ الليل ويكره الصباح لأن الصباح رمز للشيب ببياضه:(من الرمل) [2]

فَضـــحَ الشّـــيبُ شـــبابي فَاِفتَضَـــحْ ... ونَكـــا قلبـــي بـــه ثـــمّ جَـــرَحْ

جـــدَّ لِـــي مـــن بعـــد مـــزحٍ صـــبغُهُ ... ورَكـــوبُ الجِـــدِّ مـــن كـــان مَـــزَحْ

فَاِشـــتَفى منِّـــي عَـــدوِّي وَاِكتَفـــى ... وَرَأى كـــلَّ الَّـــذي كـــانَ اِقتَـــرحْ

والّـــذي طيّـــر عنِّـــي غُمَمِـــي ... حـــين وافـــى حَلَّـــهُ بعـــدُ جَلَـــحْ

فَـــاعجَبوا كُلّكُـــمُ مِنّـــي إذنْ ... أَعشـــقُ اللّيـــلَ ولا أهـــوى الصُّـــبُحْ

والشيب عنده إثمٌ ومرضٌ يصيب الفتى، كما تصاب الإبل بالجرب، فان لم يكن عنده ذنب فيكفيه أن يكون الشيب ذنباً:(من الوافر) [3]

وَمـــا مَـــرحُ الفتـــى تَـــزْوَرُّ عنـــه ... حُـــدودُ البِـــيضِ بالحَـــدَقِ المِـــلاحِ

ويُصـــبِحُ بـــين إعـــراضٍ مُبـــينٍ ... بـــلا ســـببٍ وهجـــرانٍ صَـــراحِ

وقـــالوا: لا جُنـــاحَ فقلـــتُ: كـــلّا ... مشـــيبِي وحْـــدَهُ فـــيكمْ جُنـــاحي

أَلَـــيسَ الشّـــيبُ يُـــدْنِي مـــن ممـــاتِي ... وَيُطمِـــعُ مَـــنْ قَلانِـــي فـــي رواحِـــي؟

مَشـــيبٌ شُـــنَّ فـــي شَـــعَرٍ ســـليمٍ ... كشـــنِّ العُـــرِّ فـــي الإبـــلِ الصّـــحاحِ

---

(1) الرؤيا الإبداعية لدى الشريف المرتضى: ١٢٨

(2) الديوان: ٣٥٨/١

(3) الديوان:٣٤٥/١

وله يصفه ثوبا من أثوابه لايفارقه: (من الخفيف)[1]

لَـــيسَ يبقـــى شـــيبي عَلـــى شَـــأنِهِ الأ وَلِ فـــي كَـــرّ هـــذِهِ الأحقـــابِ

مَـنْ عـذيري مـن المشـيب وقـد صـا رَ بُعَيْـدَ الشّـباب مـن أثـوابي؟

والمرتضى يكرر كثيرا هذا المشهد مع الغانيات اللائي يفزعن ويهربن منه بسبب المشيب الذي تبدلت القلوب بسبب تبدل سواد شعره: (من الكامل)[2]

وَمُخضّـبِ الأطـرافِ صَـدّ بِوجهـهِ لَمّـا رَأى شَـيبِي مكـانَ سـوادي

وَالغانِيـاتُ لـذِي الشّـباب حبائـبٌ وإذا المشـيبُ دنـا فهـنّ أعـادِ

شَـعَرٌ تبـدّل لونُـهُ فتبـدّلتْ فيـه القلـوبُ شـناءَةً بـودادِ

لَـم تَجنِـهِ إلّا الهمـومُ بِمَفْرقـي ويُخـالُ جـاءَ بـهِ مـعَ المـيلادِ

وتطالعنا صورة أخرى لهذا المشهد، لأنه أصلح من المنيّة :(من المتقارب)[3]

أمِـنْ بعـد سـتّينَ قـد جُزتُهـا تعجّـب أسـماءُ مـن شـيبتي

وأعجـبُ مـن ذاك لـوْ مـا كَبِـرْتُ وَلَـم يَنـزِلِ الشّـيبُ فـي لِمّتِـي

فَـإِن كُنـتِ تـأبَيْنَ شـيبَ العِـذار فكـمْ خُيّـبَ المـرءُ مـن مُنْيَـةِ

وَإِنْ أَنـتِ يَومـاً تخيّـرتِ لـي فَشـيبِيَ أصـلحُ مـن مِيتتِـي

وهو يرضى بأن يلبس ذاك اللباس الدنس وهو الشباب على أن يلبس ثوبا مدنسا وهو المشيب، لأنه صد عنه قلوب النساء وجعله من ناطق إلى أخرس:(من البسيط)[4]

---

(1)الديوان:١/٢٢٩

(2)الديوان:١/٤٠٧

(3)الديوان:١/٢٩٧

(4) الديوان:١/٥٨٨

قـد كـان لِـي غَلَـسٌ لا فجـرَ يمزِجُـهُ فـالآن فجـري بـلا شـيء مـن الغَلَـسِ

وَصـدّ عَنّـي قُلـوبَ البـيضِ نـافرةً وَسـاقَني اليـومَ مِـن نُطـقٍ إِلـى خـرسِ

إِن كـانَ شَـيبي نقـاءً قبلـهُ دنـسٌ فَقَـد رَضـيت بـذاكَ المَلـبسِ الـدنسِ

فَغـالَطوني وَقـالوا الشـيبُ مَطهـرةٌ وَمـا السـوادُ بِـهِ شَـيءٌ مِـنَ الـنجسِ

هذا الهاجس الذي لازمه وصرفه عن النساء ومنعه من التغزل:(من الكامل)[1]

فلَطالمـا أعرضـتُ عـن وجـهِ الهـوى وثنيـتُ عـن جهـة الغـواني كلْكَلـي

أمّـا وقـد صـبغَ المشـيبُ ذوائبـي للنّـاظرين فـلاتَ حـين تغـزّلِ

وأزال مـن خطـر المشـيب تـوجّعي علمـي بـأنْ لـيس الشّـبابُ بمَعْقِلـي

لكنه ثمر للسلامة والطمأنينة:(من مجزوء الكامل)[2]

لا تُنكِـرِي ثَمَـرَ المشيـ ب فإنّـه ثَمَـرُ السَّـلامَهْ

وبعد ان ملأ الشيب رأسه، فقد ابتعد عن الصبابة ولا يريدها لأن المشيب قد أوهن قواه، لكن قلبه صار قاسيا بعد زيارة المشيب٠٠٠ ، فلامجال للّهو واللعب بعد ذلك:(من الطويل)[3]

شـبابَكِ عنّـي فالمشـيبُ لباسـي وقـد مـلأتْ منـه الطّوالـعُ راسـي

ولا تطلبـي عنـدي الصَّـبابةَ بعـدها سَـفاهاً فـإنّي للصَّـبابةِ نـاسِ

فَلـم تُطْـفَ إلّا بِالمَشـيب عَرامَتـي وَلَـم يُمْـحَ إلّا بِالمَشـيب شِماسـي

وَمِـن غَيـر أَحـواضِ البَطالـةِ مشـربي وَفـي غَيـرِ أَسـبابِ الغـرامِ مِكاسـي

ومـا لِـيَ تَعـريجٌ إلـى ريـمِ رملـةٍ ولا لِـيَ إلمـامٌ بظبْـي كِنـاسِ

([1])الديوان:٢/٣٢١

([2])الديوان:٢/٤٥٥

([3])الديوان:١/٥٧٦

لَقَـد كــانَ قَلبــي كــالقلوب علــى الهَـوى فمُــذْ زارَ هَــذا الشّــيب صُــيِّرَ قــاسِ

فَــلا لَهْــوَ مُــذْ لاحَ المَشــيبُ بمَفْرَقــي وصــار قناعــاً فــي العيــون لراســي

مجيء الشيب أمرٌ حتمي لاخيار للشاعر فيه، لكنه عانى منه كثيرا، وقد عبّر عن ذلك من خلال صدِّ النساء وهجرهنّ له، واعتراضهنّ على تغيّر السواد إلى البياض في شَعَره ، فكانت أغلب الأبيات تؤكد على هذه الحالة ولشدّما كانت مرتبطة بالنساء وصدهنّ [1] ، " وليس غريبا أن يلحَّ موضوع الشيب على الشاعر كلّ هذا الإلحاح، فذلك انعكاس تلقائي للمعاناة التي كان يعيشها، وهي معاناة يعرفها كل الناس، لأن قضية الشيب ، ويمكن أن نقول – تجاوزا– قضية الزمن، هي قضية الإنسان الأولى، شباب يقبل فتقبل معه مسرات الحياة وأفراحها، لكنه سرعان مايولي كأنه الثوب المعار، ليحل محله المشيب، فيضرب بينه وبين متع الحياة التي كان يرد من حياضها سدا منيعا ويحيل أفراح الماضي لديه أتراحا" [2]، وقد شكل الشيب معادلا موضوعيا نفذ من خلاله الشريف المرتضى للحديث عن الموت، وانتهاء العمر وذهاب تلك اللحظات الجميلة، والشيب رمزٌ لأفول الشباب واضمحلال قواه وضعف عزيمته، انه الهاجس الذي يقضّ المضاجع٠

طيف الخيال:

من الموضوعات التي أبدع في وصفها، طيف الخيال، مع انه سُبقَ إلى ذلك من بعض الشعراء، وقد أورد المرتضى نفسُه في مقدمة كتابه ما يُمدح به الطيفُ ويُذم ومن ذلك" فمما يُمدح به أنه يعلل المشتاق المغرم، ويمسك رمق المعنّى المسقّم، ويكون الاستمتاع به والانتفاع به، وهو زُور وباطل،كالانتفاع لو كان حقا يقينا٠٠٠٠٠ومما يُمدح به، أنه زيارة من غير وعد يخشى مطله،

---

(1) ينظرماورد في الشيب في الديوان: ١/ ١٨٧،١٩١،١٩٧،٢١٨، ١٦٤،١٨٠، ٢٦٦،٢٦٣،٢٦٢،٢٥٧،٢٥٢،٢٤٦،٢١٩، ٣٣٥،٣٤٥،٣٧٨،٣٧٩،٣٩٣،٣٩٧،٤٠٣،٤١٦،٤٢٢،٤٤٤،٤٤٧،٤٧٣،٤٨٤،٥٠٨،٥١٤،٥١٩،٥٢٠،٥٤٤،٥٤٦ و٢/ ٢٧،٢٨،٦٧،٨١،١٩٥، ٢٤٦،٢٤٤،٢٢١، ٢٥٨، ٤٨٤،٤٧٥،٤٥١،٤٣٣،٤٢٨،٣٩٣،٣٦١،٣٢٨،٣١٨،٣١٠، ٥١٤

(2)الغزل في شعر الشريف المرتضى: دراسة موضوعية وفنية، رسالة ماجستير، منيب عبد الرزاق، جامعة القاهرة ، كلية الآداب ، ١٩٨٧م،٨٨

ويُخاف ليّه وفوته٠٠٠٠٠ فأما ذم الطيف، فانه قد يُذم بأنه باطل وغرور، ومحال وزور، ولا انتفاع بما لا أصل له، وإنما هو كالسراب اللامع، وكل تخيل فاسد٠٠٠" [١]

تناول المرتضى طيف الخيال في (٢٠) مقطوعة تتراوح أبياتها مابين(٥-١٢) بيتا، وقصيدة واحدة، إلى جانب أبيات متفرقة في بعض قصائده الأخرى، يقول :ان الليل هو الذي يأتيني بهذا المحبوب الذي يهوى تعذيبي، وان كانت زورته ليست حقيقة بل باطلة والباطل هنا أفضل من الحق لأنه لم يأتني بمحبوبي: (من السريع)[٢]

فديتُـــــهُ مـــــن زائـــــرٍ زارنـــــي واللّيـــــل مُسْـــــوَدُّ الجلابيـــــبِ
زار وفيـــــه كـــــلّ مـــــا ينبغـــــي فـــي النّـــاس مـــن حُســـنٍ ومـــن طِيـــبِ
ولـــــم يَضِـــــرْها أنّهـــــا زَورَةٌ لعـــــازبِ الآراء مكـــــذوبِ
باطلـــــةٌ روّتْ لنـــــا غُلَّـــــةً والحـــــقّ لـــــم يـــــأتِ بمطلـــــوبِ
لـــولا الكـــرى مـــا جـــاد لـــي بـــالمُنى معشّـــــقٌ يعشـــــقُ تعـــــذيبي
وكيـــف لا أهـــوى لذيـــذَ الكـــرى محبَّبـــــاً جـــــاء بمحبـــــوبِ

وأسوأ مافي هذا الطيف الزائر انه سريع الزوال:(من الطويل)[٣]

ولا عيـــبَ فيـــه غيـــرَ قـــربِ زوالِـــهِ علـــــى أَنَّ مُشـــــتاقاً أراد دوامَـــــهُ

وهو يجود بزيارته ليلا مع أن الأعذار فيه كثيرة، ومع هذا تبخل علينا بالزيارة نهارا ولاعذرَ لك معه! وماتزال توهمني بالوصل والقرب وهما لا أصل لهما:(من الطويل)[٤]

---

(١) طيف الخيال:الشريف المرتضى: تحقيق:محمد سيد كيلاني، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط١، ١٩٥٥م،١٤-١٦

(٢)الديوان:١/٢٦٦-٢٦٧

(٣)الديوان:٢/٤٥٦

(٤)الديوان:١/٥٤٤

أَيــا زائِــراً بِاللّيــلِ مِــن غيــرِ أَنْ يَســري وهــل زائــرٌ باللّيــل مــن غيــر أن يســري

وَيــا مُشــبهاً للفجــرِ ضــوءُ جبينِــهِ أبِــنْ لِــي قلــيلاً كيــف رُوّعــتَ بــالفجرِ

تَجــودُ عَلَينــا وَالمعــاذيرُ جَمّــةٌ وتبخــلُ بالجَــدوى وأنــت بــلا عــذرِ

وَلَمّــا تَعاتَبنــا علــى الهجــر صُــغتَ لِــي دَنُــوَّك مــن بُعــدٍ ووصــلكَ مــن هجــرِ

وَأَوليــتَ بِــرّاً لَــم يَكُــن عنــدَ واصِــلٍ إليــه وإن أغنــى نصــيباً مــن الشّــكرِ

ونبقى معه وهو يذم الطيف، ويظهر مساوئه، لأنه ظالم لا يأتي إلا في الظلام فلا حسنة في هذه الزيارة،لأنها لاتطرد سقما بل زادته ، وهل هناك في هذا الطيف الذي هو عبارة عن عدم؟ وهو سراب فما من ريٍّ لظامىء منه (من أحذ الكامل)[1]

خــــادَعْتَنِي بزيــــارةِ الحُلُــــمِ وظلمــتَ لمّــا جئــتَ فــي الظُّلَــمِ

وعــــددتها جهــــلاً بموقعهــــا مــــن جملــــةِ الإحســــانِ والــــنِّعمِ

وظننــــتُ أنّــــك طــــاردٌ سَــــقَماً فجلبــتَ لــي سُــقماً علــى سَــقَمِي

وَصْــلٌ بغيــر رِضــىً ولا لِهــوىً وعطيّــةٌ ليســتْ مــن الكَــرَمِ

كــذِبٌ ومــا شــكرٌ علــى كَــذِبِ مــا صــحّ فــي فكــرٍ ولا كَلِــمِ

ووددتُ مــن مَقْتــي مخــادعتي أنّ الرُّقــادَ جفــا فلــم أنَــمِ

قــالوا أمَــا اِســتمتعتَ قلــتُ لهــمْ هــل متعــةٌ لفتــىً مــن العَــدَمِ

مــا الطّيــفُ إلّا كالسّــراب ولا رِيٌّ بغيــرِ البــارِدِ الشَّــبِمِ

وقريب منه في قصيدة يمدح بها جلال الدولة سنة(٤٢٥هـ):(من البسيط)[2]

وزارنــي طيفُهــا وَهْنــاً فــأَوْهمني زيــارةً كنــتُ أرجوهــا فلــم أَنَــلِ

([1])الديوان:٢/٤٨٧

([2])الديوان:٢/٣٧١

هـــي الزّيـــارةُ معســـولاً تطعُّمُهـــا ولـيسَ فيهـا لنـا شـيءٌ مـن العَسَـلِ

لـــو كـــان طيفُـــك أوْلانـــا زيارَتَـــه علـى الحقيقـةِ مـا ولَّـى علـى عَجَـلِ

عَطِيّـــةُ النـــومِ مَنـــعٌ لا انتِفـــاعَ بهـــا للعاشـــقين وجـــودُ الطّيـــف كالبُخُـــلِ

والدلالات العامة والإشارات للطيف معلومة، الا ان هناك من الشعراء من وظّفَ الطيف توظيفا خاصا به، للتعبير عن حاجة شخصية، وهذا النوع من الدلالات بحاجة الى المزيد من التأمل والربط للوصول إلى المعنى المقصود من الطيف على الحقيقة" [١]

وبعد، فقد يكون الدافع في مخاطبة طيف الخيال وتنسيق هذا الكم من الأبيات فيه في ديوان الشاعر، قد يكون الرغبة في مجاراة الشعراء السابقين ولاسيّما البحتري الذي عُدَّ رائدا في هذا المجال، أو هروبا من الواقع السياسي والضغوطات في ذلك العصر، ولأنه رجل دين لايمكنه أن ينزلق كغيره من الشعراء في الفحش والوصف المشين ، فآثر ذلك مع طيف الخيال....[٢]

البرق:

اقترن ذكر البرق في الموروث العربي ولاسيّما الشعر بانتظار المطر،والأمل بأن يكون فألاً حسناً على الناس بما يجود عليهم من خصب ونماء في الأرض، وقد أكثر الشعراء من وصف البرق وسرعة ومضه، وتمنوا أن يصل نوره وخيره إلى ديار المحبوب، وان تهطل السماء مطرا في تلك الديار فتغنى وتنعم، ومن هؤلاء الشعراء الشريف المرتضى، الذي تناول هذا الموضوع بشكل واضح، فوصفه في (٨) مقطوعات وذكره في مجموعة أبيات كمقدمة للغزل في قصيدة واحدة، وكان فيها الدليل الى المحبوب، وهو الذي يذكره ببياض وجه المحبوب ، ويهيج عليه الأشجان، يقول:(من الطويل)[٣]

---

(١) ملامح الطيف في الشعر الجاهلي: مجلة مجمع اللغة العربية الأردني: د.حمدي منصور، د.أحمد زهير رحاحلة، العدد١،٧٦ يناير ٢٠٠٩

(٢)ينظر المزيد من شعر طيف الخيال:١/ ٣٧٢، ٤٤٠، ٥٠٦، ٥٥١، و٢/ ١١٤، ١٦٦، ١٦٧، ٢١٥، ٣٠٣، ٣٠٤ ،٣٣٧، ٣٥١، ٤٤٨، ٤٨٦، ٤٨٨، ٥٢٧، ٥٣٠، ٥٦٠

(٣)الديوان:٢/١٦٣

تَـــراءت لنـــا بـــالأبرَقَيْن بُـــروقُ شُـــروقٌ لأفـــقٍ غـــابَ عنـــه شُـــروقُ

كـــأنّ نجـــومَ الليـــل دُرٌّ وبينهـــا تلألـــؤ إيمـــاضِ الـــوميضِ بـــروقُ

وَمـــا خلـــتُ إلّا الـــوَرْسَ فـــي الأفـــقِ إنّـــه متـــى لـــم يَكُنْـــهُ الـــورس فَهْـــوَ خَلـــوقُ

كـــأنّ نجيعـــاً خـــالط الجـــوَّ أو جَـــرَتْ لنـــا بـــين أثنـــاء الغمـــامِ رحيـــقُ

يلـــوح ويخفـــى ثـــم يـــدنو وينتئـــي ويوســـع مـــن مجـــراه ثـــمّ يضـــيقُ

فمـــا خفقـــتْ إلّا كـــذاك جـــوانحٌ ولا نبضـــتْ إلّا كـــذاك عـــروقُ

وشـــوّقنِي إيماضُـــهُ نحـــو أوجـــهٍ لهـــنّ ســـناءٌ والمشـــوقُ مشـــوقُ

وفي نصٍ آخر يذكر كيف هيّج البرق الحزن في قلبه، وكأنّه سلّ سيفاً لامعاً في الظلمة وهداه إلى طريقه في تلك الظلمة بعدما أضلّ الطريق، وقد أبصرتُ بنوره ذلك الحي الذي يجمع الحِسان اللائي صَيّرنني عبداً بسبب تعلقي بهنّ، (من مجزوء الرمل)[1]

جلـــــب البـــــرقُ لقلبـــــي إذ ســـــرى بَرْحـــــاً طـــــويلا

سَـــــلّ لِلعَينـــــين فـــــي جُنْـــــ حِ الـــــدُّجى ســـــيفاً صـــــقيلا

وهـــــداني فـــــي سُـــــرى اللّيـــــ لِ وقـــــد جُـــــرتُ السّـــــبيلا

وأرانـــــــي مـــــــن بعيـــــــدٍ ذلـــــــك الحـــــــيَّ الحُلـــــــولا

وخيامـــــــاً حلّهـــــــنّ الـــــــ حســـــــنُ صَـــــــعْباً وذَلـــــــولا

لـــــــم أزلْ أســـــــأل فيهـــــــ نَّ علـــــــى الفقـــــــر بخـــــــيلا

وعزيـــــزاً صـــــرتُ فـــــي الحـــــ بِ لـــــه عبـــــداً ذلـــــيلا

كلّمـــــا اســـــتبدل منّـــــي لـــــم أردْ منـــــه بـــــديلا

([1])الديوان:٢/٣١٤

وليس دائما يذكره بالمحبوبة، وإنما قد يذكره بفتية أبطال كرماء، مشهودة شجاعتهم حازوا كل صفات الفضيلة ،(من مجزوء الرجز)[1]

ضَـــــرّمَ قَلبـــــي فاِضـــــطرمْ فـــــي أُفقِـــــه ذاك الضَّـــــرَمْ
كأنّـــــه نجـــــمٌ هـــــوى أو عَلَـــــمٌ علـــــى عَلَـــــمْ
يخفـــق فـــي جُـــنحِ الـــدّجى مُضَـــــوّئاً تلـــــك الظُّلَـــــمْ

ومنها:

أذكرنـــــــي إيماضُـــــــهُ عَيشـــــاً تَقضّـــــى واِنْصَـــــرَمْ
وَفِتْيَـــــــةً مُفهَقَـــــــةً صـــــدورُهمْ مـــــن الهِمَـــــمْ
مِـــــن نِعَـــــمٍ مخلوقـــــةٌ أيـــــديهمُ ومِـــــن نِقَـــــمْ
مـــــا فـــــيهمُ إلّا فتـــــىً ممتلـــــئٌ مـــــن الكـــــرَمْ
كـــم قـــد ســـرى فـــي كَـــرَمٍ فَمـــا اشـــتكى مـــن السَّـــأَمْ
وكـــم عـــلا فـــي سُـــؤْدُدٍ ظهـــرَ ثَبيـــرٍ واِضَـــمْ
إذا ادَّعـــى مـــا شـــاء مـــن فَضـــيلةٍ فمـــا ظَلَـــمْ

فكان البرق صاحبه في لياليه المظلمة، وهو الذي يهديه إلى أحبته وطريقه، ويذكره بمن تشوقه رؤيته، والتشوف إلى دياره.[2]

([1])الديوان:٢/٤٩٧-٤٩٨

([2])ينظر ما قال في البرق:١/٤٤٦، ٢/ ١٦٥، ٤٥٣، ٤٩٨، ٥٣٧، ٥٨٧

المبحث السادس:أغراض أخرى

وله مقطوعات قصيرة، أو أبيات متفرقة في موضوعات متعددة، ومن هذه الموضوعات ما يسمى بـ **(الإخوانيات)**: وهي نوع من المكاتبات الأدبية ورسائل تصور عواطف الشعراء والأدباء، ليس فيها تكسّب أو منفعة، وإنما تدفع إليها العواطف الصادقة بين الأصدقاء أو الأقارب من الشعراء، وفيه تبرز براعة الشاعر في تخير ألفاظه وصوره، وغالبا ما تكون في التهاني والتعازي والمسامرات وغيرها، فهو أدب الصداقة والصديق ٠

و**الإخوانيات** شعر وجداني يمثل الأواصر الاجتماعية ويصورها في ميدان الأخوة والصداقة في مختلف أشكالها ومعانيها متضمنة صورا من المودة والإخاء والاعتذار والتهنئة والعتاب والشكوى ، ومن هذه ماكتبه إلى الوزير أبي الفرج محمد بن جعفر بن فسانجس، والتي مطلعها:

مـا ضـرّ طيفَـكِ لـو والـى زيـاراتي ... مـا بَـينَ تِلـكَ المَحـاني والثَّنِيّـاتِ

وفيها يبدأ بوصف الرحلة إليه بمقدمة في النسيب ثم يذكر صفات الوزير في السلم والحرب، ويقسم بأبيات ليصل إلى جواب قسمه في تأكيد حبِّه له وشوقه لرؤيته:(من البسيط) [1]

لأنـتَ مِـن دونِ هَـذا الخلـقِ كلِّهِـمُ ... أَحـقّ فينـا وَأَولـى بـالموالاةِ

قُـدنِي إِلَيـكَ فمـا يَقتـادني بشـرٌ ... إلّا فتـىً كـان مـأوىً للفضـيلاتِ

وَاشـددْ يَـديك بمـا ناولـتَ مـن مِقَتِـي ... ومـن غرامـي ومـن ثـاوِي مـودّاتي

أَنـا الّـذي لا أَحـولُ الـدّهرَ عـن كَلَفِـي ... بِمـن كلفـتُ ولا أسـلو صـباباتي

لا تخـشَ منّـي علـى طـول المـدى زلـلاً ... فكـلُّ شـيءٍ تـراه غيـرَ زلّاتـي

سِـيّانِ عنـدي ولا مـنٌّ عليـه بـهِ ... مَغْنـى الأذى ومقـرّاتُ اللّـذاذاتِ

أَشـكو إلـى اللّـه أَشـواقي إِليـكَ ومـا ... فـي القلـبِ مِـن حـرّ لوعـاتٍ ورَوْعـاتِ

([1])الديوان:١/١٨١-٢٨٥

وَإِنّنـــي عاطِـــلٌ مِـــن حَلـــي قُربِـــكَ أو صِـــفْرُ اليـــدين خلـــيٌّ مـــن زيـــاراتي

ولـــو رأيتُـــك دون النّـــاسِ كلِّهِـــمُ قَضـــيتُ مِـــن هَـــذهِ الـــدّنيا لُبانـــاتي

وهناك قصيدة أرسلها الى أخيه الرضي يعاتبه فيها:(من الطويل)[1]

تكشّـفَ ظـلُّ العَتْـبِ عـن غُـرّةِ العهـدِ وَأَعـدى اِقتِـرابُ الوصـلِ مِنّـا علـى البُعـدِ

تجنّبنـي مـن لسـتُ عـن بعـضِ هجـرِهِ صـــفوحاً ولا فـــي قســـوةٍ منـــه بالجَلْـــدِ

نَضَـتْهُ يـدُ الإعتـابِ عمّـا سَـخِطتُهُ كمـا ينتضـى العضـبُ الجُـرازُ مـن الغِمْـدِ

وكنـتُ علـى مـا جـرّه الهجـرُ مُمسِـكاً بحبـــلِ وفـــاءٍ غيـــر منفصـــم العَقْـــدِ

أمـينَ نـواحي السِّـرِّ لـم تَسْـرِ غَـدرَةٌ بِبـــالِي ولـــم أحفِـــلْ بداعيـــةِ الصَّـــدِّ

إيابـاً فلـم نُشـرِفْ علـى غايـةِ النّـوى ولـم تَنْـأَ كـلَّ النـأْيَ عـن سَـنَنِ القصْـدِ

هَلُـمَّ نُعِـدْ صـفوَ الـودادِ كَمـا بـدا إعـادةَ مَـنْ لـم يلـفِ عـن ذاك مـن بُـدِّ

ونَغتَـــنِمُ الأيّـــامَ وَهْـــيَ طـــوائشٌ تـــؤاتي بـــلا قصـــدٍ وتـــأبى بـــلا عَمْـــدِ

وَمثلُـكَ أَهـدى أنْ يعـادَ إلـى الهُـدى وأَرشـدُ أنْ ينحـازَ عـن جهـةِ القَصْـدِ

فكان أن ردّ الرضي بقصيدة غرّاء من الوزن والقافية ذاتهما: ومنها (من الطويل)[2]

عَجِبـــتُ مِـــنَ الأَيّـــامِ إنجازَهـــا وَعـــدي وَتَقريبَهـــا مـــا كـــانَ مِنّـــي عَلـــى بُعـــدِ

وَإِنَّ اللَيـــالي مُـــذ لَبِســـتُ رِداءَهـــا تُحـاذِرُ مِـن حَـدّي فَتَـزري عَلـى جَـدّي

وَكُنـــتُ إذا الأَيّـــامُ جُلـــنَ بِســـاحَتي رَجَعـــنَ وَلَـــم يَـــبلُغنَ آخِـــرَ ماعِنـــدي

وَلَكِنَّهـــا نَفـــسٌ كَمـــا شِـــئتُ حُـــرَّةٌ تَصـولُ وَلَـو فـي ماضِـغِ الأَسَـدِ الـوَرِدِ

([1])الديوان:١/٢٠١

([2]) ديوان الشريف المرتضى: هامش ١/ ص٤٠١، وفي ٤٢٨/٢ قصيدة للمرتضى أجاب بها أخاه الرضي

وَأَعظَـــمُ مـــا أَلفَيـــتُ شَـــجواً وَلَوعَـــةً عِتـــابُ أَخٍ فَـــلَّ الزَمـــانُ بِـــهِ حَـــدّي

أَقيـكَ الـرَدى مـا كـانَ مـا كـانَ عَـن قِلـىً وَلَكِـــن هَنـــاتٌ كِـــدنَ يَلعَـــبنَ بِالجَلـــدِ

وَلا تَحسَـــبَنَّ القَلـــبَ جـــازَت كُلومُـــهُ إِلـــى القَلـــبِ إِلّا بَعـدَما حَـزَّ فـي الجِلـدِ

مَنَحتُـــكَ ماعِنـــدي مِـــنَ الصَـــدِّ مُعلِنـــاً وَعَقـــدُ ضَـــميري أَن أَدومَ عَلـــى الـــوُدِّ

وقد كتب إلى الوزير أبي علي الحسين بن حمد ، يحثه على العودة إلى بغداد عندما كان في واسط لكثرة اشتياقه إليه: (من المتقارب)[1]

ألا حبّـــــذا زمـــــنُ الحـــــاجرِ وإذ أنَـــا فـــي الـــورق النّاضـــرِ

وبعد مقدمة النسيب وذكر الشيب والطيف يصل إلى بث أشواقه إلى صديقه:

أقـــول لركـــبٍ أرادوا المســـير وقـــد أخـــذوا أُهْبَـــةَ السّـــائرِ

وَقَـــد وَقَفـــوا مِـــن لَهيـــبِ الـــوَداعِ علـــى حـــرِّ مســـتعرٍ فـــائرِ

فَمِـــن مَـــدمعٍ جامـــدٍ للفِـــراق وآخـــرَ واهـــي الكُلـــى قـــاطرِ

إِذا مـــا مَـــرَرتمْ عَلـــى واسِـــطٍ فَعوجـــوا عَلـــى الجانِـــبِ العـــامرِ

وَأَهـــدوا سَـــلامي إِلـــى غائـــبٍ بهـــا وهْـــوَ فـــي خـــاطري حاضـــري

إِلـــى كـــم أســـوّف منـــه اللقـــاءَ وكـــم أرتـــدي بُـــردةَ الصّـــابرِ

وقـد ضـاق بـي مُـذ نأيـتَ العـراقُ كمـا ضـاق عِقْـدٌ علـى شـابرِ

كـــأنِّيَ لمّـــا حمـــاك البِعـــا دُ عَـــن نـــاظرَيَّ بـــلا نـــاظرِ

وَإِنّـــيَ مِـــن فَـــرْطِ شَـــوقي إِليـــك ووجـــدي كســـيرٌ بـــلا جـــابرِ

([1])الديوان: ١/٥٠٨-٥١٠

وقد كتب إليه الأستاذ أبو سعد علي بن محمد خلف قصيدة يعزيه فيها بوفاة والده الطاهر، فأجابه المرتضى بقصيدة ، بدأها بالنسيب، ثم عرج على المشيب إلى أن يصل إلى الغرض وهو شكر صديقه على ماجاء في قصيدته السالفة:(من الكامل)[1]

يـــا أيّهـــا الأســـتاذ طُلْـــتَ تفضّـــلاً ... قـــولاً فخـــذ عنـــه جـــواب الشـــاكرِ

قـــولاً كمـــا رقّ النســـيم علـــى ثـــرىً ... عَطـــرِ النبـــات عقيـــب غيـــثٍ مـــاطرِ

وافـــى كمـــا طـــرق الرّقـــادُ تعلّقَـــتْ ... بعـــد الكـــلال بـــه جفـــون السّـــاهرِ

مـــا خِلتُـــهُ إلّا عَطيّـــةَ مـــانعٍ ... نَقَـــعَ الجـــوانحَ أو زيـــارةَ هـــاجِرِ

وكأنّـــه بعـــد المشـــيب مبشّـــرِي ... بإيـــابِ آونـــةِ الشّـــبابِ الناضِـــرِ

وظللـــتَ تتعـــتُ لـــي جميـــلَ مـــآثرٍ ... لـــولا ثنـــاؤك لـــم يكـــنّ مـــآثري

فمـــدائحي مشـــفوعةٌ بمـــدائحي ... ومفـــاخري مجموعـــة بمفـــاخري

لا تـــرهبَنْ منّـــي الملاَلَـــةَ فـــي الهـــوى ... وَارهَـــبْ مَلاَلَـــةَ مـــن لقيـــتَ وحـــاذرِ

وَاعلَـــمْ بـــأنّي لا أحـــول عـــن الّـــذي ... لـــكَ فـــي الجـــوانح مـــن محـــلٍّ عـــامرِ

وكتب إلى أبي الحسن أو الحسين البتي الكاتب يعاتبه على الإخلال بزيارته، وفيها عتاب شديد يؤكد عمق الصداقة بينهما:(من الوافر)[2]

أَضَـــنّاً بالتّواصـــلِ والتّصـــافي ... وبـــذلاً للتّقـــاطعِ والتّجـــافي؟

ونبـــذاً للمـــودّةِ عـــن مـــلالٍ ... كمـــا نُبِـــذَتْ حُصَـــيّاتُ القِـــذافِ؟

وســـيراً فـــي الجفـــاءِ علـــى طريـــقٍ ... شـــديدِ تَنَكُّـــرِ الأَعـــلامِ خـــافِ؟

إذا الأقـــدامُ خاطئـــةً خَطَتْـــهُ ... فمـــن كـــابٍ لجبهتِـــهِ وهـــافِ

([1])الديوان:١/٥١٨-٥٢١

([2])الديوان:٢/١٢٧

أيَـــا مَـــنْ بعثُـــهُ وَصْـــلي جُزافـــاً فقـــــابلني بهجـــــرانٍ جُـــــزافِ

أيَحسُـــنُ أنْ تُرَنِّـــقَ منـــك شـــربي قضـــاءً بعـــد إســـلافي سُـــلافي

وهكذا يمضي في العتاب الشديد والقاسي الذي لايخلو من الحسرة على البعد والفراق:

أتنســـى إذْ لـــديك شـــجونُ نفســـي وَإذ مَعـــكَ اِرتِبـــاعي واِصـــطِيافي

وَإذْ سِـــرِّي بِمَـــرأىً منـــك بـــادٍ ومـــا دونـــي لســـرّك مـــن سِـــجافِ

تُنـــازعني المســـائلَ والمعـــاني وتـــاراتٍ تُناشـــدني القـــوافي

وَكَـــم معنـــىً أَقـــام الميْـــلَ منـــه وقـــد أعيـــا ثِقافُـــك أو ثِقـــافي

وآخـــرَ ضـــلّ عنـــه رائـــدوهُ فَفـــازَ بـــهِ اِختطافُـــك واِختطـــافي

مجـــالسُ لـــم يكـــن فيهـــا طريـــقٌ لشَـــهْواتِ النّفـــوسِ علـــى العَفـــافِ

ألا يـــا ليـــتَ شـــعري عـــن صـــديقٍ تكـــدّر لِـــي لِمَـــنْ بعـــدي يُصـــافي

وبعدها يختمها بالسؤال عن وقت اللقاء بينهما، وان كان قد أذنب بحقه فهو يعترف بذنبه وهذا يكفي لغفران الذنب :

فيـــا راضـــي الجفـــاءِ متـــى التَّلاقـــي ويـــا جـــاني الـــذُّنوب متـــى التَّلافـــي؟

وَإن كُنـــتُ اِقترفـــتُ إليـــكَ جرمـــاً فَقَـــد ذَهـــب اِعتِرافـــي بِـــاِقترافي

وفي جانب آخر نجد المرتضى يكتب القصيدة إمّا ردا على قصيدة من صديق أو بناء على طلب من صديق أو وزير أو أديب... ومن ذلك ماكتبه رداً على قصيدةٍ من صديقه أبي إسحاق الصابي يؤكد فيها حبه وتعلقه به واشتياقه إلى رؤيته، ومطلعها:

أســـيدنا الشـــريفَ علـــوتَ عـــن أن تُضـــاف إليـــكَ أوصـــافُ الجلالَـــه

فقال المرتضى مجيبا بقصيدة عامرة بمشاعر الود والتقدير والشوق لصاحبه، بعد مقدمة طويلة في النسيب والغزل وفي طيف الخيال: (من الوافر)[١]

متـــى يُبـــدِي الكثيـــبُ لنـــا غزالَـــه ... ويُـــدني مـــن أنامِلنـــا منالَـــهْ

وكيـــف يُنيلنـــا مَـــن لـــيس نَلقـــى ... وقـــد وعـــد النّـــدى إلّا مِطالَـــهْ

أراد زيـــــارتي غلطـــــاً فلمّـــــا ... مـــددتُ لنيلهـــا كفِّـــي بـــدا لَـــهْ

ويختمها بعد النسيب بذكر الصّابي وأسرته، وتطرق الى مدح قصائده- المرتضى-، والاعتذار عن أن تبلغ مايستحقه من مدح وثناء:

فخـــذها اليـــومَ قافيـــةً شـــروداً ... تجـــوب بهـــا الـــبلادَ ولا ضـــلالَهْ

فـــإنْ قَصُـــرَتْ فقـــد أغنتْـــكَ منهـــا ... إشـــاراتٌ لَطُفْـــنَ عـــن الإطالَـــهْ

وهناك نصوص أخرى في الديوان تؤكد علاقاته الحميمة مع المقربين إليه من الأدباء والوزراء [٢].

والغرض الآخر هو **الحكمة**، وقد وردت الحكمة في أشعار المرتضى بكثرة وفي أغراضٍ شتى، وكانت خلاصة تجاربه في الحياة وما رآه وخبره في عمره الطويل، وبلاشك فهو نتاج حصيلة ثقافة شاعر وناقد وعالم وشخصية بارزة في المجتمع، وقد أورد صاحب كتاب مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي، عددا كبيرا من أبيات المرتضى في الحكمة [٣]، ومن هذه الحكم:من الطويل) [٤]

---

(١) الديوان:٢/٣٠٠

(٢) الديوان: ١/ ١٨٨،٢٠٨، ٢٨١،٣٣٦، ٣٤٥، ٣٩١، ٤٨٣، ٥٠٥،٥١٣، ٥١٧، ٥١٨، ٥٧٣، ٢/ ٤١، ١٠٧، ٢٥٠، ٣٥١، ٥٤٩،٤٢٨، ٥٣٥ ،٤٣٤، ٥٧٦

(٣) ينظر: مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي: أحمد قبش ، دار الرشيد، دمشق، ط٣،١٩٨٥،ص ٤٦٨،٤٦٢،٤٥٨،٤٥٧،٤٥٦،٤٥٢،٤٥١،٤٢٥،٤٢٠،٤٠١،٣٨٩،٩٨،٩٢،٨٢،٣٥،٣٠،٢٧،٢٠، وغيرها الكثير.

(٤) الديوان:٢/ ١٧١

وَمـــا المَـــرءُ إلّا عرضـــةٌ لمصـــيبةٍ فطـــوراً بنـــوهُ ثـــم طـــوراً شـــقيقُهُ

وَمـــا الـــدّهرُ إلّا تَرْحَـــةٌ بعـــد فرحـــةٍ فـــلا كـــان منـــه بِـــرُّهُ وعقوقُـــهُ

ومن حكمه :(من البسيط)[1]

أَنْجِـــدْ إذا شـــئتَ فـــي الأَرزاقِ أَو أغِـــرِ فَلســـتَ تَأخـــذ إلّا مِـــن يَـــدِ القـــدرِ

وَمـــــا أَصـــــابكَ وَالأقـــــدارُ كافلـــــةٌ بـــأن يصـــيبك لا تَلْويـــه بالحـــذَرِ

فَكّـــرْ بِقَلبـــكَ فيمـــا أَنـــت تُبصـــرُهُ فَـــالأرض مَملـــوءةُ الأقطـــار بـــالعِبَرِ

وَلا تَبِـــتْ جَـــذِلاً بِالشّـــيء يتركُـــهُ عليـك خطـبٌ جفـا عمـداً ولـم يَـذَرِ

ولا تقـــلْ فاتـــتِ الأخطـــارُ إنْ عَزَبَـــتْ فَلَـــم يَفـــتْ خَطَـــرٌ إلّا إلـــى خَطَـــرِ

أجِـــلْ لِحاظَـــكَ فـــي الأقـــوامِ كلِّهـــمُ فَلَســـتَ تُبصِـــرُ إلّا سَـــنْحةَ البَصَـــرِ

أسلكْ أيّ طريق شئت في طلب الأرزاق، في الأماكن العالية أو في الغور، فانّ رزقك مكفول لك ومقدر، وما تناله لن تفقده بحذرك منه، والدنيا مملوءة بالعبر لذا عليك أن تفكر قبل الإقدام على شيء، ولاتغرنّك الأيام فتفرح بأنها لم تأخذ منك ما أعطته، فكلما فات خطر جاء غيره٠٠٠ (من مجزوء الكامل)[2]

لا تَســـــتَعِنْ أبـــــداً بمـــــنْ يحتـــاجُ منـــك إلـــى معونَـــهْ

وَافـــزعْ إلـــى نصـــرِ الّـــذي نَصَـــر الأنـــامَ بـــلا مَؤُونَـــهْ

وإذا وفـــــى لـــــك بـــــالمرا دِ فـــــلا تكـــــنْ أبـــــداً خؤونَـــــهْ

فجهـــاتُ مَـــن لـــبس التُّقـــى محروســـةٌ فيـــه مَصـــونَهْ

---

(١) الديوان:٥٢٦/١

(٢) الديوان:٥٢٩/٢

ويقول في نص آخر، إذا صاحبي وبي مثل الذي به من الشكوى والوجد أو غيره، والتقينا أطلنا التشكي، والذي لايعلم بما أحمل من الأذى فانه يلومني :(من الطويل)[1]

إذا صـــاحبي أضـــحى وبـــي مثـــلُ مـــا بـــه غـــداةَ تلاقينـــا أطَلْنـــا التَّشـــاكِيا

يَلـــومُ المُعـــافى وهـــو خِلـــوٌ مـــن الأذى ولـــم يَعْنِـــهِ مـــن أمـــره مـــا عنانِيـــا

ونراه يؤكد مبدأ حرية المرء وبخاصة من لم يطمع منهم ويذلّه الطمع، وإذا كان قلبه خاليا من ذكر الحسناوات وربات الخدور، والعزُّ لمن ابتعد عنهنَّ، والأهم من ذلك أنه لايتقبل ان يكون جاره معسرٌ وجائعٌ وهو حاوٍ للغنى: (من البسيط)[2]

كُـــلُّ الرّجـــالِ إذا لـــم يخشـــعوا طمعـــاً ولـــم تكـــدّرهمُ الآمـــالُ أحـــرارُ

يَكســـو الجديـــدَ لمَـــن يَعتـــام مِنحتَـــه ولبسُـــه الـــدّهرَ أَهـــدامٌ وأطمـــارُ

ذلّ الّـــذي فـــي يـــد الحســـناءِ مهجتُـــه ومـــن لـــه فـــي ذواتِ الخِـــدْرِ أوطـــارُ

وعـــزّ مَـــن لا هـــوىً منـــه وكـــان لـــه عنـــه مـــدَى الـــدّهرِ إقصـــاءٌ وإقصـــارُ

مـــا ســـرّنِي أنّنـــي أحـــوِي الغِنـــى وبـــدا فـــي كـــفِّ جـــارِيَ إعســـارٌ وإقتـــارُ

ويحذر من صحبة الأنام وخاصة الذين يترصدون الأخطاء، فعليك بصحبة نفسك، وما يضرُّك إذا كان عرضك مصاناً وأثوابك مرقوعة؟ فيصون الإنسان نفسه بماله لايدنسه:(الخفيف)[3]

كُـــنْ أَخـــا نفسِـــكَ الَّتـــي أَنـــت منهـــا آمـــنٌ واِحـــذَرِ الأنـــامَ جميعـــا

لا تُصـــخْ نَحـــوهُم بســـمعٍ فكـــم لا مـــوا وَقـــوراً مـــنهم وَأعفَـــوا خليعـــا

مـــا يضـــرّ الفتـــى إذا صـــحَّ عِرْضـــاً أن يـــرى النَّـــاسُ ثوبَـــهُ مَرقوعـــا

---

(١) الديوان:٢/٥٨٨

(٢) الديوان:١/٤٦٩

(٣) الديوان:٢/ ٦٥، ينظر في الديوان أبيات الحكمة ومنها: ١/ ١٩٩، ٢٧٩، ٢٨٦، ٣٢٥، ٣٣٤، ٣٣٨، ٣٧٠، ٣٧٣، ٤٥٧، ٢/٣٦، ٥٠، ٧٤، ٨٥، ١١٩، ١٥٨، ١٦٧، ٢٢٧، وغيرها كثير

والعتاب من الأغراض التي وردت في ديوانه في أكثر من قصيدة، وقد لاحظنا ذلك في الفخر والمديح، وأحيانا يكون ممزوجا بالشكوى، من الزمان ومن تغير الناس الى غير ذلك، وممن عاتبهم المرتضى في قصائده، الخلفاء والأمراء وبعض الأخوان المقربين والذين رآى فيهم تغيرا وتلونا في علائقهم، مما أثر في نفسه كونه شاعر بآلام مجتمعه، طموحا إلى تغييره نحو الأفضل٠

ومن عتابه: (من الوافر)[١]

أذمّ إليـــكَ كَلْمـــاً لَـــيس يُؤْســـى ... وداءً لَـــيسَ يَعرفـــهُ الطَبيـــبُ

وَدَهـــراً لا يُصـــيخُ إلـــى نَصـــيحٍ ... وَعَيشـــاً لا يَلَـــذُّ ولا يطيـــبُ

وَكَـــم لِـــي مِـــن أَخٍ أُوليـــهِ نُصـــحِي ... وَمـــا لـــي فـــي نَصـــيحَتِهِ نصـــيبُ

لـــه منّـــي البشاشـــةُ فـــي التَّلاقِـــي ... ولِـــي منـــه البَســـارةُ والقُطـــوبُ

يَعيـــب تَجَنِّيـــاً والعيـــب فيـــه ... وقـــد نـــادت فأَســـمعتِ العيـــوبُ

أَلا هَربـــاً مِـــنَ الإخـــوانِ جَمعـــاً ... فَمـــا لـــكَ مِـــنهُمُ إلّا النُّـــدُوبُ

وَلَـــولاهمْ لَمـــا قَـــذِيتْ جفـــوني ... وَلا سَـــقيتْ إلـــى قلبـــي الكُـــروبُ

وَلا طُويـــتْ عَلـــى أَوَدٍ قنـــاتي ... وَغلّـــس فـــي مفـــارِقيَ المشـــيبُ

فأنت ترى الألم واضحا في ثنايا الأبيات، وهو يبث حزنه من هذا الدهر وأهله الذين لايستمعون النصح، ويقابلونه بالقطوب والعبوس ردا على بشاشته، وهم أهل العيوب لكنهم يعيبون الناس ولا ينظرون إلى عيوبهم، مما جعله يصرح بالهروب منهم جميعا،فهم الذين جلبوا له الهم والغم وأسرع المشيب إلى رأسه بسببهم ٠٠٠٠

ويكرر هذا المعنى في الديوان في أكثر من موضع، ومن ذلك: (من البسيط)[٢]

---

(١) الديوان:١/١٩٦

(٢) الديوان:١/٢٦٥

مـا اِرتبـتُ مـنكمْ علـى مـرِّ الزّمـانِ فلِـمْ ... ملأتُـمُ اليـومَ أضـلاعي مـن الرِّيَـبِ

وقـد صَـدقتُكُمُ حتّـى رأيـتُ لكـمْ ... ومـا كـذبتكُمُ حظّـاً مـن الكَـذب

مـا خِيـرَ لِـي فـي اِختيـاري وُدّكـمْ وَزَرٌ ... آوِي إليـه ولا أنجحـتُ فـي الطّلـبِ

وكنـت مـنكمْ قريبـاً قبـل غـدركُمُ ... فصـرتُ أبْعَـدَ مـن جِـدٍّ إلـى اللّعِـبِ

فـلا تُـدِلّوا بـإثراءٍ أُتـيحَ لكـمْ ... لا خَيـرَ بعـدَ اِفتِقـارِ العِـرْضِ بالنَّشَـبِ

مـا ضـرّكمْ لـو وهبـتمْ لِـي جمـيلَكُمُ ... فـأيُّ شـيءٍ مـن الإجمـال لـم أهَـبِ

قَـد كنـتُ أَحسـبكمْ والظـنُّ مَطْمَعَـةٌ ... عـزّاً لِـذي الـذُلِّ أو حِـرْزاً لـذِي العَطَـبِ

حتّـى صـحبتُكُمُ جهـلاً بخيـرِكُمُ ... ثـمَّ اِختبـرتُ فَكنـتمْ شَـرَّ مُصْـطَحَبِ

فَليـتكمْ مـا عرضـتُمْ لـي مـودَّتكم ... وَلَيتَنـي كنـتُ مـدعوّاً فلـمْ أُجـبِ

هذه الحقيقة تبقى معه وهو يشكو ذلك التناقض والنفاق، فلا طائلَ من هذه الروابط مع هكذا أناس، وهنا تبلغ به حالة اليأس مبلغا كبيرا: (من الطويل)[1]

رَأَيتـكَ لا تَرعـى حُقـوقي ولـم تُصـخْ ... إلـى القـول منّـي حيثمـا أنـا ناصـحُ

فجهـرُك لـي مُـرْضٍ وسـرُّك مُسـخِطٌ ... ووجهـكَ بسّـامٌ وقلبُـك كـالحُ

ووُدُّكَ لـي إمّـا سـرابٌ بِقِيعَـةٍ ... وإلّا فبـرقٌ خُلَّـبُ الـوَمْضِ لائـحُ

وإلّا هشـيمٌ فـي فضـاءٍ تكـدُّهُ ... محكّمَـةٌ فيـه الرّيـاحُ البـوارحُ

وَمـا لـيَ منـكَ اليـومَ إلّا أَظـافرٌ ... حِـدادٌ وأنيـابٌ بجلـدِي جـوارحُ

تُمزّقنـي عَمْـداً كأنّـكَ مخطـئٌ ... وَتَقـذِفني جِـدّاً كأنّـكَ مـازحُ

([1])الديوان: ١/٣٣٦

ويعاتب الخليفة الطائع عتابا خفيفا، لأنه كان يريد لقاءه ولم يحصل ذلك، بينما غيره التقى به، وهو لايستحق من وجهة نظر الشاعر، وربما ينكر فضل الخليفة بعد ان حصل له هذا الشرف، وقد حُرم منه المرتضى" (من الكامل)[1]

ما لي يُتيّمني لقاؤك وهْو لِي ... شَطَطٌ وغيري فيه كلُّ القادرِ

وَلَربّما أَلغى حقوقك واصلٌ ... وأتاك يشرح في رعاية هاجرِ

وَأَحقّ ما أَرجوه منك زيارةٌ ... أُدعى لها في النّاس أيمنَ زائرِ

أَرَبٌ متى قضَّيتَه ببلوغه ... كثّرتَ شَجْوَ مُكاثري ومفاخري

وله عتابٌ شديدٌ وجهه إلى سلطان الدولة البويهي الذي أمر بقتل فخر المُلك الذي كانت تربطه بالمرتضى علاقة متينة، ومدحه بمدائح كثيرة وكذلك بمراثٍ تفيض ألماً:(من المتقارب)[2]

غُلبتمْ بنقضِكُمُ عهدَهُ ... ومن غلّبَ الغدْرُ لم يغلِبِ

بأيِّ يدٍ قُدتمُ غِرَّةً ... خِزامةَ ذا المُقرَمِ المُصْعَبِ

وكيف ظفِرتُمْ وبُعدُ المنا ... ل بينكُمُ بسنا الكَوكبِ

وَكَيف عَلِقْتُم عَلى ما بِكمْ ... من العَجْزِ بالحُوَّلِ القُلَّبِ

وأينَ يميلُ نُكُمُ والعُهو ... دُ تطايحنَ في نَفْنفٍ سَبْسَبِ

وَأَصبح ملكُكُم بعدَه ... بغير ذراعٍ ولا مَنكِبِ

أَمِنْ بَعد أَن قادَها نحوَكمْ ... نفوراً مُحَرَّمَةَ المركبِ

وَأَولَجها بَين أَبياتكمْ ... وَلَيسَ لَها ثَمَّ من مرغَبِ

وَدافع عنها لِغير القوي ... يِ كلَّ شديدِ القُوى مُحرِبِ

([1])الديوان:١/٥١٢

([2])الديوان:١/٢٣٤

تُجازونَـــــهُ بجـــــزاء العـــــدوِّ وتَجْزونَـــــه أُسْـــــوَةَ المُـــــذنِبِ

ويبقى عتابه يحمل معاني الألم والحسرة، والدعوة الى الحب والتماسك والالتزام بالعهود والمواثيق، والى ضبط النفس وحفظها.[1]

وهناك أغراض أخرى توزعت في الديوان، مثل الزهد والشكوى والوعظ والاعتبار والاعتذار وفي التوكل على الله والذم والتذمّم وفي الشكر، إلى غير ذلك من الأغراض التي تطرقنا إلى جوانب منها، وخوف الإطالة لم نتطرق إليها بشكل أوسع، وفيما سبق ما يغني عن الباقي في الكشف عن شاعرية الشريف المرتضى، وكيفية تناوله لتلك الموضوعات.

(1) ينظر الديوان:١/ ١٦٥، ١٩٨، ٣٥٤، ٤٧٧،٤٧٨، ٥٤٢،٥٤٧،٥٦٦، ٢/ ٥٥، ٧٩، ٩٧، ١٢٤، ٢٢٦،٣٠٩، ٣١١، ٣٧٥، ٤٨٢، ٤٨٦، ٤٩٢، ٥٢٧، ٥٣٠، ٥٣١، ٥٤٦، ٥٦١، ٥٦٢، وغيرها

الباب الثاني
الدراسة الفنية

الفصل الأول

قراءة في مكونات النص الشعري

المبحث الأول: بناء النص الشعري (بناء القصيدة):

النص الشعري– القصيدة – كيانٌ مستقل، يحكمه نظامٌ خاصٌ قائمٌ بين عناصر النص وأجزائه، يوحّد العلاقات بين تلك العناصر والأجزاء، وهذا النظام ليس ذا صبغة عقلية منطقية، وإنما هو ذو صبغة إبداعية، تقوم على رؤية الشاعر للعالم، ولذلك نجد هذا النظام متنوعا متعددا مثلما هي جوانب العالم نفسه.

هذا الكيان يعتمد على الأركان الأساسية وهي: المطلع والمقدمة والتخلص الى الموضوع الأساس والخاتمة، وقد كان للنقاد القدامى اهتمام بهيكل القصيدة، فجعلوا هذه العناصر المقياس في تحديد براعة الشعراء الفنية، فاشترطوا عليهم أن يجتهدوا في تحسين المطالع والتخلص إلى الموضوع والخاتمة.

وان كانت نظرتهم تميل غالبا إلى تفكيك هذا الهيكل، من خلال العناية بالأبيات المفردة وكونها الأحسن مادامت تستقل بنفسها، كما يرى ذلك ابن سلام، وابن رشيق القيرواني، فهما يؤيدان البيت القائم بنفسه: " ومن الناس من يستحسن الشعرَ مبنيا بعضه على بعض، وأنا أستحسن أن يكون كل بيتٍ قائماً بنفسه لايحتاج إلى ماقبله ولا إلى مابعده وما سوى ذلك فهو عندي تقصير إلا في مواضع معروفة" [١].

على أن هذا التفكيك، يشعر بوجود ترابط بين أجزاء القصيدة العربية، وهو يعني إن القصيدة تتشكل من مقاطع متتالية، أي وحدات شعرية مترابطة، يقود كل مقطع الى المقطع الذي يليه.[٢]

ويمكن أن يرجع عدم اهتمام النقاد بالوحدة العضوية في القصيدة، إلى اهتمامهم ـ بوصفهم لغويين ونحويين وبلاغيين ـ بالتفتيش عن البيت المفرد، والبحث عن المثل والشاهد [٣]، ويتصل

---

(١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: ٢٦١/١

(٢) ينظر: أسس النقد الأدبي عند العرب: د. أحمد بدوي، دار نهضة مصر، ط١، ١٩٩٦، ٣١٩–٣٢٠

(٣) ينظر: مقدمة القصيدة العربية في الشعر الجاهلي: د. حسين عطوان، دار المعارف، مصر، ١٩٧٠، ٢٣٣

هذا الكلام عن حسن الابتداء وحسن التخلص وحسن الختام عند النقاد القدامى بارتباط أجزاء القصيدة، لكنهم لم يتوسعوا في ذلك كما هو في النقد الحديث.

" والشاعر الحاذق يجتهد في تحسين الاستهلال والتخلص؛ وبعدهما الخاتمة، فإنها المواقف التي تستعطف أذهان الحضور، وتستميلهم إلى الإصغاء " (١)

يؤيد هذا التلاحمَ في أجواء النص الشعري ماذهب إليه الدكتور شوقي ضيف إذ يقول: " ليست القصيدة خواطر مبعثرة تتجمع في إطار موسيقي، إنما هي بنية نابضة بالحياة، بنية تتجمع فيها إحساسات الشاعر وذكرياته، لتكون مزيجا لم يسبق إليه من الفكر والشعور، وهو مزيج مركب من حقائق كثيرة وجدانية وعقلية " (٢)، " والحق إن القصيدة العربية – إذا تحقق لها الصدق الفني والموهبة القادرة – لم تكن على هذا النحو من التفكك الذي رماها به هؤلاء النقاد والشعراء..." (٣).

والآن لنطالع مكونات النص الشعري عند الشريف المرتضى، بحسب تلاحمها عنده:

المطلع:

أكد النقاد القدامى على المنطلق الأول والمفتاح لكل قصيدة وهو المطلع، فذكر صاحب العمدة " إنّ الشعرَ قفلٌ أوله مفتاحُه، وينبغي للشاعر أن يجوِّد ابتداءَ شعره؛فإنه أول مايقرع السمع، وبه يُستدل على ماعنده من أول وهلة، وليجتنب "ألا" و "خليليَّ" و " قد" فلايستكثر منها في ابتدائه؛ فإنها من علامات الضعف والتكلان، إلا للقدماء الذين جروا على عِرق، وعملوا على شاكلة، وليجعله حلواً سهلاً، وفخماً جزلاً، فقد اختار الناس كثيراً من الابتداءات..." (٤)

وذكر الرازي في روضة الفصاحة " وهو أن يبتدئ الشاعرُ في أولِ شعره، والكاتب في أول رسالته، بلفظٍ بديعٍ مصنوع، ومعنى لطيف مطبوع، ويحترز من كلمات يتطيَّر بها أو يكون فيها

---

(١)الوساطة بين المتنبي وخصومه: القاضي الجرجاني، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، المكتبة العصرية، بيروت، ط١،٢٠٠٦، ٥١

(٢) في النقد الأدبي: د. شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط٩، ٢٠٠٤ ،١٥٣

(٣) الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر: د. عبد القادر القط، مكتبة الشباب، مصر، ط١، ١٩٨٨، ٣٢٥ ومابعدها

(٤) العمدة: ٢١٨/١

ركاكة، فانّ المطلعَ أول مايقرع السمعَ، وربما تفاءل به الممدوح أو بعض الحاضرين" [١]، وهذا يعني أن إجادة الاستهلال ضمانٌ لإقبال السامع على بقية أجزاء القصيدة.

وبما أن القصيدة نصٌّ مصنوعٌ، فانّ المطلعَ يكون أفضلَ شيءٍ في هذه الصناعة، كونه المقدمة لما بعده، وربما غطّى المطلعُ بحسنه على كثير من المعايب الواقعة بعده.[٢]

أمّا ابن طباطبا العلوي (٣٢٢هـ) فقد حدد ما يجب على الشاعر بقوله " وينبغي للشاعر أن يتحرز في أشعاره ومفتتح أقواله مما يتطير به أو يُستجفى من الكلام والمخاطبات، كذكر البكاء، ووصف إقفار الديار، وتشتت الأُلّاف، ونعي الشباب، وذم الزمان لاسيّما في القصائد التي تتضمن المدائح أو التهاني..."[٣]، وأورد ابن معصوم المدني(١١٢٠هـ) ما أكده أصحاب البيان " قال أهل البيان: من البلاغة حسن الابتداء، ويسمى براعة المطلع، وهو أن يتأنق المتكلم في أول كلامه، ويأتي بأعذب الألفاظ، وأجزلها وأرقّها وأسلسِها وأحسنها، نظماً وسبكاً، وأصحّها مبنىً، وأوضحها معنىً، وأخلاها من الحشو، والرِّكة والتعقيد، والتقديم والتأخير الملبس والذي لايناسب"[٤].

وكلما اقترن المطلع ببراعة الاستهلال، ازداد جمالا، عندما يكون مطلع الكلام دالا على غرض المتكلم من غير تصريح، بل بإشارة لطيفة، وتكون براعة الاستهلال " بالبدء بما يكون فيه الماحٌ الى المقصود الأول من النصّ الأدبي، وإبداع يجذب الانتباه، ويأسر المتلقي سامعا أو قارئاً، مع حسن سبكٍ وعذوبة لفظٍ ، وصحةِ معنى"[٥]، ومن جماليات المطلع، التصريع [٦]الذي

---

(١) روضة الفصاحة: محمد بن بكر الرازي، تحقيق: خالد الجبر، دار وائل للنشر، ط١، ٢٠٠٥، ١٥٤

(٢) ينظر: منهاج البلغاء وسراج الأدباء: حازم القرطاجني، تحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٣، ٣٠٩

(٣) عيار الشعر: ابن طباطبا العلوي، تحقيق، عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ٢٠٠٥، ١٢٦

(٤) أنوار الربيع في أنواع البديع: علي بن معصوم المدني، تحقيق: شاكر هادي شكر، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، ط١، ١٩٦٨، ٣٤/١

(٥) البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها: عبد الرحمن الميداني، دار القلم- دمشق، دار الشامية- بيروت، ط١، ١٩٩٦، ٥٥٩/٢

(٦)التصريع: هو توافق نهايتي الشطرين- المصراعين- وبقافية متشابهة، وغالبا مايكون في مطالع القصائد(مدخل إلى البلاغة العربية:د.يوسف أبو العدوس، دار المسيرة للنشر والتوزيع،الأردن،ط١، ٢٠٠٧ -٢٩٢).

يزيد النغم قوة، وأحسن الابتداءات ماناسبَ المقصودَ ويسمى "براعة الاستهلال" [١].

وليس شرطا أن يكون البيت الأول هو المطلع، فربما احتاج الى مايتمم المعنى بعده، كما في الغزل مثلا، وان كان ذلك مما يحسب على الشاعر لا له.

ويحدد الدكتور يوسف بكّار اتجاه المعاصرين ووجهة نظرهم في المطلع على نوعين: منهم من يرى أن المطلع هو مفتاح القصيدة كما يرى الأقدمون، وهو الذي يفتح عليهم سائر القصيدة، وقسم آخر لايرى ذلك وإنما يكتب القصيدة، ومن ثم المطلع [٢].

إنّ تركيب القصيدة من غزل ومديح ووصف الرحلة وأغراض أخرى، ليس تفكيكا لها، وعدم ارتباط وتناغم بين أجزائها، " ولكننا حين ننظر إلى القصيدة في ضوء نفسية الشاعر التي كان المطلع صدىً لها، يختلف الوضع اختلافا كبيراً، حيث نجد حينئذٍ ان المطلع ليس خروجا ولا بعداً عن موضوع القصيدة، بل وليس مجرد تقليدٍ التزمه الشعراء القدماء، وإنما هو منهج فنيّ يتيح للشاعر أن يبرز لنا من خلاله خواطره ومشاعره نحو موضوع القصيدة.." [٣].

هذا الرأي يدلل على حرية الشاعر في بثّ مشاعره في القصيدة، ولاسيّما في المطلع، فليس هو مجرد شخص يحاكي الأقدمين فقط، والذي يعضّد هذا ماذكره الدكتور عز الدين إسماعيل " أما تقدير النقاد العرب للقصيدة من حيث بنيتها وتركيبها، فقد كان متأثرا بمفهوم وحدة البيت، ولم يتصوروا أن وحدة الشعور هي التي ينبغي أن تتحكم في هذه البنية " [٤]، لكن في عصورنا الحديثة والمعاصرة، أصبحت للمَطالع أهميةٌ كبرى في القصيدة، وصار المطلع يُمجَّد من قبل النقاد والأدباء والقراء، كلما كان شديد الصلة بالموضوع الذي أنشئت له القصيدة.[٥]

---

(١) معجم النقد العربي القديم: د. أحمد مطلوب، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١،١٩٨٩، ٦/١

(٢) بناء القصيدة في النقد العربي القديم (في ضوء النقد الحديث): د. يوسف حسين بكّار، دار الأندلس، بيروت، ط٢، ١٩٨٢، ٣٠٢-٣٠٤

(٣) مطلع القصيدة العربية ودلالته النفسية: د. عبد الحليم حفني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١، ١٩٨٧، ٦

(٤) الأسس الجمالية في النقد العربي – عرض وتفسير ومقارنة: د. عز الدين إسماعيل، دار الفكر العربي، القاهرة ط ١، ١٩٩٢، ٣٠٧

(٥) أسس النقد الأدبي عند العرب: ٣٠٨

والشاعر في مطالعه التي تكون تمهيدا للدخول في المديح أو الرثاء أو الفخر، يظل ملتزما بالتصريع بقدر كبير فيها، مع تزيينها بالألفاظ الرقيقة الموحية بالإحساس والانصهار في الآخر، ولكن بشكل متفاوت مابين هذه الأغراض، فأكثر ماورد التصريع في قصائد المديح والتهنئة وبنسبة ٨٦%، وفي الفخر والحماسة بنسبة ٧٩%، وفي الرثاء بنسبة ٦٧%، وتقل هذه النسبة في الأغراض الباقية، ففي الغزل كانت نسبة التصريع في المطالع ١٨%، وفي النسيب ١٣% ، وفي الشيب ٢٤%، وقد كانت القصائد الطوال هي صاحبة النصيب الأوفر من هذا التصريع، كما هو الحال في الأغراض الثلاثة الأولى، وهو في كل قصائده التي صرّع بها البيت الأول لم يتجاوزه إلى أبيات أخرى مصرّعة وإنما اكتفى بالبيت الأول، إلا في عدد قليل جدا منها [١]

ومن مطالعه في مديح فخر الملك: (من أحذ الكامل)[٢]

سائِلْ بِيَثْربَ هَل ثَوى الرَّكبُ أَم دونَ مَثواهم بهِ السَّهْبُ؟

وَلَقَد كَتمتُهمُ هَوايَ بِهم وَالحبُّ داءٌ كَظمهُ صَعْبُ

ويصل إلى غرض المديح بعد (١٢) بيتاً من هذا النسيب وذكر الديار الخالية من الأحبة٠

ومن قصيدة أرسلها إلى صديقه الكاتب علي بن محمد النيرماني:(من الخفيف)[٣]

حَلّ ذاكَ الكِناسَ ظبْيٌ ربيبُ عاصتِ الصَّبْرَ في هواه القلوبُ

وقلّما يرد ذلك مع والده: (من المنسرح)[٤]

شُدَّ غُروضَ المطيّ مُغترِبا فلم يَفُزْ طالبٌ وما دَأَبا

لا درَّ في النّاس دَرُّ مقتصدٍ يَأخذ مِن رزقهِ الّذي اِقتربا

---

(١) سيرد ذكره في مبحث الموسيقى الشعرية– الداخلية

(٢) الديوان:١/١٧٧

(٣) الديوان: ١/١٨٨

(٤) الديوان:١/٢٠١

ومن قصيدةٍ يمدح بها فخر الملك:(من الطويل)[1]

أمِن أجلِ مَن سارتْ بهنَّ الأباعرُ ضحىً والهوى فيهنّ قلبُك طائرُ؟

جزعتَ لأنْ غابوا وتلك سفاهةٌ تُلامُ بها لو أنّ لُبَّك حاضرُ

ومن رثائه في جدِّه الحسين عليه السلام :(من الطويل)[2]

خذوا من جفوني ماءَها فهي ذُرَّفُ فَما لكُمُ إلّا الجَوى والتَلَهُّفُ

ليدخل في الغرض بصورة مباشرة، وكذلك في رثاء أخته:(من الكامل)[3]

صَمَت العواذلُ في أَساكِ وسلّموا لمّا رأوْا أنّ العزاءَ محرَّمُ

لاموا وكم من فائهٍ بملامةٍ هو عند نُقّادِ الملامةِ ألْوَمُ

هذا التصريع يثبت قدرة الشاعر الفنية وهي عادة ألفناها عند الشعراء الفحول، لما فيه من جمال موسيقي، لذلك أخذ حجمه الواسع في نصوص المرتضى في أغراضه المتعددة ٠

المقدمة:

كان اهتمام النقاد العرب بمقدمات القصائد كبيرا، وهو ممزوج باهتمامهم بالمطالع، حيث لم يفرق أغلبهم بين المطلع والمقدمة، وعدّوا البيت الأول مطلعا واستهلالا ومقدمة، ومرّ بنا قول ابن رشيق " أن الشعر قفل أوله مفتاحه" وكذلك أكد ابن طباطبا أن الابتداء هو المطلع وما بعده، ولم يفرقوا بينهما بشكل دقيق، الأمر الذي سار عليه أغلب النقاد المحدثين.

لم تكن المقدمات في الشعر العربي واحدة، فقد كانت غزلية وطللية، وهما اللتان نالتا حظاً وافراً من بين حجم المقدمات الشعرية، مع أنّ المقدمة في الطيف والشيب والطبيعة والفروسية كانت إلى جانبهما، وهنا يرجح الدكتور يوسف بكّار الاهتمام بالمقدمتين الغزلية والطللية دون سواهما إلى

([1]) الديوان:٤٥٨/١

([2]) الديوان:١١٥/٢

(٣) الديوان:٤٢٠/٢

سببين:" أولهما: نقصٌ في استقراء القدماء، والآخر– وهو ما يحتمل الترجيح– كثرة المقدمات الغزلية والطللية كثرة استحقت الاهتمام عندهم "[١].

أمّا الدكتور حسين عطوان فقد حدّد المقدمات بنوعين؛ مقدمات أساسية ومنها المقدمة الغزلية والطللية ووصف الظّعن ومقدمات ثانوية ومنها بكاء الشباب والفروسية ووصف الطبيعة...[٢]

وهذه مبنية في أغلبها على النظرة إلى القصيدة الجاهلية التي تعد الأصل في استنباط القواعد والتأسيس للمباني النقدية والفنية فيما بعد.

" وللشعراء مذاهبٌ في افتتاح القصائد بالنسيب لما فيه من عطف القلوب واستدعاء القبول، بحسب ما في الطباع من حب الغزل والميل الى اللّهو والنساء..."[٣]، كما" إن ظاهرة المقدمات نشأت مرتبطة بالبيئة ونوع الحياة والحضارة فيها، وأنها ظلت موصولة بها ومتطورة معها، وبذلك لم تتحول إلى تقليد فني فارغ من المشاعر والأفكار..." [٤]

والمرتضى لم يخرج عن هذا النمط في المقدمات، فكانت اغلب مقدماته غزلية، ووقوف على الطلل وذكر ديار الأحبة، وأحيانا يطرق غرض القصيدة مباشرة، وبخاصة في الرثاء والفخر والحماسة، ولم يُطل الوقوف على الأطلال كحال الأقدمين، واكتفى بالإشارة بعد المرور عليها، ربما من باب الولاء لذلك التراث الأدبي السالف، والمقدمة الطللية قليلة في ديوانه، وقد يعود ذلك لانشغاله بالغرض المهم في القصيدة، ومن ذلك القليل قوله:(من الخفيف)[٥]

أَعلى العهدِ منزلٌ بالجنابِ كان فيه متى أردتُ طِلابي؟

المَغاني تلكَ المَغاني فَهل فيـ هنَّ ما قَد عهدتُ مِن أَطرابي؟

لَيستِ الدّارُ بعد أن توحش الدّا ر ترى غيرَ جندلٍ وترابِ

---

(١) بناء القصيدة العربية: ٢١٢

(٢) ينظر: مقدمة القصيدة العربية في الشعر الجاهلي:٢٣٧

(٣) العمدة: ٢٢٥/١

(٤) مقدمة القصيدة العربية في العصر العباسي الأول: د. حسين عطوان، دار المعارف، مصر، ط١، ١٩٧٤، ٢٦٠

(٥) الديوان:٢٢٩/١

وإذا لم يُعدْ نحيبي على الرّبْ عِ حَبيباً فليسَ يُغني اِنتِحابي

يفتتح هذه القصيدة – وهي في مدح فخر الملك– بذكر الديار ومن كان فيها ممن يحب، ويتساءل أمازالتْ تلك الديار تتذكرني؟ إنها كما هي ولكن أليس فيها مايسعدني؟ إن بكائي إذا لم يعد اليّ من أحب فلا نفع فيه، ويستمر في مقدمته حتى يصل إلى ذكر من يحب ويحدثها عن المشيب الذي عانى منه الكثير، ومن ثم يصل الى غرضه الأساس وهو المديح :

إنّ نُعْماً وكان قلبيَ فيما أَلِفَتْهُ موكَّلاً بالتّصابي

سَأَلتني عنِ الهَوى في ليالٍ ضاعَ فيهنَّ مِن يديَّ شَبابي

فَمَتى ما أَجَبتُها بِسوى ذكـ رِ مَشيبي فَذاكَ غيرُ جوابي

صارَ منّي مثلَ الثَّغامة ما كا نَ زَماناً مُحْلَوْلِكاً كالغُرابِ

وفي مقدمة أخرى في الفخر، يبدأ بذكر الرحيل عن محبوبته وان تنتظر عودته، وان كانت قد فجعت برحيلي عنها فانه قد فجع برحيل الشباب عنه، ثم يذكر الشيب إلى أن يصل إلى ذم الأعداء الذين كانت وعودهم معدومة مثل السراب٠٠٠٠ (من الوافر):[1]

إذا سارتْ بنا خُوصُ الرِّكابِ ورُحنا بالهوادج والقِبابِ

دعي ما لا يردُّ عليكِ شيئاً وقومِي فانظري مِنّي إيابي

فإنْ فُجِعتْ يمينُك بي اِرتحالاً فقد فجعتْ يَميني بالشّبابِ

فما يُجدي زفيري إذْ توالى ولا يُغني بكائي واِنتحابي

إنّ المقدمة الغزلية هنا لم تكن هي المقصودة بذاتها، لكنها منهج فنيّ يتيح للشاعر أن يبرز لنا من خلاله خواطره ومشاعره نحو موضوع القصيدة.

---

(١) الديوان:١/٢٤٦

ويظل الشاعر في أكثر مقدماته الغزلية وغيرها حريصا على التناغم بين الشطرين، ربط المطلع بالمقدمة وموضوع القصيدة بشكل متسلسل، من ذلك ما قدم به للمدح:(من الكامل)[1]

لِي منزلٌ ولمنْ سلاكمْ منزلُ فدعوا العَذولَ على هواكمْ يعذُلُ

وإذا مررتُ بغيرما أسطيعُهُ فمن الضّرورةِ أنّنِي لا أَقبَلُ

بأبي وأُمّي راحلٌ طَوْعَ النّوى ويَوَدُّ قلبي أنّه لا يَرحلُ

حتى يصل إلى المدح بعد (١٢) بيتاً من هذه المقدمة٠

هذا بالإضافة إلى عدة مقدمات طرق فيها الموضوع مباشرة من دون الحاجة إلى تهيئة النفوس بالمقدمة الغزلية أو الطللية أو شكوى الدهر وغيرها، يحدد ذلك عظم الحدث، فلاتكون النفوس ملتفتة في هذه الحال إلى المقدمة وان كانت غزلية لطيفة، بقدر اهتمامها بالحدث ولاسيّما في الرثاء٠

التخلص:

هو الانتقال مما افُتتِح به الكلام من غزل أو مدح أو هجاء... إلى الغرض المقصود، مع مراعاة المناسبة بين المفتتح والقصد، فلاينقطع الاتصال فيفقد القارئ وحدة الانفعال، وهي خطوة صعبة لايخطوها الاّ الشاعر المتمكن، صاحب الخبرة، الذي يصل مابعد المقدمة بها وصلا ليس فيه اقتضاب، فيُعدّ خللا في النظم.

إنّ القدامى من النقاد حرصوا على العناية بالشكل، والخروج من جزء الى آخر بشكل يشعر بالتحام الأجزاء وتماسكها، وعدم وضع حواجز واضحة بينها.

وأغلب الشعراء القدامى لم يحسنوا هذا الفن، إذ كانوا ينتقلون من الغزل أو الوصف إلى المدح أو غيره انتقالا مفاجئا، أو يفصلون بـ"دع ذا" أو غيرها وهو مايسمى " اقتضابا" [٢]

---

(١) الديوان:٢/٧٤

(٢) ينظر: البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها:٢/٥٦١، دراسات بلاغية ونقدية: د. أحمد مطلوب، دار الحرية، وزارة الثقافة والإعلام، العراق، ط١، ١٩٨٠، ٥٧٣

عرفّه ابن الأثير(٦٣٨هـ) " أما التخلص– وهوأن يأخذ مؤلف الكلام في معنى من المعاني، فبيناهو فيه إذ أخذ في معنى آخر غيره وجعل الأول سببا إليه–فيكون بعضه آخذا برقاب بعض، من غير أن يقطع كلامه، ويستأنف كلاما آخر، بل يكون جميع كلامه كأنما أفرغ إفراغا، وذلك مما يدل على حذق الشاعر، وقوة تصرفه..." [١]، وابن طباطبا العلوي يؤيد مافعله الشعراء المحدثون– في عصره– في تخلصهم، ويشترط على الشاعر أن " يسلك منهاج أصحاب الرسائل في بلاغاتهم، وتصرفهم في مكاتباتهم، فإنّ للشعر فصولا كفصول الرسائل، فيحتاج الشاعر إلى أن يصل كلامه على تصرفه في فنونه صلة لطيفة، فيتخلص من الغزل إلى المديح، ومن المديح إلى الشكوى، ومن الشكوى إلى الاستماحة،....بألطف تخلص وأحسن حكاية، بلا انفصال للمعنى الثاني عما قبله، بل يكون متصلا به وممتزجاً معه" [٢]، لأن النفس تنفرُ من الانتقال إلى معنى جديد من دون توطئة مناسبة له،" ولأن المخاطب يكون مترقبا ومنتظرا لهذا الانتقال " [٣]

والشريف المرتضى يحسن التخلص في معظم قصائده، فيأتي البيت الرابط سَلِساً لايقرع الأذنَ، ولا يشعر بفجوة عما قبله، ومن ذلك قوله بعد مقدمة غزلية، عرّج بعدها على ذكر الشيب، وتخلّص منه إلى غرضه في مدح فخر الملك :(من الخفيف) [٤]

أيُّها الرّاكب المغِذُّ على وجـ ناءَ مثل العَلاةِ كالحرفِ نابِ

لَيسَ يَدنو منها الكلالُ ولا تَنْـ فَكُّ عَن عَجْرَفيّةٍ وهِبابِ

وفي أغلب القصائد يأتي التخلص إلى الغرض بعد عدة أبيات في الغزل أو النسيب أو الفخر، متسلسلاً منسابا بشكل لايشعرك بتلك الفجوة التي تكون كالحجر في الطريق، ومن هذا ما نجده في قصيدته التي مطلعها:(من الطويل) [٥]

---

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ابن الأثير: تحقيق: د. أحمد الحوفي، د. بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطبع والنشر،ط٢، ١٩٧٣

(٢) عيار الشعر:١٢، وينظر:١١٥

(٣)علم البديع، دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع: د. بسيوني عبد الفتاح فيّود، مؤسسة المختار للنشر، مصر، دار المعالم الثقافية للنشر، السعودية، ط٢، ١٩٩٨، ٢٥٩

(٤) الديوان:٢٢٩/١

(٥) الديوان:٣٢٣/١

سَلِ الجِزْعَ أينَ المنزلُ المتنازحُ وهل سَكَنٌ غادٍ من الدّار رائحُ؟

وبعد(٢٣) بيتا من النسيب والغزل، والفخر بنفسه يصل الى مدح فخر المُلك:

أمِنْ بعد أنْ دُسْتُ الثّريَّا بأَخمصي وطأطأ عنِّي الأبلخُ المتطامحُ

تَرومين أَنْ أَغنى بِدارِ دناءَةٍ ولِي عن مقامِ الأدنياءِ منادِحُ

وَقد عَلمتْ أحباءُ فِهْرِ بن مالكٍ بأَنِّيَ عن تلك العَضائهِ نازحُ

وأَنَّيَ لا أدنو من الرّيبةِ الّتي تسامحُ فيها نفسُه من تسامحُ

وأَنِّيَ لا أرضى بتعريضِ معشرٍ يُذعذِعُ عِرْضِي قولُهُ وهو مازِحُ

يَحُزّ فلا يدرِي لمن هو جارحٌ ويقدح لا يدرِي بما هو قادحُ

وما غرّنِي من مومضٍ فيَّ مِدْحَةً وَما غَرّتِ الأقوامَ إلّا المَدائحُ

وَلَولا فَخارُ الملكِ ما كنتُ ثاوياً وَرَحلي عَلى ظهرِ المطيّةِ بارحُ

ومن حسن تخلصاته، من قصيدة يهنيء بها جلال الدولة بعيد الفطر، يصل الى ذلك بعد ستة أبيات من وصف رحلة الأحبة وترك الديار وبث زفراته ووجده على فراقهم إلى أن وصله صوت الغراب منذرا برحيلهم، ومؤذنا بتحية الملك الذي يسدُّ ألمَ الفراق:(من الطويل)[١]

أَبِالبارقِ النّجديِّ طرفُك مُولَعُ يخُبّ على الآفاقِ طوراً ويُوضِعُ؟

ولمّا أراد الحيُّ أن يتحمّلوا ولم يبقَ لِي في لُبْثَةِ الحيِّ مَطمعُ

جرتْ لِي حياتي من جفوني صبابةً وظنّ الغبيُّ أنّما هي أدمعُ

فَليتَ المَطايا إذ حَملن لنا الهوى حُدِينَ عَشيّاً وهْيَ حَسْرى وظُلّعُ

فإنْ لم يكونوا أنذروا بفراقهمْ وفاجَأَنا منه الرُّواءُ المروِّعُ

---

(١) الديوان:٤٦/٢

فَقَد صاحَ قَبل البين لِي بفراقهمْ غرابٌ على فرعِ الأراكةِ أبقعُ

سَلامٌ على ملكِ الملوك يقودُه وليٌّ يناجِي بالتّحايا فيُسمِعُ

وفي قصيدة أخرى يصل إلى التخلص بعد (٢٢) بيتا من الغزل، حتى يصل الى الحداة الذين يطلب منهم أن يقولوا لهذا الملك أنه نال مالم ينله كسرى وغيره من الملوك:(من البسيط)[١]

ما للخيالِ الّذي قد كان يطرقنا أَيّامَ وَصْلكُمُ قد عاد يطرُقُني

نَفَتْ يقينِيَ عن قلبي أباطِلُهُ فما لعينِيَ حقٌّ لا ولا أُذُني

قُلْ لِلحُداة وقَد زَمّوا لِرحلَتِهِمْ يومَ الفراقِ خياشيماً من البُدُنِ

دقّتْ وما زالتِ الأشطانُ تجذبُها إلى المَهامِهِ حتّى صِرْن كالشَّطَنِ

حملتُمُ اليومَ قلبي في هوادِجكمْ فليس ينفعُني أنْ تحملوا بدني

ولستُ في وطنٍ فارقتموهُ وفي رِحالكمْ حيثما يمَّمْتُمُ وطني

يا صاحبيَّ على ما الدّهرُ مُحدثُهُ من مركبٍ لَيِّنٍ أَوْ مركبٍ خَشِنِ

قولاً لملكِ ملوك الأرض كلِّهمُ والرّكن للدّين والماضي على السُّنَنِ

قد نِلتَ ما لم يَنل كسرى ولا بلغتْ هِمّاتُ عمرٍو ولا سَيفِ بن ذي يَزنِ

وهذا غالب في أغلب قصائده وخاصة في المديح والفخر ويقلُّ في الرثاء الذي يغلب عليه الدخول المباشر في الموضوع ٠

خاتمة القصيدة:

هي آخر شيء يعلق في الأذهان ولاتقل أهميتها عن المطلع عند النقاد، يقول ابن رشيق "وخاتمةالكلام أبقى في السمع، وألصق بالنفس؛ لقرب العهد بها؛ فإن حسنت حسن، وإن قبحت

---

(١) الديوان:٢/٥٥١-٥٥٤

قبح، والأعمال بخواتيمها، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ".[1] واشترطوا ان يكون الاختتام في كل غرض بما يناسبه في السرور والحزن، وأن يكون اللفظ مستعذباً والتأليف جزلا، وأن يكون أجود بيتٍ في القصيدة، وأدخل في المعنى الذي قصد له الشاعر في نظمها وبما ان الشاعر يستنزف كل طاقاته وقواه في نظم مطلع القصيدة ومن بعده الموضوع لذلك كانت عناية النقاد بخاتمة القصيدة أقل منها بمطلعها [2].

ولأنه آخر مايطرق الأسماع، أو يقع عليه نظر القارئ " فيحسن فيه أن يكون بمثابة أطيب لقمة في آخر الطعام، أو بمثابة آخر اللمسات الناعمات المؤثرات التي تعلق في النفوس، وتسكن عندها سكون ارتياحٍ، وتظل لها ذكريات تحرك النفوس بالشوق إلى المزيد من أمثال ذلك الحديث"[3].

وكلما كان البيت الأخير دالاً على عدم وجود آخرٍ بعده كان ذلك دليل ابداعٍ يحسب للشاعر، وفي ذلك يقول صاحب العمدة: " وأما الانتهاء، فهو قاعدة القصيدة، وآخر ما يبقى في الأسماع وسبيله أن يكون محكما لاتمكن الزيادة عليه ولايأتي بعده أحسن منه، وإذا كان أول الشعر مفتاحا له وجب أن يكون الآخر قفلا عليه " [4]

كما يستحسن أن تختم القصيدة بمثل أو حكمة أو يمتدح الشاعر قصائده في الختام معبرا عن قيمتها الفنية، وإنها درر تهدى إلى من يستحقها وبخاصة في المديح، أو بالدعاء للممدوح وغيره.

لقد كانت خواتيم قصائد الشريف المرتضى مناسبة مع الغرض الذي أراده، ففي الرثاء كانت خواتيم تلك القصائد عبارة عن الدعوة للميت بالرحمة والمغفرة، وان يكون من أهل الجنة، أو الدعوة الى الصبر والسلوان وتحمل هول المصيبة، ومع الإمام الحسين عليه السلام كان يدعو على الأعداء، ويعبر عن غزارة دموعه ألما وحزنا، وهنا لايطلب الرحمة لأهل البيت لأنهم هم الرحمة للبرية، ومن

---

(١) العمدة:٣٥٥/١

(٢) ينظر: بناء القصيد العربية: ٢٢٩

(٣) البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها:٥٦٣/٢

(٤) العمدة: ٢٣٩/١

ذلك في رثاء زوجه التي دفنها في كربلاء في حرم الإمام الحسين عليه السلام، وهو يلوم الدهر الذي فرق مابينهما:(من الكامل)[1]

فَــرَقَ الزَّمــانُ ومــا درى مــا بيننــا والــدّهرُ مِفــراقٌ لنــا مِجْمــاعُ

وفي رثاء الإمام الحسين عليه السلام، يختمها بتحية الإمام وأهل بيته، ويعلن تمسكه بهم وثباته على نهجهم ولن تزلَّ قدمُه عن طريقهم:(من الطويل)[2]

عليكم سلامُ اللَّهِ عيشاً وميتَةً وسَفْراً تطيعون النّوى وحلولا

فما زاغ قلبي عن هواكم وأخمصي فلا زلّ عمّا ترتضون زليلا

وفي المديح يختم بالدعاء للممدوح، وإبراز مكانته في نفسه أو في المجتمع، وأنه لامثيل له، والاعتذار عن التقصير في حق الممدوح لأن البلاغة لاتسعفه في ذكر صفات الممدوح التي لاتوصف٠٠٠ومن ذلك ماختم به قصيدته في مدح الوزير أبي الفرج محمد بن فسانجس، وهو يدعو له بالعيش بعز ولطف ، وأن يُكفى شرّ البليات، لأنه صاحب خلق لم يعنّف أحدا فلذا سيُكفى إعنات الدنيا له: (من البسيط)[3]

فَعِشْ كما شئتَ من عزٍّ يطيف بهِ للَّهِ جَيشٌ كثيفٌ من كفاياتِ

وَلا بُليتَ بِمَكروهٍ ولا قَصُرَتْ منك الأناملُ عن نيلِ المُحبّاتِ

فلم تكنْ مُعْنِتاً من ذا الورى بشراً فَكيفَ تُبلى منَ الدنيا بِإِعْناتِ

وفي رثاء أستاذه الشيخ المفيد، يختمها بهذا الدعاء:(من الخفيف)[4]

وقضــــى أن يكــــون قبــــرُك للرّحــــ مَــــةِ والأمــــن منــــزلاً ومقامــــا

---

(١) الديوان:٢/٥٢

(٢) الديوان:٢/٣١٤

(٣) الديوان:١/٢٨٥

(٤) الديوان:٢/٤٤٠

وإذا مـــا ســـقى القبـــورَ فـــروّا هـــا رِهامـــاً ســـقاك منـــه سَـــلاما

ومن قصيدة يمدح بها فخر الملك: (من الطويل)[1]

تَعِزُّ بكَ الأيّامُ وهيَ ذَليلةٌ وَتَسخو اللّيالي منك وهْيَ شحائحُ

فَهذا أَوانٌ مِيسمُ اليُمْنِ بَيِّنٌ عَليهِ وعُنوانُ السعادةِ لائحُ

وَلا زِلتَ تَستقرِي الزّمانَ وأهلَهُ لَكَ الخلدُ فيهِ وَالمَدى المتطاوحُ

يُبرز صفات ذلك الممدوح الذي تعز بوجوده الأيام ومن كرم الأيام علينا انك موجود بيننا، ثم يدعو له بطول البقاء مع الناس ليمنحهم خيره وعطاءه٠

وفي خاتمة قصيدته في مدح الملك بهاء الدولة، يدعو له بدوام الاستقرار والراحة، وان يكون أعداؤه متهيئين إلى المعركة دائما لأنهم يخافون سطوته، وفي الشطر الثاني يدعو على الزمان الذي لايسرُّه بأن تكون أمّه عاقراً :(من الطويل)[2]

وَدُمْ مُســـتقرَّ العِـــزِّ مُســـتَوفِزَ العِـــدى فـــأُمُّ زمـــانٍ لا يســـرّك عـــاقرُ

وفي خاتمة قصيدته في مدح وتهنئة القائم بن القادر بالخلافة:(من المتقارب)[3]

فـــلا زِلْـــتَ مـــن تَبِعـــاتِ الخُطـــوبِ ومـــن كـــلّ طارقـــةٍ فـــي أمـــانِ

وأصـــبحتَ مصـــطبحاً مـــا تَبيـــت تُرامقُـــهُ مـــن مُنـــىً أو تراني

ولا فارقَتْـــكَ ضُـــروبُ السّـــرورِ ولا صـــارمَتْك فنـــونُ التَّهـــاني

وكذلك في مدح بهاء الدولة: (من البسيط)[4]

---

(1) الديوان:٣٢٦/١

(2) الديوان:٤٦٢/١

(3) الديوان:٥٥٩/٢

(4) الديوان:٢/ ٥٠٦

ودُمْ لنـــــا لنعـــــيمٍ مـــــا لغايتِـــــه وقـــتٌ ولا لمزيـــدٍ منـــه نقصـــانُ

ومن خلال استعراض أشعاره في الديوان نجد حرص الشاعر على التمسك بمفاصل بنية القصيدة عند القدامى، فجاراهم في هذا الموضوع، مع الاحتفاظ بشخصيته بشكل بارز٠

المبحث الثاني: اللغة والأسلوب

لابدّ من وجود ترابط بين موضوع النص الأدبي وأسلوبه، فالأسلوب الذي يناسب شعر المديح لايصلح للهجاء مثلا، وهذه قضية هامة جدا في العمل الأدبي ليكون ناجحا.

١-اللغة:

من أهم عناصر الإبداع الفني التي يمسك بها الشاعر، ليعبر عن معانيه بطريقة مختلفة عما هو موجود في الفنون الأدبية الأخرى، وعليها يتوقف نجاح الشاعر في عمله وتفوقه على غيره من الشعراء.

واللغة أداة للخلق الفني تتحول فيه إلى رموز تصور حالة الأديب الباطنية وتعبر عن تجربته.

وتشكل الألفاظ المادة الأساسية في بناء النص الشعري، فهي التي ترفده بالصور الشعرية المتعددة وتمنحها الإيقاع والحركة، وليس من السهولة اختيار ألفاظ محددة، لكن الدوافع الشعورية عند الشاعر هي التي تختارها وتعتمدها، ومن ثم تطمئن إليها.[١]

ومهما يكن " فانّ اللغة إنما تحددت ألفاظُها بالقياس إلى عالم الأشياء الحسي، أما عالم النفس المعنوي فلا تزال ألفاظ اللغة قاصرة عن أن تحدد معانيه..." [٢]، وعنى النقاد باللفظ

---

(١) ينظر: شعر أبي البقاء الرندي دراسة موضوعية– فنية: غسان حميد العزاوي، جامعة بغداد، ٢٠٠٤، ١٤٣

(٢) في النقد الأدبي: ١٢٩

واشترطوا فيه شروطا كيما يكون حسنا، فذكر قدامة في نعت اللفظ " أن يكون سمحاً، سهل مخارج الحروف من مواضعها، عليه رونق الفصاحة، مع الخلو من البشاعة..." [١].

وتتيح الثروة اللغوية للشاعر البدائل والخيارات، ولها الدور المهم في وضوح الشعر وعدم الغموض، وهذه الثروة يحتاج إليها الشاعر من أجل التأثير في المتلقي، معتمدا على قابليته في توظيف قدراته اللغوية وموهبته الشعرية .

للشعر مسالكُ خاصة في توظيف المفردة، وفي تأليف الجملة الشعرية، وبناء العبارة، وهي الوسيلة الطبيعية في التعبير عن الأفكار والمعاني وليس العواطف، كما أنها تلبس الفكرة وتقوم بنقلها إلى ذهن الآخر، ولاتستطيع اللغة نقل العواطف نقلا صحيحا [٢]، كما لايمكن التحدث عن أي عنصر من عناصر القصيدة إلا بوجود اللغة، وهي تكتسب قيمتها من الخيال الشعري كي تؤدي دورها، لأنّ الخيال مهم في تشكيل المعنى داخل القصيدة، واللغة ليست " مجرد معانٍ، بل هي تنطوي على كثير من النواحي الموسيقية والوجدانية والخيالية وفيها من الإيحاء والرمز الشيء الكثير" [٣]، وقد كان بعض نقادنا القدامى يفضلون سهولة الشعر كما يخرج النثر سهلا، " فمن الأشعار المحكمة المتقنة المستوفاة المعاني، الحسنة الرصف، السلسة الألفاظ، التي قد خرجت خروج النثر سهولةً وانتظاماً، فلا استكراه في قوافيها، ولاتكلّف في معانيها..." [٤]

وتزداد اللغة جمالاً بقدر تعبيرها عن المعاني والعواطف، يقول ابن رشيق:" اللفظ جسم، وروحه المعنى، وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم: يضعف بضعفه، ويقوى بقوته، فإذا سلم المعنى واختل بعض اللفظ كان نقصاً للشعر وهُجنةً عليه " [٥].

ولغة الشاعر تناغمت مع الغرض الذي ينشده، فتكون لينة رقيقة في الغزل والنسيب، وفي ذكر الشيب، لكنها قوية فخمة في أغراض المديح والفخر والحماسة ووصف المعارك.

---

(١) نقد الشعر: ٧٤

(٢) ينظر: النقد الأدبي:أحمد أمين، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة،ط١، ١٩٥٢، ٥٨/١

(٣) عضوية الموسيقى في النص الشعري: د. عبد الفتاح صالح نافع، مكتبة المنار، الأردن، ط ١، ١٩٨٥م، ٢٧

(٤)عيار الشعر:٥٤، ينظر: أصول النقد الأدبي: أحمدالشايب، مطبعة النهضة المصرية، ط١، ٣٠٠،١٩٩٤

(٥) العمدة:١٢٤/١

ويلجأ في الغزل إلى محاورة قلوب عشاقه، فيرسم صورة للعاشق القوي المغلوب على أمره مع معشوقه فيستسلم لنظراته الفتاكة، ويشكو النوى ويكثر من سفح الدموع على فراق الحبيب، ويورد العذول الذي يكون الآخر الذي يبرز من خلاله ذلك الحوار في الغزل والنسيب، وهو اللائم الذي يدفعه الشاعر بكل ما أُوتي، ويكثر من ألفاظ الريم والظبية وبعض الشعاب والأماكن التي يسكنها مَن يُحب، وأحيانا تكون في حماية ويخشى تلكم الرقباء وهو يريد النظر إلى محبوبهِ، الذي يذعر دائما من ذلك الشيب الذي وخَطه، فغيّر ملامحَه، كلُ ذلك بلغة سهلة ميسورة، ومن أمثلة ذلك غير ماذكرناه في مبحث الغزل في الفصل الأول السابق :(من الطويل)[١]

نظـــرتُ إليهـــا والرّقائـــبُ حولهـــا فأعرضـــتُ خوفـــاً مـــن عيـــون الرّقائـــبِ

وَلـــم تَـــكُ إلّا نَظـــرةً ثـــمَّ لفتـــةً كنُغْبَـــةِ ظمـــآنٍ مـــن الطّيـــر لاغـــبِ

ولننظر إلى رقة الكلمات في مشهد آخر من غزله:(من الطويل)[٢]

علـــى كـــلّ حـــالٍ أنـــتِ قاســـيةُ القلـــبِ فـــلا عَـــذَلِي يُجـــدي علـــيّ ولا عَتْبـــي

ولـــم أنْســـها يـــومَ الفـــراقِ ووجهُهـــا يُضـــيءُ لَنـــا خلـــفَ البراقـــعِ والحُجْـــبِ

تَقـــولُ أَلا رِفقـــاً بقلبـــكَ فـــي الهَـــوى فقلـــتُ وهـــل لِـــي يـــومَ بينِـــكِ مـــن قلـــبِ؟

ولـــولا الهَـــوى مـــا خـــارَ للعجْـــمِ مَعْجَمِـــي ولا لانَ يومـــاً فـــي أنـــامِلكم صَـــعبي

فَـــإن كنـــتُمُ تَعصـــون أمـــرِي تجنّيـــاً فأعْصـــى لأمـــري مـــنكُمُ أبـــداً قلبـــي

هذه الصورة أيضا تتكرر عنده بكلمات أكثر رقة مع ما فيها من العتاب على المحبّ الذي صدّق أقوالَ الوشاة:(من البسيط)[٣]

يَهـــون عنـــدكُمُ أنّـــي بكـــم أَرِقُ وأنّ دمعـــاً علـــى الخـــدّين يســـتبقُ

---

(١) الديوان:٢٦١/١

(٢) الديوان:٢٦٣/١

(٣) الديوان:١٥١/٢

وأنّ دَيْنـــاً علـــيكمْ لا قضـــاءَ لـــه وأنّ رَهْنـــاً علـــيكمْ تائِـــهٌ غَلِـــقُ

وكيـــف ينفعنـــا صـــدقُ الحـــديثِ وقـــد قبلـــتُمُ قـــول أقـــوامٍ ومـــا صـــدقوا؟

وهـــلْ دنُـــوُّكُمُ مُســـلٍ ونحـــن إذا كنّـــا جميعـــاً بطـــولِ الصَّـــدِّ نفتـــرقُ؟

كـــلُّ المـــودّةِ زورٌ غيـــرَ وُدِّكُـــمُ وكـــلُّ حـــبٍّ ســـوى حبّـــي لكـــمْ مَلَـــقُ

يـــا صـــاحِبَيَّ اِمتِحـــاني مـــن عيونكمـــا فـــانّ لِـــي مُقْلَـــةً إنســـانُها غَـــرِقُ

وتصل الكلمات إلى أعلى درجات الرقة والوجد وهو يشكوى مايعاني من ألم الفراق والهجر والسهاد، حتى فقد كل طاقته على التحمل :(من البسيط)[1]

مـــاذا علـــى القلـــبِ لـــولا طـــولُ شِـــقْوتِهِ مِـــنْ نـــازلٍ حـــلَّ أو مـــن نـــازِحٍ نَزَحـــا

يـــا مُثْكِلِـــي نـــومَ عـــينٍ فيـــه ســـاهرةٍ جَفْنِـــي عليـــك بـــدمعي فيـــك قـــد قُرِحـــا

وفِـــيَّ ضـــدّانِ لا أســـطيعُ دَفْعَهُمـــا نـــارٌ بقلبـــي ومـــاءٌ بـــالهوى سَـــفَحا

إلى أن يقول:

أهـوى مـن الحـيِّ بـدراً لـيس يطلـعُ لِـي يومـــاً وظَبْـــيَ فَـــلاةٍ ليتَـــه سَـــنَحا

أبَـــتْ ملاحَتُـــهُ مـــن أنْ يجـــودَ لنـــا فليتَـــه فـــي عيـــونِ العِشـــقِ مـــا مَلُحـــا

وكـــان لـــي جَلَـــدٌ قبـــلَ الغـــرامِ بـــه فَـــالآن أفنَـــى اِصـــطباري وَجْـــدُهُ ومَحـــا

وتتغير الألفاظ في الأغراض الأخرى وبخاصة المديح الذي وجّهه غالبا إلى الخلفاء والوزراء، والملوك والشخصيات الرفيعة في الدولة والمجتمع، وفي الفخر والحماسة، فتكون أكثر جزالة ورصانة، بحسب الغرض المراد متكئاً على طبعه الشعري، وثرائه اللغوي، وحسِّه الفني، فتتردد كلمات (الخلافة وأمير المؤمنين والأرومة الهاشمية وغيرها مما يشعر بالامتداد إلى النبوة الكريمة) ٠

---

(١) الديوان:١/٣٤٠

وحاول في معظم قصائد المديح أن يورد ما استطاع من صفات ممدوحه وخِلالِه، بلغة رصينة من غير أن يدخل في الغريب من الكلام والحوشي، ولم يجعل للعامية مكانا في شعره.

ولغة الرثاء عنده تعبر عن حجم حزنه الكبير الذي يعانيه في رثائه لآل البيت عليهم السلام، فجاء ما دلَّ على حالة نفسية متأزمة، تصارع الألمَ بألفاظٍ رسمت صورةً تهز الوجدان، فيقول في رثاء الإمام الحسين عليه السلام: (من البسيط) [1]

يـــا عـــاذلِي لـــيس وجـــدٌ بـــتُّ أكتُمُـــه بـــين الحَشـــى وَجـــدَ تعنيـــفٍ وتفنيـــدِ
شِـــربِي دمـــوعِي علـــى الخـــدّين ســـائلةً إن كـــانَ شـــربك مِـــن مـــاء العناقيـــدِ
يـــا يـــوم عاشـــورَ كـــم طأْطـــأْتَ مـــن بصـــرٍ بعـــد الســـموّ وكـــم أذللـــتَ مـــن جِيـــدِ
يـــا يـــومَ عاشـــورَ كـــم أطـــردتَ لـــي أمـــلاً قـــد كـــان قبلـــك عنـــدي غيـــرَ مطـــرودِ

ترد المفردات الدالة على الحزن والفجيعة متصلة بالصورة المؤلمة، التي جمعت الضدين في شطري البيتين الأول والثاني، كما انّ صورة التكرار(يايوم عاشور) منحت جو القصيدة نبرة الأسى والأسفالذي أراده في النص ،الأمر الذي يؤكد أن لغة القصائد أحكم بناءً، وأكثر تعقيدا من اللغة العادية، أو اللغة النثرية، فهي من الدقة بمكان بحيث انها تتيح للشاعر فرصة استغلالها بشكل متنوع.

٢-الأسلوب:

هو طريقة الشاعر في نقل أفكاره وعواطفه،أي هو: طريقة التعبير، أو " الصورة اللفظية التي يُعَبَّرُ بها عن المعاني أو نظم الكلام وتأليفه لأداء الأفكار وعرض الخيال "[2]

---

(١) الديوان:٤٣٦/١

(٢) العمدة:١٩٩/١

وهذه الطريقة تختلف من شاعر أو كاتب إلى آخر، وقد تختلف في الشاعر والكاتب نفسه باختلاف الفنّ الذي يكتب فيه، وفطن النقاد القدامى الى هذا الأمر وحددوا لكل نوع من القصائد أسلوبا خاصاً يناسبها.

فابن رشيق يقول:" فأول مايحتاج إليه الشاعر بعدالجد الذي هوالغاية، وفيه وحده الكفاية حسن التأتي والسياسة، وعلم مقاصدالقول؛ فإن نسَبَ ذَلَّ وخضع، وإن مدحَ أطرى وأسمع، وإن هجا أخلَّ وأوجع، وإن فخرَ خَبَّ ووضع، وإن عاتبَ خفضَ ورفع، وإن استعطف حَنَّ ورجَع، ولكن غايته معرفة أغراض المخاطب كائناً من كان؛ ليدخلَ إليه من بابه، ويداخله في ثيابه، فذلك هو سرصناعة الشعر ومغزاه الذي به تفاوتَ الناسُ وبه تفاضلوا..وقد قيل:لكل مقامٍ مقالٌ..." [١]، " والأسلوب ليس ثوب الرجل بل هو جلده" [٢].

انّ العمل الأدبي ليس مجموعة من الأجزاء المتفككة، بل هو قيمة كبرى من عناصر متراصة فيما بينها " نجد أن هناك صعوبة في تقسيم العمل الأدبي الى عناصر: لفظ ومعنى، أو شعور وتعبير، فالقيم الشعورية والقيم التعبيرية كلتاهما وحدة لا انفصام لها في العمل الأدبي، وليست الصورة التعبيرية الاّ ثمرة للانفصال بالتجربة الشعورية، وليست القيمة التعبيرية الاّ ما استطاعت الألفاظ أن تصوره، وأن تنقله الى مشاعر الاخرين " [٣]

وللمرتضى أسلوبه الخاص به، فتراه في مديحه ورثائه لآل البيت عليهم السلام يقوم بسرد بعضالأحداث وكأنه يكتب نثرا، كي تصل معظم التفصيلات إلى القارئ، ويؤكد الحدث التاريخي من خلال رسمالصورة الشعرية بأسلوب قريب من المتلقي، وكأنه يرى الحدث فيتفاعل معه، فيسير بأسلوب مضطرد من بداية القصيدة، فلكل نصٍّ ما يناسبه من الأسلوب، يتخيره الشاعر المتمكن من أدواتهالشعرية، والى ذلك أشار النقاد القدامى حيث جعلوا الألفاظ تقسم بحسب المعاني، والنص الشعريمجموعة من المعاني لا الألفاظ[٤]. ومن الأساليب التي وردت بكثرة في ديوانه:

---

(١) النقد الأدبي: ١٣/١

(٢) النقد الأدبي:١/ ص. ن

(٣) النقد الأدبي: أصوله ومناهجه: سيّد قطب، دار الشروق، القاهرة، ط٨، ٢٠٠٣، ٢٥

(٤) ينظر: الوساطة: ٢٤، العمدة: ١٩٩/١،

أسلوب الشرط:

من أساليب الإنشاء غير الطلبي[١]، وهو أقرب إلى الأساليب النحوية منه الى البلاغية، "ويكون الشرط بحسب الجواب فان كان الجواب خبرا كان خبراً، وان كان إنشاءً فهو انشاء" [٢]

وله قيمة تركيبية تساعد في ربط أركان الجملة وتماسكها

وقد ورد في شعره كثيرا بأدواته الجازمة وغير الجازمة (إن، من، إذا، لو، لولا، لمّا، متى ،كلما) على أن أكثرها ورودا هو الحرف (إنْ) فقد ورد (٥٩١) يليه بعدد الورود الحرف (إذا) الذي ورد(٥٧٥)[٣] ثم (لو)،وهكذا بقية الحروف، والاسمين(من- متى)، وهو يدرك القيمة الدلالية لكل حرف منها، فعندما يورد الحرف (إن) الذي يستعمل عند أهل البلاغة في الشك والتقليل من وقوع الجواب، يعلم في مواطن الحزن وغيرها صعوبة تحقق مايريد، و(إذا) لما يتحقق أو يُرجى تحققُه[٤]

ومن أمثلة الشرط بالحرف (إن) في ديوان المرتضى:(المتقارب)[٥]

فَـــإِن كُنـــتِ تـــأبَيْنَ شـــيبَ العِـــذار فكـــمْ خُيّـــبَ المـــرءُ مـــن مُنْيَـــةِ

وَإِنْ أَنـــتِ يَومـــاً تخيّـــرتِ لـــي فَشـــيبِيَ أصـــلحُ مـــن مِيتَتِـــي

المقطوعة في الشيب ذاك الغرض الذي أكثر منه في شعره ، حتى ألف فيه مؤلفا، فهو واقع لامحالة وقد خابت آمال معظم الناس في مايتمنون، وقد أورد المرتضى(إن) في موضع (إذا)، وربما يشير بذلك إلى حتمية وقوع الشيب مهما كانت الخيارات بيده أو بيد غيره، وهكذا نلحظ ما للبنية التركيبية الشرطية من أهمية وبخاصة في الإتيان بالحرف المناسب في مكانه كي يتلائم مع

---

(١) ينظر: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: أحمد الهاشمي، منشورات اسماعيليان- قم، ط٤، ١٤٢٨ هـ، ٧٨، مدخل إلى البلاغة العربية:٦٣، الأساليب الإنشائية في النحو العربي:عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي،القاهرة، ط٥، ٢٠٠١،١٣

(٢)الجملة العربية تأليفها وأقسامها: د. فاضل صالح السامرائي، دار الفكر العربي، الأردن، ط ٢، ٢٠٠٧،١٨٧

(٣) ينظر:أسلوبية التركيب في شعر الشريف المرتضى: د. سمير عوض الله رفاعي، مكتبة الآداب، القاهرة ، ط١، ٢٠١٠، ١٠٢

(٤) ينظر:البلاغة العربية:أسسها وعلومها وفنونها:٤٧٢/١

(٥) الديوان:٢٩٧/١

الغرض المنشود، في البيت الأول كان فعل الشرط ماضيا وفي الثاني مضارعا، وكلاهما من حيث الدلالة يوحيان بالمستقبل.

ومن مقطوعة في الغزل:(من الطويل)[1]

فَــإن كنــتُمُ تَعصــون أمــرِي تجنّيــاً فأعْصــى لأمــري مــنكُمُ أبــداً قلبــي

إن سبب العصيان هو ذلك التجني من المُحب، لكنّ قلبَ الشاعر أكثر عصيانا منهم، وقد حاول هنا أن يشير إلى تقصيرهم بحقه وظلمهم له.

ويكرر الشرط متتابعا في أماكن مختلفة بحسب أغراض القصيدة، ومنها في مدح جلال الدولة واثبات ودّه له:(من البسيط)[2]

وإنْ تبــــدّل قــــومٌ عنــــك وانتَقلــــوا فلـيس لِـي منـكَ عُمْـرَ الـدّهرِ مـن بَـدَلِ

وإنْ يحولــوا ويَضــحَوا غيــرَ مَــن عهــدوا فــإنّني لــم يَــزُلْ ودّي ولــم يَحُــلِ

وإنْ يُمَلّــوا ومــا مُــلَّ الجميــلُ بهــمْ فــإنّني مُعتَــقٌ مــن رِبْقَــةِ المَلَــلِ

والحرف الآخر الذي ورد في ديوانه بكثرةٍ (إذا)، تارة مع الفعل الماضي، وأخرى مع المضارع المنفي، وكثر وروده في قصائد المديح والرثاء للآل البيت عليهم السلام وخاصة وهو يتحسر على عدم نصرهم في زمانهم أو حين يشيد بفضائلهم، وحتى في قصائد الغزل وغيرها من الأغراض الأخرى، يقول في رثاء الإمام الحسين عليه السلام:(من الخفيف)[3]

قَـد سَـمِعتمْ مـا قـالَ فينـا رسـول الـ ـلـــــه يَتلـــــوهُ مَـــــرّةً وَمِـــــرارا

وَهـــوَ الجاعـــل الّـــذين تَراخـــوا عـــن هوانـــا مـــن قومـــه كفّـــارا

وإذا مـــا عصـــيتُمُ فـــي ذويـــه حـــال مـــنكمْ إقـــرارُكمْ إنكـــارا

---

(١) الديوان:٢٦٣/١

(٢) الديوان:٣٧٣/٢

(٣) الديوان:٥٠١/١

بعدما يخاطب الأمويين الذين سمعوا أحاديث الرسول الكريم ﷺ في أهل بيته وأنكروها- كما يقول- فقد أصبحوا كفارا على حد تعبير الرسول ﷺ في حق من أنكر ولاية أهل بيته وحقهم، لذلك جاءت الجملة الشرطية لتحصر هذا المعنى في الشرط وجزائه ، إن الإنكار في يوم القيامة لاينفع وقد عصيتم قوله فينا فكنتم منكرين.

ويفتخر بقومه:(من الطويل) [1]

فَــلا عيــبَ إلّا مــا اِدّعــاه عــدوُّهُم ومــا قــال فــيهِمْ حاســدٌ مُتَشَــنِّفُ

إذا ســحبوا البُــرْدَ اليمــانيَّ واِرتــدوا وَأرخَــوْا مُــلاءً للقنــاعِ وأغــدَفوا

يبعد العيب عن قومه ورجالاتهم، ويأتي بالبنية الشرطية ليظهر شجاعتهم ويستمر في إضفاء صفات البسالة ليأتي جواب الشرط بعد بيتين ويواصل بعد ذلك أيضا وصفهم :

وفــاحوا فــأخْرَوْا نَشْــرَ كــلِّ لَطِيمــةٍ ذَكــاءً وعَــرْفُ الفــاطميّين يُعــرَفُ

رأيــتَ رجــالاً كــاللّيوثِ وفِتْيَــةً كمــا ســام ذاك الزّاجــرُ المتعيّــفُ

ومن قصية له في الافتخار أيضا وقد تكرر فيها الشرط بالحرفين (إن وإذا) بصورة كبيرة وهو يرسم التركيب الشرطي مابين الشطرين لتكون المقارنة أوضح :(من الطويل)[2]

إذا ســالَموا زانُــوا المحافــلَ بهجــةً وَإنْ حــارَبوا فــي الــرَّوْع حَشّــوا المآقِطــا

وَإن بَســطوا لَــم تَلــقَ فــي الخلــق قابضــاً وَإن قَبضــوا لَــم تلــقَ فــي الخلــقِ باســطا

في السلم يزينون المجالس والمحافل بهجة وخيرا، لكنهم في الحرب تراهم يضيقون المكان على عدوهم فلا يتركون له مجالا للهرب، وقد آثر (إذا) في المستقبل لأن السِّلم والخيرَ أغلب على صفاتهم، و(إن) في الحرب لأنها أقل وليست الغالبة على طباعهم، كذلك الصورة الثانية في البيت الثاني، فهم المالكون لكل شيء لسطوتهم ومكانتهم فلا قابض لما بسطوا ولا باسط لما قبضوا،

---

(١) الديوان:١١٢/٢

(٢)الديوان:٣٤/٢

لأنهم أهلٌ للتصرف بكل الأمور، وربما تكون صورة البيت الأول قريبة من معنى النص الكريم" **مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ**" الفتح٢٩

والأبيات أيضا قريبة من معاني معلقة عمرو بن كلثوم:[١]

وَأَنّـــا المـــانِعونَ لِمـــا أَرَدنـــا وَأَنّـــا النـــازِلونَ بِحَيـــثُ شـــينا

وَأَنّـــا التـــارِكونَ إِذا سَـــخِطنا وَأَنّـــا الآخِـــذونَ إِذا رَضـــينا

وَأَنّـــا العاصِـــمونَ إِذا أُطِعنـــا وَأَنّـــا العـــازِمونَ إِذا عُصـــينا

وفي رثاء أبي إسحاق الصابي:(من الكامل)[٢]

ولْيسـقِ قبـرَك كـلُّ مُنخـرقِ الكُلـى مِرعـادُ كـلّ عشـيّةٍ مِبْـراقِ

فـإذا جفـا التُّـربَ السـحابُ فعنـده مـا اِختَـرتَ مِـن سـحٍّ ومِـن إطبـاقِ

وإذا مضـيتَ وفيـك فضـلٌ بـاهرٌ فـيمنْ نسـلتَ فأنـتَ حـيٌّ بـاقِ

يدعو أن يعمَّ قبره المطرُ وهي دعوة خير تكررها العرب في الإشارة إلى دوام النعمة، فان توقف المطر فسيبقى قبرك رطيبا من ذاك السحاب والمطر، وهي إشارة إلى جوده وكرمه في الدنيا، وإذا ذهبت عنا فان فضلك لن يذهب وأولادك أحياء٠

ومن قصيدة في مدح الملك السعيد، بدأها بذكر الطيف ثم انتقل إلى الغزل ويذكر الغانيات اللاتي يحببْن الشباب ويكرهنَ من تظهر عليه علامات الكبر ولاسيما الشيب، حتى إذا ما دنا المشيب مني تحولْن إلى عدوٍ بعد ذاك الوفاق، ثم يذكر تغير لون شعره الى البياض فتبدلت معه قلوب أحبته:(من الكامل)[٣]

وَلَقـد طَرَقـتُ الخِـدْرَ فيـه عقائـلٌ مـا قِلْـنَ إلّا فـي ضَـمير فـؤادِي

---

(١) شرح المعلقات العشر وأخبار شعرائها: الشيخ:أحمد الأمين الشنقيطي،المكتبة العصرية، بيروت، ط٢٠٠٥، ١٤٠

(٢) الديوان:٢/٢١٢

(٣) الديوان:١/٤٠٦

لَمّـــا وَرَدتُ خِيـــامَهنّ سَـــقَينِنِي مِـــن كُـــلِّ مَعســـولِ الرُّضـــاب بُـــرادِ

وَمُخضّـــبِ الأطـــرافِ صَـــدّ بِوجهـــهِ لَمّـــا رَأى شَـــيبِي مكـــانَ ســـوادي

وَالغانِيـــاتُ لـــذِي الشّـــباب حبائـــبٌ وإذا المشـــيبُ دنـــا فهـــنّ أعـــادِ

يعلق الدكتور رفاعي بعد هذا البيت الأخير:" فالغانيات رمز للخلافة التي تطلب القوة والشباب؛ لأنها لن تُستَردَّ من مغتصبيها إلا بقوة الشباب وحد السيف، والمرتضى إذ يؤكد على هذا المعنى يثير حماس العلويين والشيعة بوجه عام إلى الاتحاد ونبذ التفرق، حتى يصبحوا ويتمكنوا من استرداد حقهم المسلوب"(١)

وأرى أنّ هذا المعنى بعيد جدا عما في جوهر الأبيات والقصيدة عموما؛ إذ ليس من المناسب أن نحمّل بعض الأبيات فوق ما تحتمل، ولاسيّما إن الغرض واضح منذ البيت الأول في القصيدة، ولو كان سوّغ له أو قدم له بدليل ولو بإشارة لكان الأمر مقبولا، نعم ربما تبادر إلى ذهن الدكتور إن المراد هنا هو التلميح لاسترداد الخلافة كما كان يصرّح أحيانا أو يلمّح الشريف الرضي وليس شاعرنا المرتضى٠

ومن قصيدة يعزي فيها القادر العباسي عن ولده:(من الكامل)(٢)

لـــو كـــان يُـــدفع مثلُهـــا ببســـالةٍ لحمـــى عواليهـــا الكمـــاةُ الغُلَّـــبُ

إن هذه المنيّة لايمكن أن تُدفع بأية قوة ؛ ولو كان بإمكان الأبطال لدفعوها بالرماح لكنها رزءٌ لامناص منه، لذلك أورد الحرف(لو) كون الجزاء لن يقع، ويُظهر أسلوب الشرط هنا أسف المرتضى وحزنه على هذا المصاب وهو يعزي القادر٠

ومن قصيدة يذكر فيها مصرعَ جدّه الحسين عليه السلام :(من السريع)(٣)

بَكيتُهـــا مِـــن أَدمُـــعٍ لـــو أَبَـــتْ بكيتُهـــا واقعـــةً مـــن دمِ

---

(١) أسلوبية التركيب في شعر الشريف المرتضى: ١١١، وكرر هذا المعنى في ص٢٨، و٣٦ و١١٥و ١١٦و١١٧ و١١٨و١٢٣و١٧٤و١٧٨، وغيرها، وهو دائما يصور المحبوبة بأنها الخلافة المقصودة٠

(٢) الديوان:١/١٩٣

(٣) الديوان:٢/٤٨٢

يبكي الديار الخالية من أهلها بدموعه ولو نفدت لبكاها بدم حزنا وكمدا، لأنها كانت ديار الصّوم القّوم، وهذه التركيبة الشرطية تظهر فيها معاناته بحيث يكون استبدال الدموع بالدم هينا عليه لعظيم مالقي من هول المصيبة٠

ومن قصيدة يهنيء فيها فخر المُلك بالعيد:(من البسيط)[١]

لـو كنـتَ فـي مثـل حـالي لـم تُـرِدْ عَـذَلي تسـومني هجْـرَ مَـنْ فـي هجـره أجلـي

دعْ عنـك عَـذْلي فـإنّ العـذل منـك ومـا هـذي الصّـبابةُ مـن عنـدي ولا قِبَلـي

جاء الشرط موضحا حالته التي عانى فيها من هجر من يحب، ويخاطب العاذل: انك لوكنت في مثل حالي وما أعانيه لم تعذلني، فيكون الجواب متحققا أي العذل، فيطلب منه ان يترك العذل لأنه ليس بيده مايعانيه من العشق، وهي صورة مكررة عند أغلب الشعراء، عندما يخاطبون العذول الذي يعذل ويلوم المحبين والعشاق٠

وله في الطيف مستعملا أداة الشرط (لولا):(من السريع)[٢]

لـولا الكـرى مـا جـاد لـي بـالمُنى معشّـقٌ يعشـقُ تعـذيبي

لولا النوم موجود لما كان لي أن أرى من أُحب، لأنه بخيل بزيارته، فالجود بالزيارة هنا كان بسبب بالطيف لا من محبوبه، ومن قصيدة يمدح بها سلطان الدولة:(من الرجز)[٣]

لَـولا مـداواتُك مِـن أمراضـهِ بالضّـربِ والطّعـنِ جميعـاً مـا أبَـلْ

هذا المُلك لولا وجودك وقوتك لما بقي على حاله، فصوره كالمريض الذي عُوفي من مرضه، فالتركيب الشرطي هنا ربط مابين المرض والمداواة منه ٠

وترد(لمّا) في التركيب الشرطي في ديوانه ومن ذلك قوله في الافتخار:(من الطويل)[٤]

ولمّـا سـقاني الـدّهرُ صِـرْفاً صـروفَهُ كرَعـتُ شـراباً لا يَلَـذّ لشـارِبِهْ

---

(١) الديوان:٢/٣٣٥

(٢) الديوان:١/٢٢٦

(٣) الديوان:٢/٣٨٦

(٤) الديوان:١/٢٦٨

حينما سقاني الزمان العجائب من مصائبه ومحنه، حتى شربت منه شرابا لايلذ لأحد شربه، وقد بلغ الشاعر هنا غاية الألم من متاعب الدهر، وكذلك اراد من التركيبة الشرطية أن، يجعل فخره بمرتبة عالية بحيث تحمل كل هذه الصعاب ٠

وترد (متى) في قصيدة يمدح فيها فخر المُلك:(من السريع)[١]

متـــى أُفِـــضْ فـــي ذكرهـــا مُثنيـــاً فـــــإنّني فـــــي شُـــــغُلٍ شـــــاغِلِ

مهما حاولت أن أحصي نِعَم فخر المُلك عليّ فإنني لا استطيع مهما وسعني الوقت٠

لا يريبـــــــــــونَ وَإمّـــــــــــا رابهُـــــــــم يَـــــــــومٌ أَرابـــــــــوا

كُلَّمـــــــــا مَـــــــــرَّ زَمـــــــــانٌ عَـــــــــذّبوا فيـــــــــهِ وَطـــــــــابوا

يفتخر برجالات قومه وكلّما مرّ الزمان فإنهم يطيبون فيه ويزدادون عذوبة، وتفيد الأداة هنا الاستمرارية في هذه الصفات [٢]

أسلوب القصر:

هو الحبس أو تخصيص شيء بشيء آخر بطرق مخصوصة[٣]، أفاد منه الشعراء في ترسيخ المعاني، ويعد من أهم المظاهر الأسلوبية التي يوردها الشعراء من أجل تأكيد المقصور والعناية به أو المبالغة أو الاهتمام به إبرازا لمكانته وتقريرا له في ذهن السامع، وقد تردد هذا الأسلوب في شعر المرتضى بكثرة من خلال صوره المتعددة(النفي+الاستثناء- إنّما- التقديم والتأخير وغيرها)، على أنّ الأول كان صاحب الحظ الأوفر في الديوان، ومن بعده (إنما)٠

---

(١) الديوان:٣٣٩/٢

(٢) الديوان:١٨٥/١

(٣)ينظر: مدخل إلى البلاغة العربية:١١٢، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها:٥٢٣/١،أساس البلاغة: الزمخشري:دار صادر، بيروت ١٩٧٩، ٥٠٩

- **النفي والاستثناء- إنما:**

ومن أمثلة القصر بالنفي والاستثناء، قوله في رثاء الإمام الحسين عليه السلام:(من الطويل)[1]

فَيــا لائِمــاً فــي دَمعَتــي أَو مفنّــداً عَلــى لَــوعَتي وَاللــوم منــهُ عَنــاءُ

فَمــا لَــكَ مِنّــي اليــومَ إلّا تَلَهُّــفٌ وَمــا لــكَ إلّا زَفــرةٌ وبكــاءُ

يؤكد في البيت الثاني أن ليس له منه إلا التلهف وإلا البكاء وزفرات النفس، وقد قصر هنا الخبر على المبتدأ في شطري البيت ، وهو أقوى في التوكيد من قصر المبتدأ على الخبر ٠

وقال في النسيب:(من الطويل)[2]

وَكُنّــا نَظــنُّ القــربُ يَشــفي سَــقامنا فَلــم يَــكُ إلّا كــلُّ أَدوائنــا القُــربُ

كان يظن أن قرب الأحبة يشفيه من المرض والعلل، ولكن كان ذاك القرب هو العلة والمرض بل هو كلّ الأدواء والعلل ٠

وفي ذمّ الدنيا ومن تعلّق بها:(من الطويل)[3]

ومــا هــانَ إلّا خــائفٌ يســتجيرها وَلا خــابَ إلّا مَــنْ مَنــا فَرَجاهــا

ومــا المُســلَمُ المخــدوعُ إلّا نَزولُهــا ولا المُهْمَــلُ المبــذولُ غيــرُ حِماهــا

فــلا بــاركَ الــرّحمَن فــيمنْ أحبَّهــا وبــارك فــيمن مَلَّهــا فقلاهــا

فكــلُّ بــلادٍ لــم يُفِــدْك اِقتِرابهــا فَمــا قربُهــا إلّا كبُعــدِ مــداها

قصر في البيت الأول الفعل على فاعله (هان – خائف)،(خاب- من مناها)، في إشارة إلى أن هذه الدنيا لاتأمن من يستجير بها ولا تؤمنه من الخوف، والذي ينزل بها فهو المخدوع والمغتر بها، وهي لاتحمي الا المبذول المتروك ؛ فليس قربها الا كبعدها، فلا رجاء فيها ٠

---

(١) الديوان:١٥٩/١

(٢) الديوان:١٧٤/١

(٣) الديوان:٥٨٤/٢

وقوله :(من الطويل)[١]

فَلَـــم تُشْـــفَ إلّا بالبكـــاءِ حرارتـــي وَلَـــم تقـــضَ إلّا بالـــدّموعِ ديـــوني

البيت من قصيدة يرثي بها الأستاذ محمد بن الفضل، فيقول: إن حرارته ولوعته لم تشفَ إلا بالبكاء عليه ولم تنجز ديونه إلا بالدموع التي يذرفها عليه، وفاء له وحبا به، فقصر هنا الفعلين على الفاعلين في البيت؛ كما إن ورود شبه الجملة بعد إلا وهي تفصل مابين الفعل ونائب الفاعل له دلالة في أهمية شبه الجملة الفاصلة هنا، لأنها هي التي قصر عليه الشفاء والبكاء٠

وللقصر بـ (إنما) دور مهم في إبراز التوكيد، ومن ذلك:(من السريع)[٢]

قُـــل لِإمـــرِئٍ يَطمـــع فـــي خُلـــدِهِ فهْـــوَ غَفـــولٌ آمـــنُ السِّـــرْبِ

لَـــيس كَمـــا قدّرتَـــه إنّمـــا خُلقـــتَ للتّـــربِ مـــن التُّـــربِ

من قصيدة يرثي بها الأمير عنبر الملكي، فهو يؤكد المعنى انك من الترتب والى التراب تعود، فالذي يطمع في الخلد غفولٌ بصيغة المبالغة، وصوّره بالغافل في السرب ٠

تقول لِي إنّما الستّون مقطعةٌ بين الرّجال ووصلِ الخُرَّد الغِيدِ (من البسيط)[٣]

البيت في الشيب، فتخاطبه الفتاة الشابة الجميلة، وتؤكد حتمية أن الشيب يقطع الوصال مابينهن ومابين الرجال وبخاصة من وصل إلى عمر الستين، لذلك آثر(إنما)لأنها تؤكد أمرا منتهيا٠ ومن أبياته في ذم الزمان:(من البسيط)[٤]

وَكـــلُّ يَـــومٍ مِـــنَ الأيّـــام يعجبُنـــا فَإنمّـــا هـــوَ نُقصـــانٌ مـــن العُمُـــرِ

من سره زمنٌ ساءته أزمان، نعم، كل يوم يمرّ علينا ونعجب ونفرح به فلابد انه منقوص من العمر فلمَ الفرح؟

---

(١) الديوان:٢/٥٤٢

(٢) الديوان:١/٢٤٣

(٣) الديوان:١/٤٤٧

(٤) الديوان:١/٥٤٤

- **التقديم والتأخير:**

أحد الأساليب البلاغية المهمة، الذي يُشعرك بتمكن الشاعر وقدرته على التصرف واختيار المكان المناسب لما يريد تقديمه، وهذا يعني نتاج جديد في الدلالة يغني الدلالة الأولى وتنوعها، وهو لايتوفر بشكل اعتباطي، وإنما تتحكم فيه المعيارية الموسيقية واللغوية وغيرها، ولعبد القاهر كلمته فيه " هو بابٌ كثيرُ الفوائد، جَمُّ المحاسن، واسع التصرف، بعيدالغاية. لايزال يفتَرُّ لك عن بديعةٍ، ويفضي بك إلى لطيفةٍ، ولاتزال ترى شعراً يروقك مسمعُه، ويلطفُ لديك موقعهُ، ثم تنظر فتجد سبب أنْ راقك، ولَطُف عندك أنْ قُدِّم فيه شيء وحُوِّل اللفظُ عن مكان إلى مكان " [1]، ومن فوائده تأكيد المعنى ورفع الإبهام والإشعار بأهمية المقدَّم، والقصر والتخصيص أو للتشويق أو المبالغة...وفي شعر المرتضى نجد التقديم قد ورد بأكثر من طريقة، منها تقديم الخبر على المبتدأ وتقديم شبه الجملة على الجملة الفعلية وغيرها، ولكنّ أكثرها في الديوان كان تقديم شبه الجملة على الفعل أو الفاعل أو المفعول به أو الصفة وغيرها، ومن أمثلة تقديم شبه الجملة على المبتدأ:(من أحذ الكامل)[2]

منّـــا الوصـــالُ ومـــنكُمُ الهجـــرُ وعلـــى إســـاءَتكمْ بنـــا الشّـــكرُ

ولكـــلّ مـــن أســـدى الجميـــلَ ســـوى مســـدي الجَميـــل إلـــيكُمُ أجـــرُ

قّم شبه الجملة (منا) و(منكم) و(على إساءتكم) و(لكل من)على المبتدأ(الوصال- الهجر- الشكر- أجر)، وهو قصر وتخصيص ، فالوصال منا لا منكم، والهجر منكم لا منا، والشكر منا مع أنكم تسيئون لنا في هجركم، لأنه في خطاب المحبوب ٠

وله في الغزل:(مجزوء الكامل)[3]

بينـــــي وبـــــين عـــــواذِلِي فـــي الحـــبِّ أطـــرافُ الرمـــاحِ

---

(١) دلائل الإعجاز:عبد القاهر الجرجاني، تحقيق، محمود محمد شاكر، المصرية العامة للكتاب، ط ١/ ٢٠٠٠، ١٠٦

(٢) الديوان:١/٤٥١

(٣) الديوان:١/٣٥٧

أنَـــا خـــارجيٌّ فـــي الهـــوى لا حُكـــــــمَ إلّا للمِـــــــلاحِ

قدم شبه الجملة الخبر أو المتعلق بالخبر على المبتدأ أطرافُ الرماح، وقد فصل أيضا بينهما بفاصل طويل فيه شبه الجملة (في الحب) الذي هو سبب تلك الحرب، ليؤكد أن الذي بينه وبين العواذل ليس شيئا سهلا، ويدعم ذلك في البيت الثاني الذي أكد فيه انه لايقبل حكما في الهوى من أحد إلا للفتيات الملاح، كما أن الخوارج رفعوا شعار" لاحكم إلا لله"، والبيتان صريحان في الغرض وهو الغزل وقد وظف الشاعر الموروث التاريخي في البيت الثاني ليؤكد انه متعصبٌ جدا في الحب وفي عداوة العواذل ولايقبل في ذلك حكما، ولستُ متفقا مع الدكتور رفاعي فيما ذهب إليه من ان المقصود هنا بالحب هو حبُّ الحكم والخلافة لا حبُّ المرأة، والعواذل هم أعداؤه الخلفاء العباسيين، والملاح هم الأئمة عند الشيعة[١] ، وهو بهذا يخالف ماجاء في مقدمة كتابه وهو يرد على من يقرأ شعر المرتضى قراءة انطباعية أو ان يقبلوا على دراسته دون أن يكون لهم فيه رأي مسبق [٢] .

ومن قصيدة في رثاء فخر المُلك:(من الوافر)[٣]

وَلِـــي فـــي كـــلّ شـــارقةٍ خليـــلٌ أفارقُـــــهُ بـــــلا نَـــــزَواتِ واشِ

قصر الخبر على المبتدأ الموصوف بالجملة الفعلية بعده، قدم (لي) لاختصاصه به دون غيره، فهو يفارق أحباءه في كل مكان من دون واش أو منازع فهو يرى فراقه بنفسه، وقد جعل التوكيد قويا بشبه الجملة الثانية التي حددت المكان (في كل شارقة).

ويمدح والده ويذكر مناقبه:(من الطويل)[٤]

إلَيـك ذعـرتُ الهِـيمَ عـن كـلّ بُغيَـةٍ أَسِـــفٌ إلِـــى أَمثالِهـــا وأُســـارعُ

---

(١) أسلوبية التركيب في شعر الشريف المرتضى:٣٩

(٢) المصدر السابق:١١

(٣) الديوان:٢/٧

(٤) الديوان:٢/٤٤

قدّم شبه الجملة (إليك)على الجملة الفعلية، ليكون المقصود بالتخصيص والده الذي أسرع الشاعر إليه بإبله العطشى دون غيره وهو يحث الخطى ويسرع ،لأن والده هو الذي تقصده الناس والشاعر منهم، فقال ذعرت أي إنني أفزعتها وشغلتها عن عطشها وتوجهتْ إليك ناسية عطشها ٠

وله في الاعتبار:(من البسيط)[١]

إلـــى التّـــراب يصـــيرُ النّـــاسُ كلُّهـــمُ مِـــن مُفْهَـــقٍ بـــالغِنى كفّـــاً ومِســـكينِ

قصر شبه الجملة على الجملة الفعلية ليؤكد المصير الذي يصل إليه الناس كلهم، يستوي في ذلك الغني والفقير، فظهرت أهمية شبه الجملة هنا لأنها هي المرتكز الذي ينبغي التنبه اليه٠

وله في يوم الغدير:(من الطويل)[٢]

عَلـــى مثـــلِ هَـــذا اليـــومِ تُحنـــى الرّواجـــبُ وَتُطـــوى بفضـــلٍ حِيـــز فيـــه الحقائـــبُ

تحنى (الرواجب) الأصابع احتراما وإجلالا لهذا اليوم، الذي هو عيد؛ ويكون الاستعداد فيه كبيرا فتأتي الحقائب من كل حدب وصوب ليزدان الاحتفال بهذا اليوم، قدّم الشاعر(على مثل هذا اليوم) شبه الجملة على الجملة الفعلية المكونة من (الفعل ونائب الفاعل)٠

أسلوب الاستفهام:

من أساليب الإنشاء الطلبي، يراد به معرفة شيء مجهول، ويخرج الى أغراض بلاغية كثيرة منها النفي والتمني والتوبيخ والتقرير.... " إن لأساليب الاستفهام في قوة التعبير والحيوية، وبيان مايكتنف الإنسان من الأحوال والعواطف والغرائز، وإفادة معنى كثيرٍ بلفظٍ قليل، والإفصاح عن المراد بأحسن صورة، ودعوة المخاطب الى الصواب بألطف وجهٍ " [٣] ٠

فأفاد الشاعر من وفرة أدواته ليعبر عما في نفسه من حيرة وحزن أو تقرير وتهكم.. وقد وفق في استعماله كثيرا من أجل تعميق الدلالة البلاغية ولاسيّما في مواطن التعجب والإنكار وبث الشكوى من عدم اللقاء مع المحبوب، وكان أكثرها ورودا اسم الاستفهام (من) اذ ورد (١٤٩) مرة،

---

(١) الديوان:٢/٥٤٨

(٢) الديوان:١/١٨١

(٣) دراسة ونقد في مسائل بلاغية هامة: محمد فاضلي، جامعة فردوسي مشهد–إيران، ط٣، ١٣٨٨ش، ٩٥

ومن بعده (كيف) في (١٤٢) مرة ثم(ما- الهمزة- أين- هل – أي- كم- متى- أنى) بحسب معدل ورودها، ومن الأبيات التي وردت غير ماذكر سابقا :(من السريع)[١]

مَــن ذَلّ لِــي عينــاً علــى غُمضــها ... ليلــةَ ضــاعَ الغمــضُ مــن كفّــي

أســـهرنِي فـــي حُبِّـــهِ راقـــداً ... وَاِســـتَلبَ الرّقـــدةَ مـــن طَرْفـــي

وقال يرثي بهاء الدولة:[٢]

مَــنْ زعــزع الجبــلَ العــاديّ منبتــه ... ومَــن طــوى ذلــك الجــوّال فــي جــالِ

مَــنْ حــلّ عُقْــلَ المنايــا فيــه ثــمّ رمــى ... قــــوائمَ السّــــابقِ الجــــاري بعُقّــــالِ

مَــنْ ســاجل الغيــثَ هطّــالاً بأَذْنِبَــةٍ ... مَــنْ كايَــلَ البحــر مكيــالاً بمكيــالِ

مَــنْ طــاول الشُّــمَّ حتّــى طــالهنّ ذراً ... مَـــن وازن الصُّـــمَّ مثقـــالاً بمثقـــالِ

ســائل بملــكِ الــورى لِــمْ زلّ أخمَصُــهُ ... وهــو الّــذي كــان ثبتــاً غيــرَ زوّالِ

وكيــف أعجــزه هــولٌ ألــمَّ بــه ... وهـــو المـــدقّعُ أهـــوالاً بـــأهوالِ

وكيــف أصــحر بالبيــداء منفــرداً ... مُخـــدَّمٌ بـــين أكنـــانٍ وأظـــلالِ

في هذه القصيدة كرر الاستفهام(٢٦) مرة بأدوات مختلفة أكثرها(من وكيف)، وقد أخرج الاستفهام عن معناه الحقيقي إلى معنى مجازي أراد من خلاله أن يبرز مدى حزنه وتفجّعه على رحيل الملك ويذكر من خلاله مجموعة من صفاته التي يتحسر على فقدها من كرم ونبل وشجاعة ورعاية الفقراء والحكم والحكمة، فكيف يتركني وحيدا ويرحل عني ؟ ويحمل الاستفهام هنا التعجب الذي يشي بمدى الفجيعة التي حلّت بالشاعر وهو يكرر الاستفهام بشكل متتالٍ مثيرا في كل واحد منها صفة من صفات مرثيهِ التي فقدها بفقده.[٣]

---

(١) الديوان:١٤٦/٢

(٢) الديوان:٣٣٢/٢

(٣) يكرر(من) ست مرات في مدح جلال الدولة وبالطريقة نفسها، ٣٧٣/٢، وفي رثاء الأمير أبي الفوارس يكرر(من) سبع مرات ٣١٧/٢، وفي رثاء شرف الدولة ست مرات١٧١/٢

ويقول في فخر الملك:(من الوافر)[1]

فمـــا لَـــكَ لـــيس ترضـــى عـــن محـــلٍّ كأنّـــك بعـــدُ لـــم تُصـــبِ الكمـــالا؟

أَلَسْـــــتَ أتمَّنـــــا خُلُقـــــاً وخَلْقـــــاً وأبســـــطَنا يمينـــــاً أو شـــــمالا؟

فمـــا يبغـــي الّـــذي يضـــحي ويُمسِـــي وقـــد جمـــع المهابـــةَ والجَـــلالا؟

ومَـــن لـــولاه كـــان النـــاسُ فَوْضـــى وكـــان الأمـــر مطروحـــا مـــذالا؟

في الأبيات التي يمدح فيها فخر الملك، يخرج بالاستفهام عن المعنى الحقيقي فيعبر بالمجاز عن صفات ممدوحه التي يُعجبُ بها ويَعجبُ من عدم توقف الممدوح معها عند حد، فهو لايقنع بما وصل إليه من مكانة رفيعة فماذا يريد بعد ذلك من بلغ هذه المنزلة الرفيعة ؟وهو المشهور بعدله وحكمته وتدبير الأمور ولولاه لكان الناس فوضى٠

وله يعاتب صديقه الرئيس أبي الحسين البُتّي على تأخر زيارته له :(من الوافر)[2]

فيـــا راضـــي الجفـــاءِ متـــى التَّلاقـــي ويـــا جـــاني الـــذُّنوب متـــى التَّلافـــي

وَإِن كُنـــتُ اِقترفـــتُ إليـــك جرمـــاً فَقَـــد ذَهـــب اِعتِرافـــي بِـــاِقترافي

يعاتبه عتاب الأخوة بينهما ويحثه على الزيارة من خلال الاستفهام الذي يتشوق فيه كثيرا إلى لقائه، وجعله جانيا بحقه راضيا بالجفاء والقطيعة، وقد أحسن باستخدام الجناس مابين كلمتي (التلاقي والتلافي) و(اعترافي واقترافي)، وهناك أمثلة كثيرة للاستفهام في الديوان لايسع المجال لذكرها فقد تجاوزت (٨٥٠) موضعا٠

أسلوب الأمر والنهي:

من أساليب الطلب التي تخرج عن دلالاتها الأصلية للتعبير عن المعاني البلاغية التي مال إليها الشعراء كثيراً تعبيراً عن تجاربهم النفسية والعقلية من خلال صيغ الأمر المتعددة، وكان فعل

---

(١) الديوان:٢/٢٩٠

(٢) الديوان:٢/١٢٩

الأمر أكثر ورودا من غيره من صيغ الأمر الأخرى، ومن ذلك قوله يرثي القادر بالله ويهنيء ولده القائم الذي حلّ محله:[1]

تعـــزَّ إمـــامَ الـــوَرى وَالّـــذي بِـــه نَقتَـــدي عَـــن إمـــامِ الـــوَرى

وَخَـــلِّ الأَســـى فَالمَحـــلُّ الّـــذي جَثَمـــتَ بِـــهِ لَـــيسَ فيـــهِ أَســـى

هنا يخاطب القائم ويعزيه بفقد والده وعليه أن يترك الأسى فمثله لايناسبه الأسى لأنه مقبل على عمل كبير نيابة عن والده، وبعد أبيات يرد الأمر أيضا:

فَقومـــوا اِنظـــروا أَيّ مـــاضٍ مَضـــى وَقومـــوا اِنظُـــروا أيّ آتٍ أتـــى

يخاطب المجموع ويدعوهم إلى أن ينظروا من غاب ومن جاء بعده، فهذا خير خلف لخير سلف، ويطلب منه في أبيات لاحقة أن يشمر عن ساعده ويقضي على البغي واهله٠

وقوله :(من المنسرح)[2]

وقُـــلْ لحسّـــادِ مـــا خُصصـــتُ بـــهِ ردّوا زمـــانِي وَاِســـتَأنفوا حَسَـــدِي

وَاِبـــقَ لَنـــا فـــي ظِـــلالِ مَملكـــةٍ أَعـــزَّ عـــزّاً مِـــن جانـــبِ الأســـدِ

وَليهنِـــك المِهْرَجـــانُ متَّئـــداً بمـــا ترجّـــى وغيـــر متّئِـــدِ

هذه الأبيات من قصيدة يعتذر فيها الى فخر الملك، ويهنئه بالمهرجان ، فيخاطب الحسّاد الذين كانوا يحسدونه على قربه من هذا الوزير ويتحداهم مستصغرا حجمهم،ويدعو للوزير بالبقاء، وبأن يهنأ بهذا المهرجان وقد استعمل أفعال الأمر(قل- ردوا- استأنفوا- ابق- والمضارع المسبوق بـ (لام الأمر الجازمة) التي وردت قليلا في الأمر)٠

ومن قصيدة في مدح والده:(من المتقارب)[3]

رُويـــدَكِ يـــا خُـــدُعاتِ الزّمـــانِ كَفـــاني فِعالُـــكِ فـــيمَن مَضـــى

---

(١) الديوان:١/١٥٠

(٢) الديوان:١/٤١٠

(٣) الديوان:١/١٥٢

يورد الأمر بصيغة اسم فعل الأمر (رويد) وهو يتمنى على مصائب الزمان أن تتركه فقد كفاه مامضى منها٠

ومن صيغ النهي الذي استعمله الشاعر في غير صورته الحقيقية وهو يخاطب امرأة غير محددة كعادة الشعراء، معتذرا عن ظهور الشيب وليس له فيه ذنب:(من الطويل)[١]

فَــلا تُنكــري لَونــاً تَبَــدّلتُ غَيــرَه كَمُســـتَبدِلٍ بَعـــدَ الـــرّداءِ رِداءا

فَــإنّي علــى العهــدِ الّــذي تَعهَدينــهُ حفاظــاً لمــا اِســتَحفَظتِنِي وَوفــاءا

فَــلا تَجعلــي مــا كــانَ منــكِ مِــنَ الأَذى عِقابــاً لِمــا لَــمْ آتِــهِ وَجَــزاءا

وَعُــدّي بَيــاضَ الــرّأسِ بعــدَ ســوادهِ صَــباحاً أَتــى لَــمْ أَجْنِــهِ وَمَســاءا

وَلا تَطلُبــي شَــيئاً يَكــونُ طِلابــهُ وَقَــد ضَــلَّ عنــهُ رائِــدوهُ عنــاءا

يعتذر منها ويتمنى عليها أن لاتؤاخذه على تغير لون شعره ، لأنه باق على عهده مهما تبدل ذاك اللون، وعليها أن تعده مشرقا كالصباح لا تنظر إليه على انه اسود كالمساء، ولاتطلبي مني شيئا لا أستطيعه لأنّ تغيير الشيب ليس بيدي٠

ومن أبيات وازن بها اليتيمة، يطلب من محبوبته أن لاتخدش عليه خدا لأنه ماض إلى الموت لامحالة فلا يرد الموتَ خدشُ الخد، وان لاتحفل بالشامتين بعده لأنه مصيري ومصيرهم من بعدي، فهو خرج من خلال الصيغتين إلى معنى التصبر وعدم الجزع:(أحذ الكامل)[٢]

لا تَخدِشِــــي خــــدّاً علــــيَّ فمــــا ردّ الفتــــى أنْ يُخــــدَش الخــــدُّ

لا تَحفلــــي بِالشــــامِتين فمــــا أنــــا فــــي المنيّــــةِ دونهــــمْ وَحْــــدُ

(١) الديوان:١٦٤/١

(٢) الديوان:٣٧٤/١

أسلوب النداء:

هو في الأصل توجيه الدعوة إلى المخاطب وتنبيهه للاستماع والإصغاء،لكنه يخرج إلى معانٍ بلاغية من خلال صيغه الظاهرة والمحذوفة مثل الإغراء والتعجب والتحسر وغيرها، وهو أسلوب خطابي له إيحاءاته الجذابة، وظَّف الشاعر أحرفه وخاصة الحرف(يا) لمايريد من أغراض٠

من القصيدة السابقة في رثاء القادر بالله، يقول:[١]

فَيـــا صـــــارِماً أَغمدتـــــه يـــدٌ لَنـــا بَعـــدكَ الصـــارِمُ المُنتضـــى

ويـــا رُكْنـــاً ذَعْذَعتـــه الخطـــوبُ لَنـــا بَعـــدَ فَقْـــدِكَ رُكـــنٌ ثـــوى

وَيـــا خالِـــداً فـــي جِنـــانِ النّعـــيمِ لَنـــا خالـــدٌ فـــي جِنـــانِ الـــدُّنا

المقصود بالنداء هو المتوفى(القادر) يقابله في الأشطر الثلاثة البديل له وهو ابنه، ونلاحظ كيف أفاد الشاعر من رد العجز على الصدر في الأبيات الثلاثة ٠

وفي رثاء صديق له يورد حرف النداء (أيا) فقد صار المحب بعيدا:(من الطويل)[٢]

وَهِلْنـــا عليـــهِ مِـــن جَوانـــبِ قبـــرِهِ ثَـــرىً طـــابَ لمّـــا مـــسَّ طِيـــبَ الضّـــرائِبِ

أَيـــا ذاهِبـــاً بُقّيـــتُ لِلحـــزنِ بعـــدَهُ أَلا إِنَّنـــي حزنـــاً عَليـــك كَـــذاهبِ

ومن النداء المحذوف الأداة قوله في الافتخار:(من البسيط)[٣]

بَنِـــي الحفيظَـــة هَـــل للمجـــدِ مـــن طلـــبٍ لـــيس الطّعـــان لـــه مـــن أنجـــح السّـــببِ؟

والتقدير: يابني الحفيظة، هل هناك وسيلة أخرى لطلب المجد غير الحرب، فليست هي من انجح الوسائل لبلوغ مراتب المجد٠

---

(١) الديوان:١٤٩/١

(٢) الديوان:٢٢٤/١

(٣) الديوان:٢٦٤/١

ويمضي الشاعر ينادي الشعب الذي لايعقل، لكنه كان مباركا كونه التقى به من يحب، وهو حديث مع متعلق الحبيب لا الحبيب نفسه، فنراه ينادي الشعب والطيف وغيرها مما تعلق بمحبوبه ليجد مايخفف به آلامه وتباريح الشوق:(من الهزج)[1]

فَيـــــا شِـــــعباً تَعانقنـــــا بِـــــهِ بوركـــــتَ مـــــن شِـــــعبِ

كما انه استعمل المنادى المرخّم وبخاصة في الغزل وهو يشكو الشيب أو الهجر من المحبوبة وأحيانا للتلذذ باسم المحبوب والإشعار بقربه :(من الطويل)[2]

أمِــن شَــعَرٍ فــي الــرّأس بُــدّلَ لونُــه تبــدّلتِ يــا أســماءُ عنّــي وعــن ودِّي؟

فــإنْ يــكُ هــذا الهجــرُ منــكِ أو القِلــى فلــيس بيــاضُ الــرّأس ياأسْــمُ مــن عنــدي

(١) الديوان:٢٥٨/١

(٢) الديوان:٤٤٤/١

الفصل الثاني
الصورة الشعرية وأنماطها

مهاد نظري:

الصورة الشعرية ركنٌ مهمٌ في النص الشعري، يستثمره الشاعر كي يخلق عالمه الشعري الخاص، فيقوم بتحويل الأشياء من العدم ليبث فيها الإحساس، مستعينا بالعلاقات اللغوية لإبداع معنى جديد، وبقدر ما يكون ماهراً في إخراج المفردة من معناها المعجمي إلى معنى أكثر رحبا وسعة، استطاع رسم صوره بشكل أفضل وتجسدت موهبته الشعرية وأصالته، والنص الشعري لاتنبض فيه الحياة من دون صور حية.

وبقدر التصاقها مع الألفاظ والمعاني فإنها تشكل بنية رائعة لأن" الأدب تقوم بنيته على ثلاثة عناصر متحدة: عنصر الألفاظ وعنصر المعاني وعنصر الصورة ..." [١].

وقد اهتم النقاد العرب القدماء بالصورة وتحديد مفهومها، من خلال الإشارات أو التلميحات العابرة، أو من خلال محاولة وضع تعريف يوحي بعمق الصورة وأثرها في العمل الأدبي، ولعل أقدم هذه الإشارات ماورد عن الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) عندما قال: " فإنّما الشعر صناعة، وضرب من النسيج، وجنس من التصوير"[٢] وجاء بعد الجاحظ ابن الأثير وابن طباطبا وقدامة وأبو هلال العسكري وغيرهم ممن أسهموا في إثراء مفهوم الصورة، لكن أبرز من تعامل مع الصورة بمفهوم واضح هو عبد القاهر الجرجاني في كتابيه(أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز)، فقام بترسيخ مفهوم الدلالة الاصطلاحية للصورة " ومعلوم أنّ سبيلَ الكلام سبيلُ التصوير والصياغة، وأنّ سبيل المعنى الذي يعبر عنه سبيلُ الشيء الذي يقع التصوير والصوغ فيه، كالفضة والذهب يصاغ منهما خاتم أو سوار...." [٣]، فلم يهمل عبد القاهر الأثر النفسي وأهميته في تشكيل الصورة؛ فاستند في التحليل إلى الخلق والإبداع الشعري وقوة تأثيره على الذوق والإحساس المرهف ٠

والصورة " هي مجموعة من الوسائل يحاول بها الأديب نقل فكرته وعاطفته معا إلى قرائه أو سامعيه" [٤]، وأكثر اعتماد الصورة الشعرية على الخيال الذي يحول الأشياء من حالتها الجامدة إلى

---

(١) بناء الصورة الفنية في البيان العربي – موازنة وتطبيق –، د. كامل حسين البصير، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ط١،١٩٨٧م.٤٠

(٢)الحيوان: الجاحظ، تحقيق:عبد السلام هارون، دار الكتاب العربي – بيروت، ١٩٦٩م، ٣/ ١٣٢.

(٣) دلائل الإعجاز: ٢٥٤

(٤) أصول النقد الأدبي: ٢٤٢

أنماط متحركة ويبث فيها الحياة، وهو " يؤلف بين الأشياء المتباعدة أو يبث الحياة فيما لايعقل ويشترط أن تصور الحالة النفسية للشاعر بصدق " [١]،" وهي الجوهر الثابت والدائم في الشعر [٢].

كما إنها " الشكل الفني الذي تتخذه الألفاظ والعبارات بعد أن ينظمها الشاعر في سياق بيانيّ خاص ليعبر عن جانب من جوانب التجربة الشعرية الكاملة في القصيدة، مستخدما طاقات اللغة وإمكاناتها في الدلالة والتركيب والإيقاع والحقيقة والمجاز والترادف والتضاد والمقابلة والتجانس وغيرها من وسائل التعبير الفني، والألفاظ والعبارات هما مادة الشاعر الأولى التي يصوغ منها ذلك الشكل الفني أو يرسم بها صوره الشعرية " [٣]

فهي ألفاظ وعبارات ترمز إلى المعنى وتجسم الفكرة، تتحكم فيها عدة عوامل، منها تجربة الشاعر، وبيئته، وأفكاره ونفسيته وعلاقاته الإنسانية، " وهي التي تنقل ما في النفس من خواطر ومشاعر بصدق، ودقة، وتبرزه للغير "[٤].

وصلاح فضل يقرأ الصورة بشكل آخر" هي الشكل البصري المتعين بمقدار ما هو المتخيل الذهني الذي تثيره العبارات اللغوية، بحيث أصبحت الصورة الشعرية مثلا تقف على نفس مستوى صورة الغلاف "[٥]، وهناك من يرى " أنها صورة حسية من كلمات، استعارية إلى درجة ما، في سياقها نغمة خفيضة من العاطفة الإنسانية، ولكنها أيضا شحنت، منطلقة إلى القارئ عاطفة شعرية خالصة أو انفعالا"[٦]

والصورة تمنح الشاعر شخصيته الأدبية، مستعينا بما يملك من ثراء لغوي، فيكون كالرسام الماهر الذي ينتج عشرات اللوحات بريشة واحدة " تتمثل أهمية الصورة –إذن– في الطريقة التي

---

(١) تذوق النص الأدبي: د.سامي يوسف أبو زيد، دار المسرّة، الأردن، ط١، ٢٠١٢، ١٠١

(٢) ينظر: الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي: د. جابر عصفور، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط٣، ١٩٩٢ ، ٧

(٣)الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر: د. عبد القادر القط، مكتبة الشباب، مصر، ط١، ١٩٨٨، ٣٩٢

(٤) في النقد الأدبي القديم عند العرب: د. مصطفى عبد الرحمن إبراهيم، مكة للطباعة، مصر، ط١، ١٩٩٨، ١٥٦

(٥) قراءة الصورة وصور القراءة: د. صلاح فضل، دار الشروق، مصر، ط١، ١٩٩٧، ٥

(٦) الصورة والبناء الشعري: د. محمد حسن عبد الله، دار المعارف، مصر، ط١، ١٩٨١، ٣٢

تفرض بها علينا نوعا من الانتباه للمعنى الذي تعرضه، وفي الطريقة التي تجعلنا نتفاعل مع ذلك المعنى، ونتأثر به " [١].

والصورة الشعرية شاعت كثيرا في الشعر العربي منذ القدم وهي تعني " تشكيل لغوي نابع من المخيلة المبدعة تتفاوت عناصرها الحسية والمعنوية بحيث تكون العلاقات الداخلية بين هذه العناصر ذات صفاتٍ معنوية متسمة بالخبرة والابتكار"[٢]، وهي مهمة في تكوين النص حيث " إنّ مدار النص يتمحور حول ما يبدعه الشاعر من صور وعلاقات، وما يبذله من نشاط ذهني ونفسي متمثلا بما يحدثه من تغيير في صور الواقع وعلاقاته، ليخلق عالما جديدا هو في الحقيقة أكثر جمالا وإثارة من الواقع، وهنا تكمن عظمة الشاعر وموهبته الخلاّقة "[٣]والصورة الشعرية البيانية تنشأ بشكل غير مباشر من علاقات المجاز المختلفة من تشبيه واستعارة وكناية وغيرها. وسنوجز القول في كل واحدة منها:

المبحث الأول: الصورة التشبيهية:

صفة الشيء بما قاربه وشاكله، من جهة واحدة أوجهات كثيرة لامن جميع جهاته؛لأنه لوناسبه مناسبة كلية لكان إياه،ألا ترى أن قولهم " خدٌّ كالورد" إنما أرادوا حمرة أوراق الورد وطراوتها،لاما سوى ذلك من صفرة وسطه وخضرة كمائمه..."[٤]، أو " هو عقد مماثلة بين أمرين أوأكثرقصد اشتراكهما في صفة، أو أكثر، بأداة لغرض يقصده المتكلم" [٥]، والتشبيه يقرّب المعنى المجرد إلى ذهن السامع أو القارئ عندما يضفي الشاعر عليها صفة المادي أو المحسوس وذلك بطريقة الاستعمال المجازي للغة.

---

(١)الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي: ٣٢٧-٣٢٨

(٢)الصورة المجازية في شعر المتنبي، خليل رشيد فالح، رسالة دكتوراه، كلية الآداب – جامعة بغداد، ١٩٨٥م، ٢٨.

(٣)الشعرية العربية، أصولها ومفاهيمها واتجاهاتها: د. مسلم حسين حسب، ص: ٣٢٦- ٣٢٧، ط: ٢٠١٣، مطبعة ضفاف، السعودية.

(٤) العمدة: ٢٨٦/١

(٥)جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: ٢٥٥

واستخلص الدكتور عبد العزيز عتيق من مجموع التعريفات للبلاغين تعريفا يوحّد فيه الهدف " بيان أن شيئا أو أشياء شاركت غيرها في صفة أو أكثر بأداة هي الكاف أو نحوها ملفوظة أو مقدرة، تقرّب بين المشبه والمشبه به في وجه الشبه" (١)

وهو يجسّد من خلال صوره الحسية الأفكارَ ويجعلها كأنها تُرى،وهذا يعني أنّ للتشبيه أثراً مهماً في تشكيل الصور الشعرية من حيث كونه من الوسائل البيانية المهمة التي تمد الشاعر بالصور الجميلة الرائعة التي تجعل من النص الشعري عذبا جميلا.

ولهذا الفن حضوره الواسع في شعر المرتضى من خلال صوره المتعددة كالمرسل والمفصل والبليغ والتمثيل... فقد بلغت حالاته (١٠٠٠) حالة، وكانت أكثر أدواته(كأنّ) التي وردت (٤٥٦) مرة، والكاف(٣٤٨) مرة، ومثل(٢٧) مرة، ونحاول هنا أن نذكر عينات منها ونحيل إلى البقية خوفَ الإطالة.

يقول في صفةٍ من صفاتِ كرمِ صديقٍ له:(من مجزوء الكامل) (٢)

تجـــــري يـــــداهُ بِكُـــــلِّ مـــــا يَهـــوى المؤمّـــلُ مـــن ســـخاء
وَتـــــراهُ كَالصَّـــــقرِ الَّـــــذِي لَمـــحَ القنيصـــةَ مِـــن عـــلاء
مـــــا ضَـــــلَّ قـــــطُّ وإنْ هُـــــمُ غَـــدَروا بِـــهِ طُـــرقَ الوفـــاء
وَرُمـــوا إلـــى ظُلَـــمِ الصَّـــفا ئـــحِ فـــي صـــباحٍ أو مســـاء

فهو يبحث عن شخص يكرمه، كما يبحث الصقر عن فريسته ويفتش عنها بكلّ دقة، حتى إذا ما لمحها انقضَّ عليها، وهذا حال صاحبنا الكريم الذي جعله المرتضى في صورة رائعة، وفي هذا التشبيه المفرد (هو كالصقر) ٠

---

(١) في البلاغة العربية، علم المعاني،البيان، البديع: د. عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت، ط١، ب. ت، ينظر: البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها:الميداني، ١٦١/٢، معجم البلاغة العربية: د. بدوي طبانة، دار المنارة، جدة، دار الرفاعي– الرياض، ط٣، ١٩٨٨، ٢٩٦

(٢) الديوان:١٦٧/١

ومن تشبيهاته (صورة حسية) وكأنه مسافر بات غريبا في أرضٍ مقفرة، وقد نفدَ ماؤُه وكلّتْ إبلهُ، لكنّ هذي الأرض لم تخل من المرثي الذي يريد الشاعر أن يبرز كرمه هنا، وكأنه يقول: إنّ المرثي هو الماء والفيء والشجر: (من الكامل)[1]

وطلبتُـــه بـــين الرّجـــالِ فلـــم يكـــنْ ولـــربّ مطلـــوبٍ بنـــا لـــم يلحـــقِ

وكـــأنّني مـــن بعـــده ذو قفـــرةٍ صَـــفِرَتْ إداوَتُـــهُ كليـــلُ الأينُـــقِ

ومن تشبيهاته التي تعتمد الصورة الحسية، وهو يصور شهداء كربلاء وكأنهم الأزهار التي تتقاذفها الرياح يمينا وشمالا، بعد أن قصفتها، وهم تلك النجوم اللامعة التي هوت سريعا بعد سطوعها، وهذه نهاية الأشياء التي لابد منها: (من الطويل)[2]

كـــأنّهُمُ نُـــوّارُ روضٍ هَـــوَتْ بـــه ريـــاحٌ جَنوبـــاً تـــارةً وقَبـــولا

وَأَنجـــمُ ليـــلٍ مـــا علـــون طوالعـــاً لأعيننـــا حتّـــى هـــبطن أُفـــولا

فـــأيُّ بـــدورٍ مـــا مُحـــين بكاســـفٍ وأيُّ غصـــونٍ مـــا لقـــين ذبـــولا؟!

وفي مشهد آخر يشبه حاله عندما وصله مديح أبي الحسن البتيّ، بحال من شرب الخمرة ومشت في مفاصله، وسحرته حتى كأنه يغرف من نهر من الخمر، لأنّ هذا المديح يسحر العقل، وينتشر عبيره في النفس:

(من الطويل)[3]

مـــديحٌ تـــولّى الفكـــرُ تنميـــقَ نســـجِهِ ولـــيس كوَشْـــيٍّ نمَّقَتْـــهُ الصّـــوانعُ

كـــأنّيَ لمّـــا أَنْ مَشـــتْ فـــي مفاصـــلي حُمَيّـــاهُ فـــي نِهـــيٍ مـــن الخمـــرِ كـــارعُ

ويستعمل التشبيه البليغ – وهو ماحُذف وجهه وأداته– في الديوان بشكل كبير، ومن ذلك قوله وهو يرثي نقيب العباسيين محمد بن علي الزينبي، ويشبّه نفسَه بقوسٍ فقد أسهمه، ونصل ماله

---

(١) الديوان:٢/ ٢٠٧

(٢) الديوان:٢/ ٣١٢-٣١٣

(٣) الديوان:٢/٤٢

من مضرب وهو السيف الذي فقد الجزء الذي يُمسك منه، وفي البيت يورد عدة تشبيهات، فهو كالنار التي لا يصطلي أحدٌ بدفئها، فلا فائدة منها، وهو ضيف لم يجد أحدا يضيّفه، وهو ليل شديد السواد بلا كوكب منير يجلي ظلامه، ويشبه فراشه بشوك القتاد أو بلسع العقارب، لأنّ ليلَه كلَّه ألمٌ ووجع بعد فقد صديقه:(من الطويل) [١]

فَـإنْ تُبقِنـي الأيّـامُ بعـدكَ للأَسـى عَليـكَ وَحُزنـي فـائضٌ غيـر ناضِـبِ

فَـإنّيَ قَـوسٌ مـا لَهـا مِنـك أسـهُمٌ وَنَصـلُ قـراعٍ مـا لَـهُ مـن مَضـارِبِ

ونـارٌ بـلا صـالٍ وضـيفٌ بـلا قِـرى وليـلٌ بهـيمٌ مـا لـهُ مِـن كواكِـبِ

فَـإنْ لَـم يَكـن شـوك القَتـادِ مـنَ الأسـى عَليـك فراشـاً لِـي فشَـوْلُ العقـاربِ

وفي صورة أخرى:(من الطويل)[٢]

وَكَـم لائِـمٍ فـي المَجـدِ لا نُصـحَ عِنـدَهُ جَعلـتُ جَـوابي عَـن مَلامَتِـه تبّـا

يَلـوم عَلـى أنّـي أجِـنّ إلـى النّـدى وَلَـيسَ لِمَـن عـابَ النّـدى عنـدِيَ العُتبـى

وَمـا المـالُ إلّا مـا سَـبقتُ بـه ردىً فَأَعطيتـه أَو مـا شـفيت بـه صـبّا

جعل المال كالسلاح الذي يدفع به الموت، أو هو الرد على اللائم الذي يلومه وجعله بديلا عن الكلام لو قرأنا(ردّي) بدلا من ردىً، أو هو الدواء لمن يحتاجه٠

وفي موضع آخر يشبه قوما بالسراب الذي يخدع البصر ويضلل الفكر، وقد وظّف أسلوب القصر ليقيد الصورة ويجعلها واضحة شاخصة للمتلقي ، فتشبيه من عاتبهم بالسراب قد جعل منهم صورة حية يمكن أن يراها كلُّ إنسانٍ ويلمسَ تأثيرها، فكما أنْ لافائدة من السراب كذلك لافائدة منهم، لأنهم لم يشفعوا للمذنب ولم يخففوا على الخائف ويعطوه الأمان:(من الطويل)[٣]

إذا أنـتُمُ لَـم تَشـفَعوا فـي قباحـةٍ ولـم تشـفعوا فـي خـائفٍ بأمـانِ

---

(١) الديوان:٢٤٠/١

(٢) الديوان:٢٠٧/١

(٣) الديوان:٥٦١/٢

فَمـــا أَنـــتُمُ إلّا سَـــرابٌ بقِيعَـــةٍ يضـــلّلُ رَأْيـــي أوْ يغـــرّ عِيـــاني

أمّا تشبيه التمثيل الذي عرّفه أهل البلاغة بأنه" التشبيه الذي يكون على شكل لوحة تُصوّرُ أكثر من مفرد، ووجه الشبه فيه لايكون مأخوذا من مفرد بعينه، بل يكون مأخوذا منه ومن غيره، أو من الصورة عامة" [١]، فقد ورد عنده بمواضع متعددة ، منها:(من الكامل)[٢]

وهُـــمُ غيـــوثُ صـــنائعٍ ومجـــاوعٍ وهُـــمُ ليـــوثُ مواقـــفٍ ومـــآزقِ

وهُـــمُ صـــدورُ محافـــلٍ ومجـــالسٍ وهُـــمُ بـــدورُ مواكـــبٍ وفيـــالِقِ

يفتخر بآبائه ويقول: إنهم غوث لكل محتاج وجائع، وهم أسود في كل المواقف الصعبة، وفي البيت الثاني: هم المقدمون في صدور المجالس، وهم القادة في المعارك المقدمون فيها لشجاعتهم.

ويصف الفتية الذين قتلوا في كربلاء:(من البسيط)[٣]

وكـــم ســـليبِ رمـــاحٍ غيـــرِ مســـتترٍ وكـــم صـــريعِ حمـــامٍ غيـــرِ ملحـــودِ

كـــأنَّ أَوجههـــم بيضـــاً مُلألئـــةً كواكـــبٌ فـــي عِـــراصِ القفـــرةِ السُّـــودِ

لـــم يطعمـــوا المـــوتَ إلّا بَعـــد أنْ حطمـــوا بالضّـــربِ والطعـــنِ أعنـــاقَ الصَّـــناديدِ

مـــن كـــلِّ أبلـــجَ كالـــدِّينار تشـــهده وسْـــطَ النَـــدِيّ بفضـــلٍ غيـــرِ مجحـــودِ

هؤلاء كواكب منيرة في ظلام الميدان المقفر، وهم بيض مثل الدنانير البيضاء يوم العطاء، " وهذه التشبيهات تعطي صفة الشباب والعقل والنور والكرم والجود والسماح للذين قُتلوا من آل البيت، ومعظمهم كان [كانوا] شبابا صغارا، بجانب ماعرفوا من فضلهم وإيمانهم وجودهم" [٤]

---

(١)البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها: ١٨٦/٢، ينظر: مدخل إلى البلاغة العربية: ١٥٤

(٢) الديوان:١٧٩/٢

(٣) الديوان:٤٣٧/١

(٤) الصورة الفنية في شعر المرتضى، دراسة نقدية: طاهرة عبد الخالق اللواتية، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ط١، ٢٠١٥، ٣٢

ومن التشبيه الضمني وهو" تشبيه لايوضع فيه المشبه والمشبه به في صورة من صور التشبيه المعروفة بل يلمحان في التركيب " [١]، وهو من أكثر ألوان التشبيه بلاغة وجمالا، لأن طرفي التشبيه يُترك استنتاجهما للسامع والقارئ :(من السريع)[٢]

يـــا نائيـــاً عنّـــي ومـــن مُنيتـــي أنْ بِعْـــتُ بُعـــدي منـــه بـــالقُربِ

كـــم لـــك عنـــدي مـــن أيـــادٍ مضـــتْ بيضـــاً وإن كنـــتَ مـــن الشُّـــحْبِ

واللّيـــل كالصّـــبحِ لنفـــع الـــورى والسُّـــمرُ كـــالبيضِ لـــدَى الحـــربِ

ومـــا جـــرى فـــي النّـــاس شـــيءٌ لهـــمْ مَجـــرى سَـــوادِ العـــينِ والقلـــبِ

وَالقـــزُّ فـــي الصُّـــفرةِ مخلوقـــةً خيـــرٌ لباغيـــهِ مـــن العُطـــبِ

يرثي الشاعر الأمير عنبر الملكي الخادم، وربما كان أسمرَ اللون ويؤكد ذلك ماورد في البيت الثاني، ويذكر حبه له وتعلقه به ويرى مكانته ومنفعته كما إن الليل ينتفع به مثل النهار، ولافرق بين سواد العين وبياضها عند الناس ، ثم يورد صورة للتشبيه الضمني في البيت الأخير، ولايعني أن القطنَ أفضلُ وأغلى من الحرير لكونه ابيضَ اللون، فليس اللون صاحب الفضيلة في الأشياء وان كان ذا فضل ٠

وجد الشاعر في التشبيه سعةً ليرسم تلك الصور الجميلة في المدح والرثاء والعلائق الوشيجة بينه وبين أسامة التي طالما أضفى على قصائده بأروع التشبيهات، معبرا في كل ذلك عن رؤيته الأدبية مشيرا إلى سعة ثقافته السياسية والفكرية وتمكنه من أدواته الفنية.

المبحث الثاني: الصورة الاستعارية:

"الاستعارة أفضل المجاز، وأول أبواب البديع، وليس في حَلي الشعر أعجبُ منها، وهي من محاسن الكلام إذا وقعت موقعها، ونزلت موضعها..."[٣] أو هي:" اللفظ المستعمل في ماشبه بمعناه الأصلي، كأسد في قولنا: رأيت أسداً يرمي...وقال بعضهم: حقيقة الاستعارة، أن تستعار الكلمة من

---

(١)ينظر: جواهر البلاغة:٢٨٥، في البلاغة العربية: ٢٩٥

(٢) الديوان:١/٢٤٣

(٣) العمدة:١/٢٦٨-٢٦٩

شيء معروف بها إلى شيء لم يعرف بها، وحكمة ذلك إظهار الخفي، أو إيضاح الظاهر الذي ليس بجلي، أوحصول المبالغة أوالمجموع..." [١]،أوهي "نقل العبارة عن موضع استعمالها في أصل اللغة إلى غيره لغرض، وذلك الغرض إما أنيكون شرح المعنى وفضل الإبانة عنه، أو تأكيده والمبالغة فيه، أو الإشارة إليه بالقليل من اللفظ، أوتحسين المعرض الذي يبرز فيه، وهذه الأوصاف موجودة في الاستعارة المصيبة، ولولا أن الاستعارة المصيبة تتضّمن ما لا تتضمنه الحقيقة، من زيادة فائدة لكانت الحقيقة أولى منها استعمالا" [٢]

وقد بيّن حدّها عبد القاهر" أن تريد تشبيه الشيء بالشيء، فتدع أن تفصح بالشيء وتظهره وتجيء إلى اسم المشبه به فتعيره المشبه وتجريه عليه، تريد أن تقول: رأيت رجلا هو كالأسد في شجاعته وقوة بطشه سواء، فتدع ذلك وتقول: "رأيت أسداً" " [٣]

إذاً، هي استعمال اللفظ في غير ماوضع له لعلاقة المشابهة بين المعنى الأصلي والفرعي، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي [٤] وقد صار يُنظر إليها كعلاقة لغوية قائمة على المقارنة كما في التشبيه[٥]، فالاستعارة هي تشبيه بليغ حُذف أحدُ طرفيه.

وهناك النظرية التفاعلية التي تؤكد "أن الاستعارة تتجاوز الاقتصار على كلمة واحدة، وهي تحصل من التفاعل أو التوتر بين بؤرة المجاز، والإطار المحيط بها، وتبين هذه النظرية أن للاستعارة هدفا جماليا، وتشخيصيا، وتجسيديا، وتخييليا، وعاطفيا" [٦]

وتعد الاستعارة ركنا أساسيا من أركان الصورة الشعرية، لأنها تعبر عن الأشياء بصورة غير مباشرة، وهذا الفن البياني من أكثر ضروب التصوير تداولا عند الشعراء فضلا عن ألوانه المختلفة وكلما أبحرت في عالم الخيال كلما ازداد التفكر والإثارة فيها، وقد أفاد الشاعر المرتضى من

---

(١) أنوار الربيع في أنواع البديع: ٢٤٣/١

(٢) الصناعتين: الكتابة والشعر: أبو هلال العسكري، تحقيق: علي محمد البجاوي– محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ٢٠٠٦، ٢٤٠

(٣) دلائل الإعجاز: ٦٧

(٤) ينظر: جواهر البلاغة:٣١٥، دراسة ونقد في مسائل بلاغية هامة: ٢٠٤، في البلاغة العربية: ٣٧٦

(٥) ينظر: الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي: ٢٠١

(٦) الاستعارة في النقد الأدبي الحديث الأبعاد المعرفية والجمالية: د. يوسف أبو العدوس، الأهلية للنشر، الأردن، ط١، ١٩٩٧، ٨

توظيف الاستعارة وبشكل واسع لخدمة غرضه المناسب ليصل إلى هدفه الذي يريده وذلك بوساطة الاستعارة، ولها تقسيمات كثيرة من حيث الأركان المكونة لها أو التي تؤثر فيها، فلا يسع المجال هنا للخوض في تفصيلاتها ولكن نذكر مجموعة من ابرز أنواعها وهما(التصريحية والمكنية) من حيث ذكر المشبه أو المشبه به فقط في الكلام:

الاستعارة التصريحية:

هي ماصُرح فيها بلفظ المشبّه به، أو ما استُعير فيها لفظُ المشبّه به للمشبّه، ومن استعاراته التصريحية ، (من المتقارب):[1]

فَإِمّا مَضى جَبلٌ وَانقَضى فَمِنكَ لَنا جَبلٌ قَد رَسَا

وَإِمّا فُجِعنا بِبَدرِ التمامِ فَقَد بَقيت مِنك شمسُ الضُحى

وَإِن فاتَنا مِنهُ لَيثُ العَرين فَقَد حاطَنا مِنكَ لَيثُ الشَّرى

فهو هنا يرثي القادر بالله ويهنئ القائم ولده مكانه، فيورد الاستعارات في اكثر من موضع في النص، ومنها هذه، فهو مثل بدر التمام وقد فقدناه، فحذف المشبه(القادر) وحل مكانه المشبه به (بدر التمام)، فقد كان هذا الخليفة نورا وهداية مثل نور البدر الذي يهدي السائرين في الظلام، وقد حلّ محلّه ولده الذي هو شمس الضحى ، نور كنور أبيه ٠

وفي قصيدة أخرى يهنئفيها فخر الملك بالمهرجان ويمدحه:(من الطويل)[2]

فَما أَنا إِلّا في رِياضك راتِعٌ وَلا أَنا إِلّا مِن زنادكَ قادحُ

هَنيئاً بِيَومِ المِهْرَجانِ فإنّهُ وَكلَّ زَمانٍ نَحوَ فَخرك طامحُ

تَعِزُّ بكَ الأيّامُ وهيَ ذَليلةٌ وَتَسخو اللّيالي منك وهْيَ شحائحُ

الأيام تكون عزيزة بفخر الملك، فاستعار العزة من الإنسان إلى الأيام وجعلها عزيزة منيعة بعدما كانت ذليلة، وكذلك فهي سخية والسخاء للإنسان لا للأيام، فتضحي كريمة بعد شُحِّها، وقد

---

(١) الديوان: ١٤٩/١

(٢) الديوان:٣٢٣/١

أعطى المرتضى هنا من خلال هذه الاستعارات بعداً معنويا كبيرا للممدوح، رفع من مكانته حتى انه شبه حاله بحال الراتع في أرضه وخيراته، والذي يستمد منه كل قوته كما في البيت الأول.

ونراه يمدح الوزير أبا الفرج بن فسانجس في رسالة كتبها إليه:(من البسيط)[1]

للّـــه دَرُّكَ فـــي مُســـتغْلَقٍ حَـــرِجٍ أســـعفتَ فيـــه بفرحـــاتٍ وفُرجـــاتِ

وفـــاحمٍ مُـــدْلَهمٍّ لا ضـــياءَ بـــهِ نزعـــتَ عنـــه لنـــا أثـــواب ظُلمـــاتِ

جعل من ممدوحه نورا يكشف الظلمة، فهو من يكشف الحجبَ والظلامَ في أحلك الليالي، وهي إشارةٌ إلى سعةِ عقله وبعد نظره في الأمور والى شجاعته، في أمور كثيرة وصعبة.

وفي استعارة أخرى :(من الخفيف)[2] يمدح فخر الملك، فجعل كرمه كالسيل وشبّه أعداءه بالوشل(وهو الماء القليل)، فحذف الممدوح العائد على السيل، وحذف أعداء الممدوح العائد على الأوشال، ورسم لنا صورة رائعة من خلال هذه الاستعارة، وهو يبرز التضاد مابين كرم ممدوحه الذي جعله كالسيل الذي لامنتهى لقوته، فكرمه يطغى على كل شي فيجرفه كالسيل، ومابين أعدائه الذين يحاولون بلوغ مكانته لكنهم لايملكون مقومات ذلك الكرم الطاغي، فأين الأوشال من السيل؟

طَلَبـــوا شَـــأوه وَأَيـــن مـــنَ الأو شـــالِ ســـيلٌ يجـــيءُ مِـــلءَ الشِّـــعابِ

الاستعارة المكنية:

" وهي ما حذف فيها المشبّه به أو المستعار منه، ورمز له بشيء من لوازمه"[3] ومن استعارات الشاعر:(من الكامل)[4]

وَأَبـــي الّـــذي تَبـــدو علـــى رغـــم العِـــدا غُـــــرّاً محجَّلـــــةً لنـــــا أيّامُـــــهُ

---

(١) الديوان: ٢٨٣/١

(٢) الديوان:١/ ٢٣٠

(٣) في البلاغة العربية: ٣٧٣

(٤) الديوان:٣٩٦/٢

يشيد بوالده في قصيدة يفتخر بها ويذكر مآثر آبائه وأجداده، وقد شبه أيام والده وكرمه وشجاعته بالفرس الغرّاء المحجّلة، فحذف المشبه به (الفرس) وأبقى من لوازمها(الغرّة المحجلة)، فهذه الأيام ناصعة البياض لاشية فيها تشوبها، مهما حاول الأعداء طمسها٠

وهذا نصٌّ آخر زاخر بالاستعارات التي وظّفها في افتخاره :(من الطويل)[١]

تَمــرُّ العطايــا لا تكشّــف ناجــذِي وتــأتي الرّزايــا وهْــيَ مــن جَزَعِــي صــفْرُ

وَســيّانِ عنــدي ثــروَةٌ وخَصاصــةٌ قنــوعِيَ إثرائِــي وللجــزعِ العُســرُ

هَجــرتُ فضــولَ العــيش إلّا أقلَّهــا وَفــي القــومِ مــن يَطغــى علــى حلمــه الــوَفْرُ

أَعــفّ وأَســبابُ المطــامعِ جمّــةٌ وَأَعلــم وَالألَبــابُ يخــدعها المكــرُ

لِكُــلِّ زَمــانٍ خُطّــةٌ مــن مــذاهبي وأشــقى الــورى مــن لا يصــرّفه الــدّهرُ

صَـمَتُّ ولـم أصـمتْ وفـي القـول فضـلةٌ وَقلــتُ فَلَــم يَــأنس بِمنطِقــيَ الهُجــرُ

فالعطايا تمرُّ فلا أفرحُ بها ، وتأتي الرزايا لكنها لاتساوي شيئا عندي فلا أكترث لها، فقد جعل للعطايا والرزايا شخصا يروح ويغدو، و(هجرت فضول العيش)، فقد هجر ملذات العيش وجعلها شخصا فحذفه وجاء بما يناسبه من جمع المال، وكذلك (الألباب يخدعها المكرُ)، و(يصرفه الدهرُ)، و(يأنس بمنطقي الهجرُ) والقصيدة طويلة مشحونة بالاستعارات المكنية ٠

ومن قصيدة أخرى يفتخر فيها، ويذكر مناقبه: (من البسيط)[٢]

دفعــتُ عــنكم بمَــا تجلــو القُيــونُ وقــد دفعْــتُمُ الشــرَّ عجــزاً عنــه بــالرّاحِ

ســيّانِ سِــرِّي وجهــري فــي ظِهارتِــهِ ومســتوٍ خَمَــرِي فيــهِ وتَرْواحــي

إنْ كــان رِبْحُكُــمُ مــالاً يفــارقُكمْ فلــيس غيــرَ الأيــادِي البــيضِ أربــاحي

ورثــتُ هــذِي الخصــالَ الغُــرَّ دونكُــمُ عــن كــلِّ قَــرْمٍ طويــلِ البــاعِ جَحْجــاحِ

---

(١) الديوان:١/٤٥٣

(٢) الديوان:١/ ٣٥٠

قــومٌ إذا ركبــوا يومــاً علــى عَجَــلٍ ضــاق الفضــاءُ وســدّوا كــلَّ صَحْصــاحِ

في البيت الأول(دفعتم الشرّ) استعارة مكنية، فقد دافع عنهم بالسيوف التي صقلها الحدادون فبان بياضها، فدفاعه واضح ناصع كما السيوف، لكنهم لم يحفظوا له ذلك فعجزوا عن الدفاع عنه أمام الشر واكتفوا بالأيدي وأين السيوف من الأيدي؟ فجعل العدو شرا يدفع بالراح ٠

وقوله:(ورثت هذي الخصال...) فيه استعارة مكنية أيضا لأنه جعل من البطولة خصالا تُورث كما يُورث المال، وكذلك (ضاق الفضاء...)، لكثرة عدد قومه الذين يضيق عنهم الفضاء ولاتسعهم المفازات الواسعة(صحصاح)، وقد أضاف إلى الأبيات كناياتٍ تؤكد تلك الاستعارات التي جعلت من النص صورة بلاغية مشحونة بكل معاني الفخر والاعتزاز، في قوله(طويل الباع جحجاح) وهي كناية عن الشجاعة ، (الأيادي البيض) كناية عن الكرم ٠

ومن أبياته في الزهد بمن لايرضى ولايقنع بالخير، لكن بيوتهم مليئة بالشر، خالية من الخير: (من السريع)[1]

الشّــــرُّ فــــي أبيــــاتهمْ لابــــثٌ والخيــــر فيمــــا بيــــنهمْ ضــــائعُ

فجعل الشرّ كانسان لابثٍ في البيوت، وكذلك الخير فهو ضائع بينهم٠

ان الاستعارات عند المرتضى تأتي بشكل عفوي وهي ترسم ملامح المخيلة الكبيرة لذلك الشاعر الذي آثر أن تكون هذه الاستعارات صورا حية تحمل بعدا تمثيليا، يأخذ بالقارئ إلى عالم الخيال وكيف يجنح مع الشاعر وهو يتلقى هذه الصور البلاغية بشكل ممتع وأخّاذ٠

---

(١) الديوان:٢/٦٠

المبحث الثالث: الصورة الكنائية:

هي " أن يريد المتكلمُ إثباتَ معنىً من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردِْفُه في الوجود فيومئ به إليه ويجعله دليلا عليه، مثالُ ذلك قولهم: " هو طويل النجاد"، يريدون طويل القامة "[١].

أما ابن الأثير فقد خالف الكثير في تعريفها فقال:" فحدّ الكناية الجامع لها هو أنها كل لفظة دلت على معنى يجوز حمله على جانبي الحقيقة والمجاز بوصف جامع بين الحقيقة والمجاز" [٢]، وجعله قدامة في باب الإرداف، فالشاعر لايأتي باللفظ الدال على المعنى مباشرة، وإنما يأتي بلفظ يدل على معنى هو ردفه وتابع له [٣]، وتنماز الكناية إلى جانب فائدتها البيانية إنها تستبعد الألفاظ المستقبحة التي تسبب الحرج لقائليها، فهي من الأساليب التي يستعملها الأديب ليتحاشى الألفاظ التي تمجها الأذواق وتأنف منها الأسماع.

والكناية تكون عن (صفة– موصوف– نسبة)، وقد وردت كلها في شعر المرتضى ، ومنها قوله:(من الخفيف) [٤]

إنْ عَنَـــتْ أزْمـــةٌ فكـــفٌّ وَهـــوبٌ أو عَـــرَتْ خَشـــيةٌ فنصـــلٌ ضَـــروبُ

وَرِجـــــالٌ شُـــــمُّ العَـــــرانين وثّـــــا بـــون نحـــو الـــرَّدى شـــبابٌ وشـــيبُ

شُمُّ العرانين، هؤلاء الأبطال من أهل العزة والمنعة شامخة أنوفهم، وقد كنى بذلك عن البطولة والفتوة، في الشيب والشبان، وهو تعبير شاع في الشعر العربي.

وفي نص آخر في رثاء والده ويذكر مناقبه:(من الوافر)[٥]

فَتـــىً لـــم يَـــرْوَ إلّا مِـــن حَـــلالٍ وَلَـــم يـــكُ زادُهُ غيـــرُ المُبـــاحِ

---

(١) دلائل الإعجاز: ٦٦

(٢) المثل السائر: ٥٢/٣

(٣) ينظر: نقد الشعر:١٥٧

(٤) الديوان:١٩٠/١

(٥) الديوان:٣٤٦/١

وَلا دَنِسَـــــتْ لَـــــهُ أُزُرٌ بعـــــارٍ ولا عَلِقَـــــتْ لـــــه راحٌ بـــــراحِ

خَفيــفُ الظّهــرِ مِــن حَمْــلِ الخَطايــا وَعُريــانُ الصّــحيفةِ مــن جُنــاحِ

كان أكله وشرابه من الحلال، ولم تُدَنَّس ثيابُه بعارٍ ولا مسّت كفُّه الخمرةَ ولم يخالطها في عمره، وهو نقيٌّ لم يحمل وزرا على ظهره ، فكنّى عن قلبه النقيّ بالأُزر التي لم يدنسها الذنب، وعن سلامته من الذنوب بحمل الخطايا٠

وفي قصيدة يهنيء أباه ويتنقل عبر أبياتها وهي مشحونة بالعديد من صفاته التي طالما كررها المرتضى، وهي حيّة معه في أغلب قصائده في مدح ورثاء والده (من الطويل)[١]

شَــديدُ ثَبــاتِ الــرّأي بــين مــواطنٍ ريــــاحُ الخطــــوبِ بيــــنهنّ زعــــازعُ

فتراه في كل الأماكن والمواطن الصعبة ثابت الرأي، و(رياح الخطوب) كناية عن الصعوبات الشديدة تداخل الأمور واختلاطها٠

وتتوالى الكنايات بشكل كبير في الديوان ومن ذلك مانراه في هذه الصورة التي رسمها لبيت الكرم الذي عاش فيه مع والده:(من المتقارب)[٢]

سَــــقى اللَّــــهُ مَنزلَنــــا بِالكثيــــب بِكَــــفٍّ السّــــحائِب غَمْــــرَ الحيــــا

مَحــــلّ الغيــــوثِ وَمَــــأوى اللّيــــوث وَبحــــرُ النّــــدى وَمَكــــان الغِنــــى

فنجد الكناية عن صفات متعددة في البيت الثاني، وهي عن غوث الملهوف وعن القوة والبطولة وعن الكرم والجود وعن محل الرزق الوفير، ناهيك عن الجناس مابين (الغيوث والليوث والندى والغنى) وهو ناقص جعل من البيت سلسا٠[٣]

وفي مديح فخر الملك:(من الطويل)[٤]

---

(١) الديوان: ٢/ ٤٤

(٢) الديوان:١/١٥٢

(٣) ينظر:الصورة الفنية في شعر المرتضى: ٦٧

(٤) الديوان:١/٣٢٤

وَقـــورٌ وأحـــلامُ الأنـــامِ طـــوائشٌ وَيبـــدِي اِبتِســـاماً والوجـــوه كـــوالحُ

رجاحة عقله ووقاره مع طيش عقول الآخرين، وثباته فهو يبدي ابتساما كناية عن شجاعته في الحرب عندما تسوّد وجوه القوم خوفا وفزَقا٠

المبحث الرابع: الاقتباس :

بلا شك انّ توظيف التراث يعتمد على خلفية الأديب الثقافية وسعة اطلاعه، ونحن نطلق على كل كلام اقتُصَّ من مكانه وأُخذ من قائله تضمينا واقتباسا، وقد اختص الاقتباس بالقران الكريم والحديث النبوي الشريف، " لأننا نضمِّن أنواراً من كلام الله تعالى وكلام رسوله فالقبس هو الشعلة من النار والشعلة يُهتدى بها في الظلمات وهكذا هو القرآن الكريم والحديث الشريف أنوارُ شعلٍ يُهتدى بها في الظلمات أما كلام الآخرين فلسنا متفقين على أنه نور لأن فيه الغث والسمين" (١)، أو " الأخذ والاستفادة، وقد عرف هذا الفن منذ عهد مبكر وكانوا يسمون الخطبة التي لاتوشَّح بالقرآن بتراء" (٢)

وقديماً كان النقاد يحرصون على أن يكون الشاعر وغيره من الأدباء ملمّاً بالثقافة وألوانها المتنوعة (٣)، لأنها هي التي تمكنه من السيطرة على أدواته وتجعله يغترف من مخزونه اللغوي والتاريخي والديني، فيستلهم الأحداث والشخصيات وبقدر ثقافته وتمكنه تبرز قوة توظيفه للتراث واقتباسه من القران الكريم والحديث الشريف.

إنّ الإنسان عموما والشاعر بشكل خاص يختزن في ذاكرته ما مر به من صور وأحداث، وهذه لابد وان تظهر بشكل أو بآخر في نتاجه الفني، وبقدر تصرفه وصياغته لها وإحكام صنعته يكون الحكم له أو عليه.

---

(١) البلاغة والنقد: علي حسن هذيلي، مكتبة سفينة النجاة، العراق، ميسان، ط١، ٢٠٠٦

(٢) معجم النقد العربي القديم: د. أحمد مطلوب، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط١، ١٩٨٩، ٤٠٢/١

(٣) ينظر في ذلك: عيار الشعر: ١٠

والمرتضى كغيره من الشعراء الذين استمدوا الكثير من ألفاظ القرآن الكريم فأداروها في أشعارهم يرصّعون بها لغة الشعر مستفيدين من جمالها اللغوي وطاقاتها التعبيرية، وشحناتها الإيحائية، يتناولون هذه الألفاظ بنصها حينا ويحورونها تحويرا يسيرا لا يبعدها عن أصلها الكريم أحيانا أخرى، لتظهر روعة النص ويضفي الجمالية عليه، فهو يغني لغته الشعرية بلغة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف.

الاقتباس من القران الكريم:

مرّ بنا في الصفحات الأولى إنّ المرتضى حفظ القران وأتقن علوم الدين واللغة والأدب وانه كان شديد الحب للمطالعة حريصا على إعداد نفسه وتثقيفها، وهذا ماظهر في شعره ولاسيّما توظيفه للموروث الديني بشكل عام ؛ وخصّ كثيرا من معتقداته المذهبية في ذلك، بيد أنّ النص القرآني كان أوفرَ حظا فيما وُجِد وجُمِعَ من شعره، فنراه يستحضر النص القرآني ولايتصرف به إلا بشيء بسيط وأحيانا يستوحي منه مايريد ويضعه بقالب جديد محافظا على الفكرة والجو العام، وإذا كان من مصدر مهم قد أثر فيه وفي شعره فهو القران الكريم، فقد استحضره في شعره كثيرا، كنصٍ إبداعي مؤثر بشكل كبير، كيف لا وهو الإمام في علوم القران؟

وقد استعمل المرتضى اللفظة القرآنية قريبا من استعمالها في النص القرآني، وبحسب السياقات التي وردت فيها، أو من خلال مجموعة سياقات ودلالات لبعض الآيات القرآنية ليستمد منها صوره الشعرية.

ومن ذلك ماقاله مقتبساً النص الكريم:" **جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ** " التوبة:٧٢، يرثي جده الحسين عليه السلام في الطف (من الطويل)[1]

فَـإِنْ تَـرَهمْ فـي القـاع نَثـراً فشـملهمْ بجنّـــاتِ عَـــدْنٍ جـــامعٌ متـــألّفُ

فان تناثرت جثثهم على الأرض وتفرقت أماكن شهادتهم، فانهم مجتمعون غدا في جنات عدن وقد التم شملهم، فلا فراق بعد ذلك.

(١) الديوان:٢/ ١١٦

ومن القصيدة نفسها، نطالع هذه الصورة التي يبرز فيها عدم احتماله للصبر، فقد بلغ به الأسى حدا كبيرا، حزنا على صرعى كربلاء، منسجما مع النص الكريم في قوله تعالى:" **فَاصْبِرْ صَبْراً جَمِيلاً** " المعارج :٥ ، فيقول :(من الطويل)[١]

تَقولـونَ لِـي صـبراً جمـيلاً ولـيس لِـي علـى الصّـبرِ إلّا حسـرةٌ وتَلَهُّـفُ

إن فكرة الموت الذي يسيطر على مجريات الأحداث، ويأخذ من الشاعر حيزا بارزا في أبياته من خلال قصائد الرثاء، فهو لابد واقع ولا منجى منه:(من البسيط)[٢]

والمـوتُ إنْ لـم يـزرْ يومـاً ففِـي غـدِهِ والمـرءُ إنْ لـم يـرُحْ سـعياً إليـه غـدا

وفي بيت آخر من قصيدة يرثي فيها القادر بالله : (من المتقارب)[٣]

هـوَ المَـوتُ يَسـتلبُ الصـالحينَ وَيَأخـذُ مِـن بَيننـا مَـن يَشـا

نجد ذلك في قوله تعالى:"**أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ**" النساء:٧٨

أفاد المرتضى من اللفظة القرآنية ومن دون تصرف بمدلولها القرآني ، ومن ذلك استعماله لفظة(البوار) التي تدل على الهلاك، وذلك من خلال النص الذي يتفجّع فيه على آل البيت عليهم السلام فيقول: (من الخفيف)[٤]

إنّ قَومـاً دَنـوا إلَينـا وشـبّوا ضَـرَماً بيننـا لهـمْ وأُوارا

مـا أَرادوا إلّا البَـوارَ وَلَكـنْ كَـم حَمـى اللّـهُ مَـن أَرادَ البَـوارا

متكئا في ذلك على النص الكريم:" **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَةَ اللّهِ كُفْراً وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ**"إبراهيم:٢٨

---

(١) الديوان:١١٥/٢

(٢) الديوان:٣٩١/١

(٣) الديوان:١٥٠/١

(٤) الديوان: ٥٠٢/١

ولاينسى القضية المهمة التي هو امتداد لها في نسبه وشرفه، ألا وهي ذكرُ أجداده الذين طهّرهم القرانُ من الرِّجس في آية التطهير، فيأخذ المعنى ذاته من دون تصرف إلا القليل، وينسبهم أولا إلى الوحي أولا ومن ثم اللى الرسالة التي هي حملهم الثقيل، كما في النص الكريم: "**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً** " الأحزاب:٣٣

فيقول في ذلك: (من الخفيف)[١]

يـــا بَنـــي الـــوحي والرّســـالة والـــتَّط هيـــر مـــن ربّهـــمْ لهـــمْ إكبـــارا

وأشار في قصيدة أخرى إلى الفضل الذي حازه أهل البيت عليهم السلام وحسدهم الناس عليه، منطلقا من القول المأثور (كل ذي نعمة محسود)، لذلك عانوا ماعانوا من الحسد والإحن واشتداد العداوة لهم، قال: (من البسيط) [٢]

حُســـدتمُ الفضـــلَ لـــم يُحـــرزه غيـــركُمُ والنـــاس مـــا بـــين محـــرومٍ ومحســـودِ

وفي نصٍ آخر يمتص المعنى لعدة آيات قرآنية تشير إلى مجموعة من الأمور، قد أشار إليها القران الكريم في النصوص الآتية: " **وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** " لقمان٣٤، وقوله تعالى: "**أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ** " النساء٧٨، وقوله تعالى:"**قُل لَّن يَنفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذاً لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلاً** "الأحزاب١٦، وقوله تعالى: " **أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَواْ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ** "يوسف١٠٩، وقولهتعالى:" **اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَكُونُ حُطَاماً وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ**" **الحديد٢٠**

فيقول من قصيدة في رثاء أبي الحسن الكاتب، ابن البواب: (من البسيط)[٣]

وَلَـيسَ يَـدرِي الفتـى لِـمْ طـالَ عمـرُ فتـىً وَلا لأيّـــةِ حـــالٍ يُـــنقَصُ العُمُـــرُ

---

(١) الديوان:٥٠٣/٢

(٢) الديوان: ٤٣٨/١

(٣) الديوان:٤٦٣/١

وَقَــد طلبنـــا فـــلا نجـــحٌ ولا ظَفَـــرٌ وقــد هربنــا فــلا منجــىً ولا عَصَــرُ

وَهَـــذهِ عِبـــرٌ لا شـــكّ مالئـــةٌ منّــا العيــونَ ولكــنْ أيــن مُعتبِــرُ

نُعَـــلُّ مِـــن كـــلِّ مَكـــروهٍ ويملِكنـــا حُــبُّ الحيــاةِ الّتــي أيّامُهــا غَــرَرُ

إنَّ الموتَ لامفرَّ منه ولاملجأ، وحتمية وقوعه شاخصة للجميع، بيد أن أغلب الناس يأخذهم الغرور بالحياة الدنيا، ويتمسكون بها، غير آبهين بالعبر التي مرّت بهم وبأجدادهم، وقد ذكرها القران الكريم في نصوص عدة ، وقريب منه في رثاء أبي الفتح النيسابوري النحوي قوله :(من الكامل)[١]

لــو كــان فــي خُلــدٍ لحــيٍّ مَطمــعٌ فيهـــــا وروّادِ المنيّـــــةِ مَزْجَـــــرُ

لنجــا المنــونَ مغــامرٌ فــي حومــةٍ وخطــا المنيّــةَ فــي العــرين القَسْــوَرُ

ولَسَــدّ طُــرْق المــوتِ عــن أبوابــه كِســرى وحــاد عــن المنيّــةِ قيصــرُ

ومن شعره في العتاب: (من الطويل)[٢]

أَجيرَتَنـــا لا جمَـــع اللَّـــه شَـــملَنا فَمـــا أَنـــتُمُ إلّا الـــذّئابُ الأطـــالسُ

وَمـــا أنـــتُمُ إلّا **سَـــــرابٌ بقِيعَـــــةٍ** تُغـــرُّ بِرُؤيـــاه الظِّمـــاءُ الخـــوامسُ

الشاعر متأثر بمعنى النص الكريم:" **وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاء حَتَّى إِذَا جَاءهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً**" **النور ٣٩**

ويكثر هذا الاقتباس في قصائد الرثاء بشكل بارز، لأنه الموطن الأقرب للاستشهاد بالنصوص الكريمة، وان كان وجودها في قصائد المدح والفخر بشكل اقل ٠

ومن قصيدة يعزي فيها جلال الدولة عن ابنته :(من الكامل)[٣]

---

(١) الديوان: ١/ ٤٦٥

(٢) الديوان:١/٥٦٦

(٣) الديوان:٢/٢٩٨

مــاذا البكــاءُ علــى الّــذي ولّــى وقــد جُعلــتْ لــــه جنّــاتُ عَــدْنٍ منــزلا

وعلــى مَ نُســقَى الصّــابَ فيــه وإنّــه يُســقى هنــاك كمــا يشــاء السَّلْسَــلا

وردت (جنات عدن) التي تكررت في القران الكريم كثيرا، ومنها في قوله تعالى:" **وَعَدَ اللّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**" التوبة٧٢

وفي مدح بهادء الدولة، يمضي في الغزل حتى يصل الى المديح: (من البسيط)[1]

وَمــــا البليّــــةُ إلّا أنّنــــي كَلِــــفٌ بفــــارغٍ وفــــؤادي منــــه مــــلآنُ

وهو متأثر بالصورة القرآنية التي رسمها لأم موسى عليها السلام عندما قذفته في اليم بأمر الوحي وإنها لم تستطع صبرا فكادت إن تبدي به، كما في النص الكريم:" **وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغاً إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**" القصص١٠

(١) الديوان:٢/٥٠٤

الفصل الثالث
الموسيقى الشعرية

الموسيقى الشعرية تعد عنصرا مهما من عناصر تشكيل البيت الشعري، إذ إنها تسهم مع الأفكار والألفاظ والصور في الارتقاء بأسلوب التعبير الشعري إلى مرتبة عالية، وهي من أقوى عناصر الشعر التي تعبر عن التجربة الانفعالية التي هي غاية الشعر المهمة، ويلعب الوزن دورا فعالا في التأثير بهذه الموسيقى عن طريق الكلمات التي تثير الانتباه إلى هذه الأصوات، فضلا عن القافية ذات الإيقاع الجميل الحسن التي تتفاعل مع بعض الفنون البديعية كالجناس والطباق والمقابلة والترصيع والموازنة....

" والموسيقى أساسية في كل شعر، فهي جوهره ولبّه، وبدونها لايكون الشعر شعراً،إذ هي ركنه الذي لايقوم بدونه،... فمنذ وجد الشعر وجدت معه موسيقاه، بل هو إنما تخلّق في أحشائها، ولم يتخلّق وحده بل تخلّق معه النغم أيضاً" (١)

المبحث الأول: الموسيقى الخارجية

١-الأوزان:

عُرف الشعر عند العرب بأنه " قول موزون مقفّى يدل على معنى"(٢)، وقد وجدوا أن "الوزن أعظمُ أركان حدِّ الشعر، وأولاها به خصوصية"(٣)، وهو أول أركان الموسيقى الخارجية مع القافية، يحرك الخيال، ويجدد الاهتزاز العاطفي بما فيه من إيقاع جذاب.

انّ النص الشعري وليد مجموعة من المكونات اللغوية والصوتية والمعجمية التي رُكبتْ بطريقة آلية، ترتكز في أساسها على عنصر التجانس بين وحداتها؛بحيث تتناسب كل وحدة مع التي تليها في النص الشعري، فيهدف الشاعر الى تحقيق أكبر قدر ممكن من التناغم الإيقاعي في القصيدة، كما إن تعاقب الحركة والسكون لايكون عشوائياً في الأوزان، وإنما هو عملية تَناسب داخل نظام متحد لحركة منتظمة في الزمن (٤).

---

(١) في التراث والشعر واللغة: د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٧،١٣٧

(٢) نقد الشعر، ٦٤

(٣) العمدة، ١ / ٢٣٧

(٤) مفهوم الشعر:٢٩٦

وللوزن أهميةٌ كبيرة في ترابط الكلمات فيما بينها، ومن جيد صفاته " سهولة اللفظ – الترصيع" [١]، وقد وزع شاعرنا أوزانه الشعرية على موضوعاته بنسب متفاوتة ولم يحصرها بوزن معين على موضوع بعينه وبذلك حقق انسجاما رائعا بين أوزانه.

ولما كانت موضوعات المرتضى تمتاز بالجدة كالرثاء والمديح والفخر والحماسة، كان من الطبيعي أن يميل في اختياره الى بحور كثيرة المقاطع كالكامل والطويل والبسيط بسبب ملاءمتها لاستيعاب المواقف الجليلة والأفكار المختلفة والعواطف الجياشة، إذ يكون للشاعر حرية التصرف بموضوعات شعره بيسر دون أن يكون هناك تقييد لقريحته الشعرية، وبعد استقرائنا لأشعار المرتضى وإحصائها، وجدنا في ديوانه (٥٩٢) قصيدة ومقطوعة وأبيات متفرقة، وكان نصيبالبحر(الطويل) منها وافرا، إذ استعمله في (١٨١) قصيدة و مقطوعة في التام، وقصيدة واحدة من مجزوئه، فيكون المجموع (١٨٢) قصيدة، وكان عدد الأبيات(**٣٦٣٨**) بيتا، وهو من البحور الأكثر شيوعا في الشعر العربي فهو" يمثل ما يقرب من ثلث الشعر العربي، وانه الوزن الذي كان القدماء يؤثرونه ويفضلونه على غيره ويتخذونه ميزاناً لأشعارهم، ولاسيما في الأغراض الجليلة الشأن"[٢]، ولأنه يمتاز بإيقاعه الموسيقي العذب، " ويتسع هذا البحر لجميع أغراض الشعر وبخاصة الفخر والحماسة والمدح، ولهذا ركب متنه الشعراء المتقدمون والمتأخرون، وأكثروا من النظم فيه" [٣]

وقد كانت قصائده في الفخر والحماسة والمديح والرثاء في معظمها من هذا البحر، وفيها طول النفس الشعري واضحا، وبخاصة في الفخر والرثاء، ومن قصائده الطويلة في الفخر والتي بلغت (٦٠) بيتا:[٤]

وَقَـد عَلِمـوا أنّـي عَلـى غيـرِ ريبـةٍ تُلَـطُّ سُـجوفي ثـمّ يُغلَـق بـابي

وإنّـي وأَدنـاسُ الزّمـان كَثيـرةٌ مَـررتُ فَلـم تَعلـقْ بهـنّ ثِيـابي

وَمـا كـانَ جـاري وَالقِـرى يسـتفزّه مَروعـاً وقـد وافـى بِنَـبحِ كلابـي

---

(١) نقد الشعر: ٥٤

(٢) موسيقى الشعر العربي: إبراهيم أنيس، مكتبة الانجلو المصرية، ط٤، ١٩٧٢، ١٩١

(٣) العروض الواضح وعلم القافية: د.محمد علي الهاشمي، دار القلم ، دمشق، ط١، ١٩٩١، ٣٢

(٤) الديوان:٢٢٥/١

وَلا طـــارِقِي يرجـــو ثـــوابِيَ عائـــداً بعســـرٍ ولا يُســـرٍ بغيـــر ثـــوابِ

فَقـــلْ للعـــدى كونـــوا جميعـــاً بنجـــوَةٍ إذا مـــاج تيّـــاري وجُـــنّ عُبـــابي

ومن قصائد الرثاء قصيدته في رثاء نقيب العباسيين أبي الحسن الزينبي وكانت في (٧٧) بيتا:[١]

أَلا بَكِّهـــا أُمَّ الأســـى والمَصـــائبِ بِـــدَمعك سَـــحّاً بـــينَ ســـارٍ وســـاربِ

وَعـــاصِ الّـــذي لـــم يُهـــمِ مـــاءَ جفونِـــهِ علـــى فقـــدِ مـــاضٍ أو علـــى إثْـــر ذاهـــبِ

ولا تُغرِنـــي بالصَّـــبْرِ وَالصَـــبرُ مـــا لَـــه طَريـــقٌ إلـــى مـــا فـــي الحَشـــا والتّرائـــبِ

تَلـــومُ عَلـــى مـــا بـــي وأنـــتَ مُسَـــلَّمٌ وَقـــد جـــبَّ هَـــذا الـــرُّزءُ دونَـــك غـــاربي

ومن مرثياته الطوال قصيدته في رثاء الأمير أبي الغنائم محمد بن مزيد في (٥٨) بيتا:[٢]

ألا غـــادِ دمـــعَ العـــينِ إنْ كنـــتَ غاديـــا فلســـتُ ألـــومُ اليـــومَ بعـــدك باكيـــا

ولـــو كنـــتُ لا أخشـــى دموعـــاً غزيـــرةً تـــنُمُّ علـــى مـــا بـــي كتَمْتُـــك مـــا بِيـــا

وغيـــرُ لســـاني نـــاطقٌ بســـريرتي فلـــم يُنجِنـــي أنّـــي ملكـــتُ لســـانِيا

أَعِنِّـــي علـــى شَـــجْوي بشـــجوٍ مضـــاعفٍ ولا تـــدنِني قلبـــاً مـــن الحـــزنِ خاليـــا

ويأتي بعده في عدد المرات بحر الكامل إذ ورد في(٨٥) قصيدة و مقطوعة في التام، و(٢٨) قصيدة من مجزوئه بمجموع (١١٣) قصيدة وهو بحر شائع في الشعر العربي، ويُعد من

---

(١) الديوان:٢٣٨/١، ينظر قصائده من الطويل:٢٣١/١، ٣٢٣، ٣٨٢، ٤٢١، ٤٥٨، ٤٦/٢، ٤٦، ١٩٨، ٢٢٢، ٢٤٦، ٢٨٦، ٢٩٤، ٤٣٠، ٤٦٣، ٤٦٨، ٤٨٩ .

(٢) الديوان:٥٨٨/٢

بحور الدرجة الأولى [١]، وفيه ثلاثين حركة لم تجتمع في غيره من الشعر، كما ذُكر في العمدة عن الخليل [٢].

ويمتاز هذا البحر بالرصانة والجلال في نغماته وذبذباته المنسابة الهادئة، لذا فانّه أصلح البحور في معالجته للموضوعات الجدية التي أكثر منها العرب كالمدح والرثاء والعتاب والفخر والاعتذار، " ولهذا ركبَ متنَه الشعراءُ السابقون والمتأخرون، وهو أقربُ إلى الشدة والعنف منه إلى الرِّقة واللين، ويزداد موسيقية وإطراباً عندما يدخل عروضه أو ضربه الحذذ" [٣]، وقد كان عدد الأبيات فيه يقارب أبيات الطويل إذ بلغ عددها(٣٥٨٦) بيتا، ثم يأتي من بعده البسيط في (٨٤) قصيدة وبمجموع أبيات (١٦٦٥) بيتا، " وهو يفوق الطويل رقّة وجزالة، وقد أكثر من النظم فيه الشعراء العباسيون"[٤] وبعده الخفيف في (٥٩) قصيدة، وبمجموع أبيات(١٣٢٨) بيتا، " وهو من أكثر البحور طلاوة ولينا وموسيقية، وليس في بحور الشعر بحر كالخفيف يصلح للتصرف في الأغراض والمعاني، فهو يصلح للفخر والحماسة والغزل والمديح والرثاء والوصف والعتاب ٠٠٠٠" [٥] ومن ثم الوافر في (٤٦) قصيدة، فالمتقارب ٠٠٠٠٠ ومن خلال الجدول الأتي، يتبين انّ المرتضى لم ينظم في بعض البحور مثل المضارع والمقتضب وكان مقلّا جدا في المجتث والهزج، لأنها لاتصلح إلا للأناشيد والتواشيح الخفيفة، ولا يجوز النظم عليه فيما عدا ذلك[٦]، لكننا نجد قصيدته النونية من الهزج وقد بلغت(٥٧) بيتا، وكانت في الاعتبار وذم الزمان، وقد غلب عليها الحزن وهو يذكر فيها نعيّ بعض أصحابه، ومنها:[٧]

إســــــــاءاتٌ وإحســــــــانٌ وإعطــــــــاءٌ وحِرمــــــــانُ

ونقــــــضٌ ثــــــمّ إبــــــرامٌ وســــــرٌّ ثــــــمّ إعــــــلانُ

---

(١) أوزان الشعر:مصطفى حركات، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ط١، ١٩٨٨، ٩٥

(٢) العمدة: ١٣٦، ينظر: بحور الشعر العربي (عَروض الخليل): د. غازي يموت، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط٢، ١٩٩٢، ٩١

(٣) العروض الواضح وعلم القافية: ٧٥

(٤) المصدر نفسه: ٧٤

(٥) المصدر نفسه: ١٠٠

(٦) ينظر: المصدر نفسه: ١١٥

(٧) الديوان: ٥٠٧/٢

فكْـــــــم ذا أيهـــــــا الـــــــدّهر زيـــــــــــاداتٌ ونقصـــــــــــانُ

تلمح فيها خفة هذا البحر، وقد كتب ليسهل إنشاده وترديده في الغالب، أما الأوزان الأخرى فقد وردت بشكل أقل كما في الجدول الآتي:

التسلسل	البحر	عدد القصائد والمقطوعات	عدد الأبيات	النسبة المئوية
١	الطويل	١٨٢	٣٦٣٨	% ٣٠,٧٤
٢	الكامل	١١٣	٣٥٨٦	%١٩,٠٨
٣	البسيط	٨٤	١٦٦٥	% ١٤,١٨
٤	الخفيف	٥٩	١٣٢٨	%٩,٩٦
٥	الوافر	٤٦	١١٠٦	%٧,٧٧
٦	المتقارب	٢٩	٨٦٣	%٤,٨٩
٧	السريع	٢٩	٦١٧	%٤,٨٩
٨	الرمل	١٩	٣١٨	%٣,٢٠
٩	الرجز	١٥	٥٩٥	%٢,٥٣
١٠	المنسرح	٨	١٢٧	%١,٣٥
١١	المجتث	٥	١٢٤	%٠,٨٤
١٢	الهزج	٢	٦٣	%٠,٣٣
١٣	المديد	١	١٠	%٠,١٦
المجموع	=	٥٩٢	١٤٠٤٠	%١٠٠

المرتضى استعمل الأوزان الطويلة في أغلب أغراض المدح والرثاء والفخر والحماسة، لأنها تتطلب أكثر عدد من التفعيلات كي تتماشى مع المعاني التي يريد أن يطرحها في تلك القصائد وإبراز نفسه الشعري والتحرر من قيود البحور القصيرة، وأمّا البحور القصيرة فإنها في الأغلب قد

ناسبت بعض قصائد النسيب والغزل والشيب ووصف البرق، وربما كان ذلك لأنه يريد أن يكون متوائما مع عصره الذي كان يتطلع الى قِصَر الأوزان وسرعتها[١] .

وعلى الرغم من ان المرتضى آثر البحر الطويل والكامل في أغلب قصائد الدح والرثاء والفخر، إلا إن ذلك لم يمنع من أن تكون أطول قصيدة في الديوان من البحر الخفيف وكانت في رثاء الإمام الحسين عليه السلام وقد بلغت (١٠٥) بيتا، والتي مطلعها: [٢]

يـــا دِيـــارَ الأحبـــابِ كيـــفَ تحوَّلـــ تِ قفـــــاراً وَلَـــــم تَكـــــوني قِفـــــارا

وكذا الحال في مدح والده، فقد كانت أطول قصيدة من بحر المنسرح، وقد بلغت (٦٣) بيتا، ومطلعها:[٣]

شُـــدَّ غُـــروضَ المطـــيّ مُغترِبـــا فلـــم يَفُـــزْ طالـــبٌ ومـــا دَأَبـــا

وأما مدائحه الكثيرة في الوزير فخر الملك، فقد كانت أطول قصائده فيه من (مجزوء الرجز) وقد بلغت (٦٧) بيتا، ومطلعها: [٤]

زارك زَوَّارُ الحُلُـــــــــــــــــــــم مســـــــــلماً بـــــــــذي سَـــــــــلَمْ

وأطول مرثية فيه كانت من المتقارب وبلغت (٦٢) بيتا، ومطلعها: [٥]

أَلا هَـــل لمـــا فـــات مـــن مطلـــبِ وهـــل عـــن ردَى المـــرءِ مـــن مَهـــرَبِ

وقصيدته في مدح العادل أبي منصور وهي من المتقارب وبلغت (٧٦) بيتا ومطلعها:[٦]

ألا مـــا لقلـــبٍ بأيـــدي الغُـــواةِ يُعلَّـــل فـــي الحـــبّ بالباطـــلِ

---

(١) ينظر: الرؤيا الإبداعية في شعر الشريف المرتضى: ٢٤٥

(٢) الديوان: ٤٩٩/١

(٣) الديوان: ٢٠١/١

(٤) الديوان:٤٩٣/٢

(٥) الديوان:٢٣٤/١

(٦) الديوان: ٣٥١/٢

وأطول قصيدة في الفخر بنفسه وآبائه كانت من الوافر، وأبياتها(٨٤)، ومطلعها:[١]

سـلا عنّـا المنـازلَ لِـمْ بَلينـا ولا سَـقَمٌ بهـنّ ولا هَوِينـا

ب-القوافي:

وهي الركيزة الثانية لإتمام معنى الإيقاع الخارجي وتكملته مع الوزن، ولا ننسى ما للقافية من دور فهي التي تمد القصيدة بروافد النغم والإيقاع والموسيقى لأنها "شريكة الوزن في الاختصاص بالشعر ولا يسمى شعراً حتى يكون له وزن وقافية "[٢]، ولها قيمة موسيقية ودلالية في البيت، وتكرارها يزيد في وحدة النغم، ولابد للكلمة الأخيرة أن تأخذ مكانها مطمئنة مستقرة من الناحية النحوية، ومن حيث التماثل الصوتي والحركي مع بقية الأبيات [٣]

" فالقافية جزء من الوزن الشعري للبيت وهي مع ذلك تحدد نهاية البيت إيقاعيا ولهذا فهي عامل أساسي في تقسيم القصيدة إلى أبيات "[٤]

لذا نرى إن النقاد والباحثين قد أولوها اهتماماً بالغاً لكونها تعطي موسيقى تهتز لها المشاعر والوجدان لترنمها وتكرارها المتناسق، وتظهر أهمية القافية والوزن معاً لأنهما مفتاح القصيدة، بما يشيعان من موسيقاهما من وحدة وترابط ومن محاسنها " أن تكون عذبة، سلسة المخرج، موسيقية، لاتختم بما يدل على رقة في مقام القوة والفحولة، انّ القافية المتمكنة تكون في البيت كالشيء الموعود به المنتظر، يتشوقها المعنى، ويتطلع اليها" [٥]

---

(١) الديوان:٢/٥٢١

(٢) العمدة: ١/١٥١.

(٣) ينظر: البناء العروضي للقصيدة العربية: د. محمد حماسة عبد اللطيف، دار الشروق، القاهرة، ط١، ١٩٩٩، ١٨٢

(٤) موسيقى الشعر العربي: ١٤١

(٥) أسس النقد الأدبي: ٣٤٦

انّ التداخل بين الوزن والقافية ضروريٌّ؛ لأن القافية جزء من البيت، " وإذا كان "البيت" عدداً متساوياً من المقاطع الصوتية المنظمة بطريقة مخصوصة بحيث يتساوى كل بيت في القصيدة مع الآخر، فانّ القافية تشتمل على "المقطع المتَّحد" في القصيدة"[1].

وبعد إحصائية في ديوان الشاعر تبين إنأكثر حروف الروي المستخدمة هي حروف: اللام في(٢٢٥٦) بيتا، ثم الميم في (١٨٢٨) والباء(١٤٥٦) والراء(١٣٩٧) والدال(١٢٩١) وتأتي بقية حروف الروي بنسب متفاوتة بحسب الغرض وموسيقى البحر المقصود٠

استخدم الشاعر كل حروف الروي عدا (الذال والظاء) وحسب الإحصائية الآتية:

القافية	عدد القصائد	عدد الأبيات	النسبة المئوية
الهمزة	٩	١٤٨	%١,٥٢
الألف	٤	١٤٤	%٠,٦٧
الباء	٧١	١٤٦٥	%١١,٩٩
التاء	١٨	٣٨٨	%٣,٠٤
الثاء	١	٣٧	%٠,١٦
الجيم	٨	١٩٠	%١,٣٥
الحاء	٢١	٤٨٨	%٣,٥٤
الخاء	١	٨	%٠,١٦
الدال	٥٦	١٢٩١	%٩,٤٥
الراء	٧٠	١٣٩٧	%١١,٨٢
الزاي	١	١٢	%٠,١٦
السين	١٦	٣٩١	%٢,٧٠
الشين	١	٢٢	%٠,١٦
الصاد	١	٣٥	%٠,١٦
الضاد	٩	١٥٣	%١,٥٢

(١) البناء العروضي للقصيدة العربية :١٦٧

الطاء	٢	٦٨	%٠,٣٣
العين	٣١	٧٩٤	%٥,٢٣
الغين	٤	٢١	%٠,٦٧
الفاء	٢٥	٥٣٠	%٤,٢٢
القاف	٣٢	٩٣٨	%٥,٤٠
الكاف	٨	٢٠٦	%١,٣٥
اللام	٨٨	٢٢٥٤	%١٤,٨٦
الميم	٦٥	١٨٢٨	%١٠,٩٧
النون	٤٠	٩٣٧	%٦,٧٥
الهاء	٥	١٥١	%٠,٨٤
الواو	٢	١٣	%٠,٣٣
الياء	٥	١٣١	%٠,٨٤
المجموع	٥٩٢	**١٤٠٤٠**	**%١٠٠**

ويظهر من خلال الجدول أعلاه إن أكثر حروف الروي هو (الميم) ومن ثم (اللام) وبعده (الباء) وبعده(الراء) وثم (الدال)، وهذه الحروف من الأصوات اللينة السهلة، وهي من الأصوات الصامتة المجهورة [١]، ومن القوافي الذلل[٢] .

ومن القوافي التي استعملها المرتضى في قصائده وهي قليلة في الشعر العربي (الثاء– الصاد– الضاد– الطاء)، يساعده في ذلك مخزونه اللغوي الثرّ الذي استمده من ارثه الفكري العلمي والديني العقائدي، وأملته عليه مكانته اللغوية والأدبية في عصره ومحيطه الاجتماعي، فقد بلغت قصيدته الصادية(٣٨) بيتا في الفخر[٣]، وقصيدته الضادية في إيوان كسرى(٣٥) بيتا[١] والأخرى في يوم عاشوراء في (٣٤) بيتا[٢]وقصيدته الطائية في الفخر وأبياتها(٣٥)[٣].

---

(١) ينظر: علم الأصوات: د. كمال بشر، دار غريب، القاهرة، ط١، ٢٠٠٠، ١٧٤

(٢) ينظر:المرشد الى فهم أشعار العرب وصناعتها،عبد الله الطيب، ط١، الكويت، ١٩٩٠،١/٥٨

(٣) الديوان: ٢/١١

القافية المقيدة والمطلقة:

أما المقيدة فهي التي يكون رويّها ساكناً فيتقيد به الشاعر في القافية وهي قليلة عند معظم الشعراء، وأما القافية المطلقة: فهي التي يكون رويّها متحركاً[٤]، واستعمل المرتضى القوافي المطلقة بشكل كبير، وكانت القافية المقيدة عنده قليلة توزعت على (٦) قصائد ومقطوعتين صغيرتين [٥]، كانت أطولها في مدح الوزير (فخر الملك) وقد بلغت أبياتها(٦٧) بيتا، ومطلعها: [٦]

زارك زَوَّارُ الحُلُـــــــــــــــــــــــم مســـــــــلماً بـــــــــذي سَـــــــــلَمْ

ولاميته في مدح سلطان الدولة في (٤٦) بيتا ومطلعها:[٧]

أرســـــــلها ترعـــــــى أَلاءً ونَفَـــــــلْ[٨] تامكـــــةً بـــــين الجبـــــالِ كالجبـــــلْ

وتزدان القوافي المطلقة بجمالها وإيقاعها المترنم ولاسيّما إذا اتصلت بها ألفالإطلاق التي تعطي الشاعر أفقا رحباً، وتمد القصيدة بموسيقى طويلة تناسب حركاتِ النفس وامتدادها،" فتكون جميلةَ الجرس لذيذةَ النغم سهلةَ المنال، وبخاصة إذا كانت القافية مطلقة، من ذلك الهمزة والباء والدال والراء والعين واللام بخلاف نحو التاء والثاء والذال والشين والضاد والغين، فإنها ثقيلة غريبة الكلمات" [٩]

وكان نصيب رويّ اللام هو الأكثر ومن بعده الباء ثم الميم، ومن ذلك قصيدته التي كتبها بطلب من الوزير أبو الحسن بن حمد يذكر فيها حقوقه في دولة بهاء الدولة:[١٠]

---

(١) الديوان:٢/٢٠

(٢) الديوان:٢/٢٣

(٣) الديوان:٢/٣٣

(٤) ينظر: موسيقى الشعر العربي: ١/١٥٠-١٥١

(٥) ينظر القوافي المقيدة :١/٣٥٨ ، ٢/٥٦٥،٤٩٨،١٤٧

(٦) الديوان:٢/٤٩٣

(٧) الديوان:٢/٣٨٦

(٨) الألاء: شجر مرّ دائم الضرة، والنفل: نبت من أحرار البقول له نور اصفر طيب الرائحة، التامكة:الناقة المرتفعة والعظيمة السنام.(هامش الديوان- ٣٨٦)

(٩) أصول النقد الأدبي: ٣٢٥-٣٢٦

(١٠) الديوان:١/٢٠٨

إيابـــاً أَيّهـــا المَـــولى إيابـــا فعبـــدٌ إنْ أَســـاء فَقَـــد أَنابـــا

أَطاعـــكَ وَالشّـــبابُ لـــه رداءٌ فَكيـــفَ تَـــراه إذ خلَـــع الشّـــبابا؟

وَكـــانَ علـــى الهُـــدى حَـــدَثاً فـــأنى تظـــنّ بِـــه الضّـــلالة حـــينَ شـــابا؟

وقال في العتاب:(١)

لـــذْ بـــالعَزاءِ فـــلا خِـــلٌّ تَضِـــنُّ بـــه ولا مقـــيمٌ علـــى دار الحفـــاظِ لكـــا

ولا وفـــــيٌّ إذا أعطيتُـــــه مِقَتِـــــي أعطَـــى المحبّـــةَ أو تاركتُـــه تركـــا

ولا لبيـــبٌ يعـــاطيني نصـــيحتَه ويُســـلك الرَّحْـــلَ منّـــي حيثمـــا ســـلكا

ومن لامياته:(٢)

رقـــدتِ وأســـهرتِ لـــيلاً طـــويلا وحمّلتِنـــا الحـــبَّ عِبْئـــاً ثقـــيلا

وكنـــتِ تعاصـــينَ قـــولَ الوشـــاةِ فلمّـــا مللـــتِ أطعـــتِ العـــذولا

وفيما يخصُّ حركة الروي فانّ الملاحظ انه يميل إلى القافية المكسورة بشكل أكثر من المضمومة والمفتوحة، وذلك في الأغراض البارزة في الديوان:

الغرض	القوافي المكسورة	القوافي المضمومة	القوافي المفتوحة
المدح	٤٥	٢٦	١٤
الرثاء	٣٨	٢٦	٢٥
الفخر	٢٢	١٨	٥
النسيب	١٧	١٢	١١
الغزل	٢٦	١٠	٥

(١) الديوان:٢/٢٢٦

(٢) الديوان:٢/٢٨٣

تشكل هذه النسبة الحجم الأكبر، لكنها ليست مطّردة في كل القصائد، فأغلب القصائد الرصينة كانت مكسورة وبعضها مضمومة وأخرى ومفتوحة.

المبحث الثاني: الموسيقى الداخلية

يمثل الإيقاع الذي تحدثه حركة الأصوات الداخلية التي لا تعتمد على تفعيلات البحور العروضية الموسيقى الداخلية للبيت الشعري، كما انه يتمتع بدور مهم في ترابط الكلمات في القصيدة، ويعطي البيت أو القصيدة تناغماً صوتياً متآلفاً؛ ونلاحظ مدى دور الكلمة من الناحية الصوتية والنفسية عند السماع؛ فالإيقاع الداخلي للألفاظ، والجو الموسيقي الذي يحدثه عند النطق بها، يعد من أهم المنبهات المثيرة والانفعالات الخاصة المناسبة(١)

وقد شكلت هذه الموسيقى عنصرا فعالا مال إليه المرتضى وحرص على توفيره في شعره فهو لم يترك وسيلة أو أداة يحقق بها الموسيقى الملائمة لشعره، وقد تميز أسلوبه بالإكثار منالصنعة البديعية، فهي إحدى وسائله في خلق موسيقاه الداخلية ولكي تساهم مع الموسيقى الخارجية في تكوين وحدة النص الموسيقية والإيقاعية، ومن خلال تلاؤم الحروف، وتوافقها الصوتي، ومن أبرز الفنون البديعية التي شكل بها الشاعر موسيقاه الداخلية :

التصريع:

وأفاد الشاعر كثيرا من القافية الداخلية (التصريع)، الذي يكون فيه مصراع الشطر الأول مثل آخر البيت في الروي، وهو من سمات الشعراء الأوائل " وأن يقصد لتصيير مقطع المصراع الأول في البيت الأول من القصيدة مثل قافيتها، فإنّ الفحول المجيدين من الشعراء القدماء والمحدثين يتوخون ذلك ولايكادون يعدلون عنه، وربّما صرّعوا أبياتاً أُخَر من القصيدة بعد البيت الأول، وذلك يكون من اقتدار الشاعر وسعة بحره " (٢)، ويذكر ابن رشيق رأيا قريبا منه " وربما صرّع الشاعر في غير الابتداء، وذلك إذا خرج من قصة إلى قصة أو من وصف شيء إلى

---

(١) ينظر: الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية، د. مجيد عبد الحميد ناجي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٩٨٤، ٤١

(٢) نقد الشعر: ٨٦

وصف شيء آخر فيأتي حينئذ بالتصريع إخبارا بذلك وتنبيها عليه، وقد كثر استعمالهم هذا حتى صرّعوا في غير موضع تصريع، وهو دليل على قوة الطبع ، وكثرة المادة، إلا انه إذا كثر في القصيدة دل على التكلف إلا من المتقدمين..." [١]

وللتصريع أثرٌ ايجابيّ في بناء الموسيقى الشعرية، فهو يزيل الرتابة عن النغمات، ويحدث رونقا خاصا يستمتع به الشاعر والمتلقي،وهذا النوع " هو عبارة عن استواء آخر جزء في صدر البيت، وآخر جزء في عجزه في الوزن والروي والإعراب، وهو أليق ما يكون بمطالع القصائد، وفي وسطها ربما تمجه الأذواق والأسماع"[٢]

وقد استعمله الشاعر في (١٩٦) قصيدة ومقطوعة في الديوان ولاسيّما في الرثاء والمدح والفخر، أي بنسبة (٣٤%)، مما يؤكد تمسكه بالتراث الشعري القديم الذي سار عليه أبرز الشعراء، وكان أحيانا لايكتفي بتصريع البيت الأول وإنما ينتقل إلى الثاني٠

ومن قصائده التي صرّع فيها كل الأبيات، قصيدته في الوزير أبي سعد بن عبد الرحيم وكانت في (١٨) بيتا، منها: (من الرجز)[٣]

إنْ قَطَعَتْنـــي عِلّتِـــي عـــن قصـــدي وصـــــدّني الزّمـــــانُ أيَّ صَـــــدِّ

عـــن مِشـــيَتي وَخَبَبِـــي وشـــدِّي فـــــإنّني لحاضـــــرٌ بِـــــوُدِّي

وبوفـــــائي وبحســــنِ عهـــــدِي سِـــيّانِ قربـــي معـــه وبُعـــدِي

قـــلْ لعميـــدِ الدّولـــةِ الأشـــدِّ وَالمُعتلِـــي فـــي هضـــباتِ المجـــدِ

والمشـــتري الغـــالي مـــدىً مـــن حمـــدِ مـــن مالِـــهِ وجاهِـــهِ بالنّقْـــدِ

وأخرى أيضا صرّع فيها غير البيت الأول، في رثاء زوجه أم ولده(الشريف أبي محمد)، وقد صرّع منها الأبيات الثلاثة الأولى:

---

(١) العمدة:١/١٧٤

(٢) خزانة الأدب وغاية الأرب: ابن حجة الحموي(٨٣٧هـ)، تحقيق: عصام شقيو، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط أخيرة،٢٠٠٤،٢/٢٨٧

(٣) الديوان:١/٤٢٤

(من الطويل) [١]

ألا هـــلْ أتاهـــا كيـــف حُزنِـــيَ بعـــدها وأنّ دمـــوعي لســـت أملـــك رَدّهـــا؟

تفـيض علـى عـينٍ مَـرى الوجـدُ ماءَهـا ولـم تسـتطعْ أنْ يغلِـبَ الصَّـبرُ وجـدَها

غزيـــرةُ أنـــواءِ الجفـــونِ كأنّهـــا تناهـــتْ إلـــى بعـــض البِحـــار فمـــدّها

ولديه قصيدة مؤلفة من (٢٩) بيتا من الرجز كانت كلُها مصرّعةَ الأبيات، منها: [٢]

قُـــل للّـــذي راحَ بِعـــزٍّ وَاغتَـــدى يســـحبُ منـــه مِطْرَفـــاً مـــورّدا

صـــنيعَ مَـــنْ يطمـــعُ أنْ يُخلَّـــدا جمعـــتَ مـــا لا بـــدّ أنْ يُبـــدّدا

إنْ لـــم يـــزُلْ فـــي يومِـــهِ زال غـــدا يـــا جامعـــاً لغيـــره مُحتشِـــدا

نَضَـــدتَ مـــالاً هـــل نَضَـــدتَ أمَـــدا ســـيّانِ مَـــنْ ســـار يجـــرّ العَـــدَدا

وأغلب قصائد الديوان مصرّعة في بيتها الأول- المطلع- ولاسيّما في الأغراض الطويلة، التي استعمل فيها البحور ذات التفعيلات المتعددة، ومن تلك المطولات في رثاء الإمام الحسين عليه السلام(من الطويل) [٣]

لـــك اللّيـــلَ بعـــد الـــذّاهبين طـــويلا ووفـــدَ همـــومٍ لـــم يـــردن رحـــيلا

ودمـــعٍ إذا حبّســـتَه عـــن ســـبيله يعـــود هتونـــاً فـــي الجفـــون هَطـــولا

وفي مدح الملك بهاء الدولة: (من البسيط) [٤]

أرِقْـــتُ للبـــرق بالعليـــاء يضـــطرمُ وحبّـــذا ومضُـــهُ لـــو أنّـــه أَمَـــمُ

---

(١) الديوان:١/٣٩٤

(٢) الديوان:١/٣٨٤

(٣) الديوان: ٢/٣١١

(٤) الديوان:٢/٤٠٨

وغيرها الكثير من قصائده التي عنى بها بشكل كبير كيما تكون موسيقاها آخذة بالأسماع، وهي تجذب القارئ أو السامع لمعرفة القافية من خلال الشطر الأول وهي سمة الشعراء الكبار عندما يشركون السامع في استنطاق الشطر الثاني من خلال سماع الشطر الأول .[1]

التدوير:

وهو اشتراك شطري البيت في كلمة واحدة، ويسمّى المدوّر أو المداخل أو المدمج، يقول ابن رشيق: " والمداخل من الأبيات: ما كان قسيمه متصلاً بالآخر، غير منفصل منه، قد جمعتهما كلمة واحدة،وهو المدمج أيضاً، وأكثر ما يقع ذلك في عروض الخفيف، وهو حيث وقع من الأعاريض دليل على القوة، إلا أنه في غير الخفيف مستثقل عند المطبوعين، وقد يستخفونه في الأعاريض القصار :كالهزج ومربوع الرمل وما أشبه ذلك" [2]

ومن خلال استقراء الديوان وجدنا أكثر قصائد الخفيف مدوّرة، أو مدمجة وهو ما استحسنه ابن رشيق ، ومن قصائده في الخفيف التي اعتمدت التدوير، قصيدته في مدح فخر الملك:[3]

أَعلـــى العهـــدِ منـــزلٌ بالجنـــابِ كـــان فيـــه متـــى أردتُ طِلابـــي

المَغـــاني تلـــكَ المَغـــاني فَهـــل فيـــ هـــنَّ مـــا قَـــد عهـــدتُ مِـــن أَطرابـــي

لَيســتِ الــدّارُ بعــد أن تــوحش الــدّا ر تـــرى غيـــرَ جنـــدلٍ وتـــرابِ

وإذا لـــم يعـــدْ نحيبـــي علـــى الرّبْـــ عِ حَبيبـــاً فلـــيسَ يُغنـــي اِنتِحـــابي

حـــرُّ قلـــبٍ إذا تمكّـــن مـــن قلـــ بِ المُعَنَّـــى حمـــاهُ بَـــرْدُ الشّـــبابِ

ومن الخفيف أيضا يمدح بهاء الدولة: [1]

---

(١) ينظر أمثلة أخرى من التصريع في الديوان:١/ ٤٢٤،٤٢١،٤٠٦،٤٠٣،٣٩٩،٣٨٢،٣٣٠،٣٢٣،٢٨١،٢٥٢،٢٣١،٢٢٩،٢٠٨،٢٠١،١٩٠،١٨٨،١٧٧، ١٧٧،١٥١،١٢٩،٧٢،٦٤،٦٠،٣٣، وغيرها.

(٢) ينظر :العمدة:١/١٧٧-١٧٨

(٣) الديوان:١/٢٢٩

قَـــد هَوَينـــاهُ ناقِضـــاً للعُهـــودِ وَضَـــنيناً بِالوعـــدِ والموعـــودِ

وَرَضـــينا مـــا كـــانَ منـــهُ وَإِنْ أَرْ مَضَـــنا مـــن تجنّـــبٍ وصُـــدودِ

يَمطُـــلُ الشـــيءَ فـــي يديـــهِ وزادَ الْـــ مَطـــلَ لؤمـــاً أنْ كـــان بـــالمَوجودِ

وقد كثر التدوير في قصائد الرثاء والمديح ليتمكن الشاعر من مواصلة بث لواعجه وخلجات نفسه متسلسلة من دون قطع، ومن ذلك مانجده في مرثيته في الإمام الحسين عليه السلام والتيمنها: (٢)

يـا خليلـي كـن طائعـاً لِـيَ مـا دُمـ تَ خلـــيلاً وإن ركبـــتَ الخِطـــارا

مـــا أُبـــالي فيـــك الحِـــذارَ فـــلا تخـــ شَ إذا مـــا رضـــيتُ عنـــك حِـــذارا

عُـــج بـــأرضِ الطّفـــوفِ عيســـك واِعْقِلْـــ هُـــنَّ فيهـــا ولا تجـــزهنَّ دارا

وَاِبـــكِ لِـــي مُســـعِداً لحزنِـــيَ وَاِمنحـــ نـــي دموعـــاً إن كـــنّ فيـــك غِـــزارا

وفي رثاء أستاذه الشيخ المفيد: (٣)

إنّ شـــيخَ الإســـلامِ والـــدّين والعلْـــ م تـــولّى فـــأزعج الإســـلاما

والّـــذي كـــان غُـــرّةً فـــي دُجـــى الأيـــ يـــام أودى فـــأوحش الأيّامـــا

كـــم جَلَـــوْتَ الشّـــكوكَ تعـــرض فـــي نـــصٍّ وصـــيٍّ وكـــم نصـــرتَ إمامـــا

وخصـــومٍ لُـــدٍّ ملأتَهـــمُ بالـــ حـــقّ فـــي حومَـــةِ الخصـــامِ خصـــاما

عـــاينوا منـــك مُصْـــمِياً ثُغـــرةَ النّحـــ ر ومـــا أرســـلتْ يـــداك ســـهاما

---

(١) الديوان:٤٠٣/١

(٢) الديوان:٤٩٩/١

(٣) الديوان:٢٣٨/٢

بقي ان نذكر ان المرتضى لم يعتمد التدوير من الخفيف فقط بل وجد في الديوان من الكامل والرمل والوافر أيضا، ومن قصائده في ذلك من مجزوء الكامل، قصيدته في الوزير أبي سعد بن عبد الرحيم: (١)

مَـــنْ رأى الأظعـــانَ فـــوق الـــ ... بيـــــدِ مـــــن بُعـــــدٍ تلـــــوحُ

كَســـــــفينٍ عَصـــــــفتْ فيـــــــ ... هِـــــــنّ للنكبـــــــاءِ ريـــــــحُ

أو غمـــــــامٍ هـــــــو بالمـــــــا ... ءِ الـــــــذي فيـــــــه دَلـــــــوُحُ

أو رِئـــــــــــالٍ راتِكـــــــــــاتٍ ... لـــــــيس فـــــــيهنّ طَلـــــــيحُ

رُحْـــــنَ بـــــالرّغمِ مـــــن الأُنـــــ ... فِ ومـــــا إنْ قلـــــتُ روحـــــوا

" فالتدوير إذن – بوصفه ظاهرة موسيقية – ارتبط لدى أكثر من شاعر متمرس أو كبير باتجاه فني معين، وبأسلوب تعبيري معين أيضا، أي انه ظاهرة انبثقت عن ضرورات موضوعية وفنية، وتوشك هذه العلاقة بين ظاهرة التدوير والأداء القصصي ان تكون حقيقة لا يمكن التغافل عنها أبداً – في حدود الزمن والنتاج الشعري– كما إن لأسلوب السرد الذي يتصف بالتتابع والاسترسال دوراً آخر يسهم في خلق أداء موسيقي له صفة التتابع المستمر، وواضح إن التدوير هو الظاهرة الموسيقية التي تتصف بمثل هذه الصفات وتحمل – بتكوينها المتكرر – متطلبات التلاحق الإيقاعي الذي ينسجم مع الأحداث المتلاحقة" (٢)

التكرار:

حين يلجأ الشاعر إلى تكرار الألفاظ أو أصواتها، فإنما يركز على أهميتها، فيؤكدها بهذا التكثيف اللغوي الذي يتضمن عنصري التأثير والإقناع من خلال تقرير المعاني، بحيث لا يؤدي هذا التكرار إلى اختلاف المعاني التي يتوخاها بخلاف الجناس الذي تختلف فيه معاني الألفاظ على الرغم من اتحادها في اللفظ، وليس التكرار توكيدا لفظيا أبدا، بل هو ظاهرة صوتية تدعم

---

(١) الديوان:١/٣٢٦

(٢) دير الملاك:د. محسن اطيمش، وزارة الثقافة والإعلام العراقية، بغداد، ط ٢، ١٩٨٦م،٣٣٠

الإيقاع الصوتي في النص الشعري وتزيده جمالا، وهم يحسن في الالفاظ دون المعاني كما يؤكد ذلك ابن رشيق.[١]

إنّ التكرار" هو أن يكرر المتكلم اللفظة الواحدة باللفظ والمعنى، والمراد بذلك تأكيد الوصف أو المدح أو الذم أو التهويل، أو الوعيد أو الإنكار أو التوبيخ أو الاستبعاد أو لغرض من الأغراض.... "[٢] وقد يكون التكرار لتمكين المعنى في نفس المتلقي، والتلذذ بذكر عبارات الفخر والمدح أو الذم وغيرها[٣]، وهو" تناوب الألفاظ و أعادتها في سياق بحيث تشكل نغما موسيقيا يتقصّده الناظم في شعره أو نثره"[٤]

ومن أجل إشاعة التأثير في النفس ، وتعميق المعاني لدى السامع ، وكي يكون للصورة الشعرية ذلك الرونق والجمال،يكرر الشعراء الألفاظ والتراكيب ، كي يكون لعوامل النفس مكانها في تلقي النص الشعري، إلى جانب تأثيراته الصوتية في إحداث الانسجام الموسيقي والتقارب النغمي وتقوية الجرس في البيت الواحد أو الأبيات، ويقسم الطيّب عبد الله التكرار إلى لفظي يمثل اللفظة، وملحوظ بتكرار أسماء الأعلام والأماكن ، لأنه " يزيد في تقوية الصورة، ويزيد في تقوية المعنى العام، ويضفي لونا عاطفيا حزينا على جو القصيدة " [٥]

وتكرار اللفظ بالمعنى نفسه أو بمعنى آخر في شعر المرتضى كثير، ومن ذلك ما قاله تشوقا إلى نجد وهو يكرر هذا الاسم: [٦]

أُحِبُّ ثَرى نجدٍ ونجدٌ بعيدةٌ أَلا حبّذا نجدٌ إن لم تُفِدْ قُربا

يَقولونَ نَجدٌ لستَ من شعبِ أَهلها وَقد صَدقوا لكنّني منهُمُ حُبّا

---

(١) العمدة:٢/٧٣

(٢) خزانة الأدب: ١/٣٦١

(٣) ينظر: البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها: ٢/٧١

(٤) جرس الألفاظ في البحث البلاغي والنقدي عند العرب ، د. ماهر مهدي هلال ، دار الحرية للطباعة – بغداد،ط١، ١٩٨٠ م، ٢٣٩.

(٥)المرشد الى فهم أشعار العرب: ٢/٩٣

(٦) الديوان: ١/٢٠٥

كَـــأنّي وقَـــد فارَقـــت نجـــداً شـــقاوةً فتـــىً ضـــلَّ عنـــهُ قلبُـــه يَبتغـــي قلبـــا

فقد كرر لفظة(نجد) خمس مرات في الأبيات الثلاثة، لوقعها في نفسه متلذذا بذكر هذا الاسم ومشتاقا إلى أهله، حتى إن قلبه قد فارقه كونه فارق هذا البلد.

وهنا يكرر لفظة(العذيب) وهي موضع فيه من يحب وقد سكن عالي الربا وهو في الوادي فكيف يكون اللقاء؟، ويطلب من الركب أن يتوقفوا قليلا عند هذا المكان لأن فيه ذكريات له تؤلمه :

(من الخفيف) [1]

نحـــن بـــالغَوْر مـــن تِهامـــةَ والحـــ بِ بنجـــدٍ عـــالِي الرُّبَـــا لا يُنـــالُ

والعُـــذَيْبَ العُـــذَيْبَ يـــا ركـــبُ فالقلْـــ بُ لـــــه بالعُـــــذيْبِ داءٌ عُضـــــالُ

ويذكر في نص آخر وهو يرثي الإمام الحسينعليه السلام مذكرا بفضل آل البيت عليهم السلام ونِعَم جدهم الرسول الكريم صلى الله عليه وآله التي أنكروها، فهو يكرر الضمير(هم) ألذي يعني به فضائل آل البيت الذين أنقذوهم من الضلالة إلى الهدى :(من الوافر)[2]

هُـــمُ أتْكَـــوْا مـــرافقكمْ وأعطَـــوْا جنـــــوبَكُمُ النّمـــــارقَ والنِّماطـــــا

وهـــمْ نَشَـــطوكُمُ مـــن كـــلّ ذُلٍّ حَلَلْـــتُمْ وسْـــطَ عَقْوتِـــهِ اِنتشـــاطا

وهُـــمْ سَـــدّوا مَخـــارمكمْ ومـــدّوا علـــى شـــجراتِ دوحكـــمُ اللِّياطـــا

ويختم القصيدة بالدعاء على من عاداهم، ويكر (لا النافية) التي تفيد الدعاء(٨) مرات في كل شطر من الأبيات الأربعة، وهي تحمل دلالة النقمة التي يحملها في نفسه ومدى الغصة التي تعتصره، والأبيات لاتحتاج إلى تعليق لأنها لم تبقِ لهم مكرمة يحيون بها ولاسيّما انه استعمل فيها حرف (الطاء) الذي يحمل نبرة الاستعلاء والجهر والقوة :

فـــلا حُـــدِيَت بكـــمْ أبـــداً ركـــابٌ ولا رُفعـــتْ لكـــمْ أبـــداً ســـياطا

---

(١) الديوان:٢/٢٤٦

(٢) الديوان:٢/٧٣

ولا رفـــع الزّمـــانُ لكـــم أديمـــاً وَلا اِزدَدتـــمْ بـــه إلّا اِنحِطاطـــا

وَلا عَرفـــت رؤوسُـــكُمُ اِرتفاعـــاً ولا أَلِفَـــتْ قلـــوبُكُمُ اِغتباطـــا

وَلا غفـــرَ الإلـــهُ لكـــمْ ذنوبـــاً ولا جُـــزتمْ هنـــالِكمُ الصِّـــراطا

وفي نص آخر يصف الحسناوات في منى وكيف رمينه بالحب قبل رمي الجمرات، وكن يغويننا وهنّ يسحبنَ ثيابهن أمامنا، وقد امتنعنَ عن لبس الأقراط لأنهن جميلات من دون هذه الأقراط، وان لبسنها فان الأقراط تتزين بهن:(من الكامل)[1]

يســـحبنَ أذيـــالَ الشّـــفوفِ غوانيـــاً بالحُســـنِ عـــن حَسَـــنٍ بكـــلِّ شُـــفوفِ

وعـــدلْنَ عـــن لـــبس الشُّـــنوفِ وإنّمـــا هـــنّ الشّـــنوفُ محاســـناً لشـــنوفِ

وتعجّبـــتْ للشّـــيب وهـــي جنايـــةٌ لـــدلالِ غانيـــةٍ وصـــدِّ صَـــدوفِ

وأناطـــت الحســـناءُ بِـــي تَبعاتِـــهِ فكأَنّمـــا تفويفُـــهُ تفـــويفي

لا تُنكِريـــه فهـــو أبعـــدُ لُبْســـةً مـــن قـــذفِ قاذفـــةٍ وقَـــرْفِ قَـــروفِ

فتراه يكرر كلمة(الشفوف) مرتين في البيت الأول و(الشنوف) ثلاث مرات في البيت الثاني، وانظر إلى (صدّ – صدوف) و(تفويفه– تفويفه) و(قذف–قاذفة) و(قرف– قروف)، فيها يؤكد صدها عن شيبه الذي خالط سواد شعره والذي لايتناسب مع الحسناوات وجمالهنّ ٠

وفي رثاء صديقه السمسميّ ويذكر مناقبه :(من الكامل)[2]

حتّـــى ألـــفَّ مثلّمـــاً بمـــثلَّمٍ ومـــن الوشـــيج مـــدقّقاً بمـــدقَّقِ

فـــي غُلْمَـــةٍ متسـرّعين إلـــى الـــرّدى متهجّمـــين علـــى المقـــامِ الضـــيّقِ

مُتـــزاحمين فَمنْسِـــرٌ فـــي مَنْسِـــرٍ أو فَيْلَـــقٍ بضـــرابه فـــي فيلـــق

---

(١) الديوان:١/١٣٨

(٢) الديوان:١/٢٠٨

المرتضى يتمنى ان يدفع عنه المنية بكل مايستطيع، ولو كلفه ذلك ان يدفع السيف بالسيف والرمح بالرمح ، في فتية أبطال يتزاحمون على المنية في جماعات قليلة مرة وفي جيش كثير مرة أخرى، كل هذا ليعطي للفقيد مكانته التي يستحقها، كونه كان فارس هيجاء ، فاستعمل المرتضى تلك المفردات التي تناسب الأجواء التي كان يخوضها ذاك المرثيّ٠

والمرتضى في قصائد الرثاء يعنى بالتكرار كثيرا ، ومن ذلك مانراه في رثاء والده وفي رثاء بهاء الدولة وفي رثاء أبي إسحاق، إذ يكرر أسماء الاستفهام (من) سبع عشر مرة و(كيف) خمس مرات في رثاء الملك بهاء الدولة، وهو يصف ماحلّ به من هول الفاجعة التي ألمّت به حين سمع نعي الملك، ومنها: (من البسيط)[١]

أَقـــول والرّبـــعُ مغبـــرٌّ جوانبُـــهُ مَـنْ بـدّل المنـزل المـأهولَ بالخـالي؟

مَـنْ أخـرجَ اللّيـثَ مِـن ذاكَ العـرين؟ ومَـن حـطّ المحلِّـقَ فـي العليـاءِ مِـن عـالِ؟

مَـنْ زعـزعَ الجبـلَ العـاديّ منبتـه؟ ومَـن طـوى ذلـك الجـوّال فـي جـالِ؟

مَـنْ حـلَّ عُقْـلَ المنايـا فيـه ثـمّ رمـى قـوائمَ السّـابقِ الجـاري بعُقّـالِ؟

مَـنْ سـاجلَ الغيـثَ هطّـالاً بأَذْنِبَـةٍ؟ مَـنْ كايَـلَ البحـر مكيـالاً بمكيـالِ؟

ويبقى اسم الاستفهام(مَن) حاضرا معبرا عن مدى فقدانه لتلك الشخصية التي طالما كانت معطاءة، شجاعة، مقدامة ٠٠٠ وهو يرثي الأمير أبا شجاع بن أبي الفوارس:(من الكامل)[٢]

مَـنْ للـذّمارِ إذا الفحـولُ تهـادَرَتْ وخلطـنَ بـين تخـبّطٍ وصِـيالِ؟

مَـنْ للوفـود تصـامتوا عـن حجّـةٍ؟ مَـنْ للخصـومِ تفـارغوا لجـدالِ؟

مَـنْ للضّـريك إذا غـدا فـي أزْمَـةٍ صِـفْرَ اليـدين وراح بـالأموالِ؟

مَـنْ للجيـوش يقودهـا فيُعيـدها محفوفـةً بالسَّـبْيِ والأنفـالِ؟

---

(١) الديوان:٢/٣٣٢

(٢) الديوان:٢/٣١٧

مَـــنْ للخيـــولِ يُثيرهـــا مِقْـــوَرَّةً مثـلَ الـدَّبى هاجَتْـهُ ريـحُ شـمالِ؟

وفـي رثـاء والـده يكـرر(مَن) سـبع مـرات[١] ، وفـي مـدح جـلال الدولـة يتكـرر سـت مـرات،[٢] وفـي رثـاء أبـي إسـحاق الصـابي يتكـرر مـرتين مقترنـا بـ(ذا)، مـع تكـرار (لـئن) أربـع مـرات[٣]، وفـي رثـاء شـقيقه الرضـي أربـع مـرات [٤] ، كـل ذلـك فـي حسـرة وتفجـعٍ لمـا فقـده مـن محاسـنَ وخِـلال مـن رثـاهم، أمّـا مـن مـدحهم فهـو يضـفي علـيهم أبهـى صـور البطولـة والكـرم والايثار ٠

وعنـدما يتـذكر آبـاءه ومنـاقبهم وأحبتـه الـذين فقـدهم ،يكـرر الضـمير(هم) كثيـرا فـي غيـر مكان من الديوان، ومن ذلك:(من الطويل)[٥]

لـــنحنُ السَّـــلَفُ الأعلـــى الّـــذي تعهدونَـــهُ علقنـــا بـــهِ مـــن وارثٍ بعـــد وارثِ

هُـمُ أوسـعوا فـي النّـاسِ ضـمنَ أكفّهـمْ وَهـمْ أَوسـعوا فـي الأزْمِ جـوعَ المغـارثِ

وهُـــمْ ورّثـــوا آبـــاءهمْ مـــأثرَاتِهمْ وأنـــتمْ مـــن العليـــاء غيـــرُ مَـــوارِثِ

وهـــمْ نزّهـــوا أولادَهـــمْ بـــأواخِرٍ وشِـــنْتُمْ قـــديماً كـــان مـــنكمْ بحـــادِثِ

ولفقـد أحبتـه حسـرة باقيـة إلـى أخريـات عمـره، فمـا زال يـذكرهم إذ لابـديل لهـم فـي قلبـه من بعد فقدهم : (من الطويل) [٦]

هُـمُ أخرجـوا مِـن ضـيقِ سـخطٍ إلـى رضـىً وهـــمْ أبـــدلوا قلبـــي اليقـــين مـــن الشـــكِّ

وهـــــمْ نزّهـــــوني أنْ أذِلَّ لمطمـــــعٍ وهـــمْ حقنـــوا لِـــي مـــاءَ وجهـــي مـــن السَّـــفْكِ

وهـــمْ ملّكـــونِي بعـــدما كنـــتُ ثاويـــاً مَـدى الـدّهرِ وَاِسـتعلَوْا بنجمِـي علـى الفُلـكِ

---

(١) الديوان:١/٣٤٦

(٢) الديوان:٢/٣٧٣

(٣) الديوان:٢/٢١١

(٤) الديوان:١/٥٧٦

(٥) الديوان:١/٣٠٣

(٦) الديوان:٢/٢٣٦

وكنـــــتُ وكـــــانوا إلْفَـــــةً وتجـــــاوراً مكـــان سُـــرودِ العِقْـــدِ مـــن مســـلك السِّـــلْكِ

مضـــوا لا بـــديلٌ لِـــي ولا عـــوضٌ بهـــمْ فهـــا أنـــا ذا دهـــري علـــى فقـــدهمْ أبكـــي

وكمـا يكـرر الكلمـات فتـراه يكـرر أصـوات الحـروف بشـكل متـرابط ومتـوائم مـع الأغـراض التـي ينشـدها، متوخيـا فـي ذلـك تقاربهـا وانسـجامها مـع النغمـة الداخليـة فـي جـو الـنص الشـعري، كـي لاتكـون نـافرة ، ومـن ذلـك تكـرار صـوت (السـين والصـاد) وهـي مـن الأصوات المهموسة الرخوة [١] في قوله:(من الطويل)[٢]

فَلَـــم يَســـمعوا إلّا صـــهيلَ صَـــواهلٍ وإلّا لصـــكاّتِ الحديـــدِ صـــليلا

ويكرر صوت القاف في رثاء الصّابي (٧) مرات في بيت واحد، بما له من وقع يثير مشاعر الحزن على الفقيد كونه من الأصوات المهموسة [٣]،(من الكامل) [٤]

وقَـــذِيتُ فـــي قلبـــي بفقـــدك والقـــذى فـــي القلـــبِ يُنســـينا قَـــذاةَ المـــاقِ

ونلاحظه هنا يجعل القذى في القلب لا في العين لشدة ما المّ به من ألمٍ على فراق صديقه

وفي موقف التوديع يبرز صوت الجيم بجرسه الجهري ليعلن أن العين جفّ ماؤها ولكن الأخرى مازال يتحدر منها الماء حزنا وكمدا على الفراق: (من الطويل)[٥]

وقفنـــا فجَفـــنٌ مـــاؤُهُ متحـــدّرٌ وجَفْـــنٌ جفـــاهُ المـــاءُ فهـــوَ جَهـــامُ

فتراه قابل مابين حال الجفنين في الشطرين، الأول يذرف الدمع والثاني قد جفّ ، ساعد صوت الجيم على إضفاء تلك النبرة التي رافقتها الفاء بخفتها التي وردت خمس مرات في البيت، والتي منحت النغم الموسيقي الذي يتناسب مع عاطفة الحزن التي خيّمت على نفس الشاعر ٠

---

(١) الأصوات اللغوية: د.إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٥، ١٩٧٥م، ٢٥

(٢) الديوان:٢/٢٩٦

(٣) المدخل إلى علم أصوات العربية:د. غانم قدوري الحمد، دار عمار، الأردن، ط١، ٢٠٠٤، ١٠٢

(٤) الديوان:٢/٢٠٩

(٥) الديوان:٢/٤٣٠

وفي وصف البرق يرد صوت الضاد المجهور الذي يحمل في طياته شدة تناسب هول المنظر الذي يصفه الشاعر وهو يكرره :(من مجزوء الرجز) [١]

ضَـــــــرّمَ قَلبـــــــي فاِضـــــــطرمْ فـــــــي أُفقِـــــــه ذاك الضَّـــــــرَمْ

الطباق:

ويعني الجمع بين المتضادين، أي معنيين متقابلين في الجملة،أو" هو الجمع في العبارة الواحدة بين معنيين متقابلين على سبيل الحقيقة، أو على سبيل المجاز ولو إيهاما، ولايشترط كون اللفظين الدّالين عليهما من نوع واحد كاسمين أو فعلين، فالشرط التقابل في المعنيين فقط" [٢]،وقريب منه قول العسكري " قد أجمع الناس أنّ المطابقة في الكلام هي الجمع بين الشيء وضدّه في جزء من أجزاء الرّسالة أوالخطبة أو البيت من بيوت القصيدة، مثل الجمع بين البياض والسواد، واللّيل والنهار، والحرّ والبرد.وخالفهم قدامة بن جعفر الكاتب، فقال: المطابقة إيرادُ لفظتين متشابهتين في البناء والصيغة مختلفتينفي المعنى " [٣]

وقد كثر الطباق في شعر المرتضى بشكل لافت للنظر، فهو كثيرا مايأتي بالشيء وضده أوما يكون قريبا من الضد، وفي أغلب الأغراض وبخاصة المديح والفخر، ومن الشواهد على الطباق قوله وهو نادم على ما فعله من مدح بعض العباسيين الذين يراهم لايستحقون ذلك فيما بعد :(من الطويل) [٤]

سُـــرِرْتُ بـــه حينـــاً فلمّـــا بلوتُـــهُ بكيـــتُ عليـــه بالـــدّموعِ الـــذّوارفِ

قابل الشاعر بين السرور والبكاء وهو شعور معبر عن مدى الحزن العميق الذي عاناه ، فسروره كان قليلا بالقياس إلى البكاء بالدموع الغزيرة التي جاءت بعد ذلك.

---

(١) الديوان:٢/٤٩٧

(٢)البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونه: ٢/ ٣٧٧

(٣) الصناعتين: ٢٧٦

(٤) الديوان:٢/١٤٣

ويرثي شرف الدولة بن بهاء الدولة، وفي نهاية القصيدة يقول:(من الطويل)[١]

فـــإنْ ضـــاقت الأرضُ الفضـــا بعـــد فقـــده فقـــد وســـعته تربـــةٌ لا تضـــيقُهُ

فجـــاء بالفعل(ضـــاق) وقابلـــه بالفعـــل (وســـع) فـــي صـــورة رائعـــة تبـــيّن مكانـــة المرثـــي الـــذي إن ضـــاقت عليـــه الأرض علـــى رحبهـــا، فـــانّ لـــه بقعـــةٌ لـــن تكـــون ضـــيقة عليه ٠

ويهنيء فخر المُلك ويذكر مجموعة من صفاته :(من الطويل)[٢]

وَقـــورٌ وأحـــلامُ الأنـــامِ طـــوائشٌ وَيبـــدِي اِبتِســـاماً والوجـــوه كـــوالحُ

فطابق بين (وقور و طوائش) و(ابتساما و كوالح)، وفي رثاء أحد أصدقائه الذين عزّ عليه فراقهم:(الطويل) [٣]

فـــإنْ عقمـــتْ فيـــه ليـــالٍ قصـــيرةٌ فقـــد أنجبـــت فيـــه بطـــونُ الحوامـــلِ

نراه قد طابق مابين العقم والإنجاب ، وهو يشير إلى طيب أحاديث المرثيّ الذي ذهبت بطيبها مع رحيله، لكن البطون التي أنجبتها باقية تحمل ذاك العبق ٠

وله قطعة في الغزل كلها تحوي الطباق ومنها:(من مجزوء الرمل) [٤]

هُـــوَ جِـــدُّ جـــرّه مَـــعْ قَـــدَرِ اللَّـــهِ المـــزاحُ

وظـــلامٌ مـــا لساريـــ هِ مـــدى الـــدّهر صـــباحُ

هـــو سُـــكرٌ مثلمـــا دَب بـــتْ بأعضـــائك راحُ

وَسَـــقامٌ مـــا بـــهِ بُـــرْ ءٌ ولا فيـــه صَـــلاحُ

---

(١) الديوان:١٧٣/٢

(٢) الديوان:٣٢٥/١

(٣) الديوان:٣٨٢/٢

(٤) الديوان:٣٣٣/١

تلمح الكلمات(جدّ- المزاح، ظلام- صباح، سقام- برء و صلاح) كلها لتؤدي مكامن النفس التي تبوح بآلام العشق الذي هو مرض لكن لا إثم فيه٠

ويطابق في مكان آخر بين(القذى والصفو)، و(الحنادس وهو الظلام الشديد وصباحي)، في قصيدته التي يرد بها معنى جرير (تقول العاذلات علاك شيب ٠٠٠٠): (من الوافر)[١]

فكـــان علـــى قَـــذى الأيّـــامِ صـــفوِي وكـــان علـــى حَنادِســـها صـــباحِي

وفي الشيب كثيرا ما يقارن بين لون البياض والسواد، حتى عدّ بياض شيبه سوادا لأنه يؤلمه أن يرى هذا المنظر، وحسبه كالسقم :(من الطويل)[٢]

بياضُـــك يـــا لـــونَ المشـــيبِ ســـوادُ وَسُـــقمُك ســـقمٌ لا يكـــادُ يُعـــادُ

فلِـــي مـــن قلـــوبِ الغانيـــاتِ ملالـــةٌ ولـــي مـــن صـــلاحِ الغانيـــاتِ فســـادُ

في البيت الأول جاء بكلمة (بياض) مع مايضاده(سواد)، وفي البيت الثاني طابق مابين كلمتي (صلاح) و(فساد)٠

وقوله: (من المجتث) [٣]

تَـــــدنو وَتَنـــــأى وَتَبـــــدو طَـــــوراً هنـــــاكَ وَتَخبـــــو

وَكَيـــــفَ يلتَـــــذُّ سِـــــلمٌ يَثْلـــــو أُخيـــــراه حـــــربُ

(تدنو- تنأى)،(تبدو- تخبو)،(سلم- حرب) هذه الكلمات في وصف من طلب الرياسة وكيف أنها متقلبة ، لا أمان لها٠

وقد كثرت المطابقة في شعره وامتزجت أحيانا بالمقابلة التي هي مجموعة من الطباقات المتعددة التي تتوالى فيها المتضادات ، من اجل أن يعطي للنص جوا متماسكا يحكمه التناغم الموسيقي في شطري البيت٠، حتى ان بعض قصائده كلها عبارة عن طباقات [١] ٠

---

(١) الديوان:١/٣٤٦

(٢) الديوان:١/٣٧١

(٣) الديوان: ١/١٧٥

الجناس:

فن من فنون البديع المهمة التي تبنى عليها الموسيقى الداخلية، "وهو تشابه اللفظين في النطق واختلافهما في المعنى، وسبب هذه التسمية راجع إلى أن حروف ألفاظه يكون تركيبها من جنس واحد "[٢]، وهو من الفنون البديعة التي تعتمد التأسيس،" ويشترط فيه أن لايكون متكلَّفا، ولامستكرَهاً استكراهاً، وأن يكون مستعذبا عند ذوي الحسِّ الأدبي المرهف، وقد نفر من تصنّعه وتكلّفه كبارُ الأدباء والنقاد" [٣]، وذكره صاحب الصناعتين " التجنيس أن يورد المتكلم كلمتين تجانس كلّ واحدةٍ منهما صاحبتها في تأليف حروفها على حسب ماألّف الأصمعي كتاب الأجناس. فمنه ما تكون الكلمة تجانس الأخرى لفظا واشتقاق معنى..." [٤]

وقد ورد الجناس في شعر المرتضى كثيرا أيضا، من ذلك وهو يمدح أباه:(المتقارب)[٥]

وَأَخـــرَسَ بِالمجـــدِ قَـــولَ العُـــداة وَأَنطـــقَ خُـــرسَ اللَّهـــا باللُّهـــا

جانس الشاعر بين لفظتي (اللَّها- اللُّها) فالأولى هي لحمة في الحلق تطلق على اللسان والثانية بمعنى المال المعطى، وهذا الانسجام والتناغم الموسيقي من أجل بيان قيمة المعنى المراد وقد عزّز ذلك بالمطابقة مابين (أخرس- أنطق) فالمجد أخرس الأعداء، والكرم أنطق الألسنة الخرساء.

وقوله: (من الطويل)[٦]

أَلا بَكِّهـــا أُمَّ الأســـى والمَصـــائبِ بِـــدَمعك سَـــحّاً بـــينَ ســـارٍ وســـاربِ

هذه العين التي هي أم الأسى يدعو نفسه أن يجعلها تبكي بدمع مسفوح على الفقيد نقيب العباسيين الزينبي، وجاء بكلمة (سار و سارب) وهما يفيدان جناسا ناقصا لزيادة الباء في سارب،

---

(١) الديوان:١/٢٧٣-٢٧٤

(٢) مدخل إلى البلاغة العربية: ٢٧٦

(٣) البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونه: ٢/ ٤٨٥

(٤)الصناعتين: ٢٨٩

(٥) الديوان: ١/١٥٤

(٦) الديوان:١/٢٣٨

وقد أحسن الشاعر في استعماله حرف السين هنا لكي يكون متوائما مع حالة الحزن والانكسار التي طغت عليه وهو يفقد عزيزا عليه٠

ومن نصٍّ يفتخر به يرد الجناس عنده بكثرة ومن ذلك:(من السريع)[١]

كـــم نعمـــةٍ آلـــتْ إلـــى نِقمَـــةٍ وفَرْحَـــةٍ حالـــت إلـــى تَرْحـــةِ

إنْ كـــانَ زادَ الـــدّهر فـــي فِطنَتِـــي فَبالّـــذي أنقـــصَ مـــن فِطْرَتـــي

الكلمات(نعمة– نقمة) و(فرحة– ترحة) فيها جناس ناقص وكذلك طباق بين النعمة والنقمة والفرحة والترحة ، فيكون المرتضى قد جانس وطابق في البيت الأول، أما البيت الثاني، فقد جانس مابين (فطنتي – فطرتي)، وطابق أيضا بين (زاد ونقص)٠

وفي مدح والده:(من المتقارب)[٢]

عَلـــى ســـابِحٍ فـــي بِحـــارِ المنـــونِ كفيـــلٍ بِـــوَطء الشَّـــوى بالشَّـــوى

يحاول ان يجعل المعنى أكثر استجابة لمطالب النفس والتسليم به من خلال عقد تلك الصورة المتجانسة مابين الشّوى الأولى بمعنى (جلدة الرأس) والشوى الثانية (قوائم الفرس)، فهو يطأ بحوافر فرسه السريع أعالي رؤوس أعدائه، وتلك كناية عن قوة فرسه وسرعته وبطولة صاحبه وجرأته٠

وقوله وهو يحنُّ إلى خلٍّ يبثُّ به أحزانه وآلامه فلا يجد ذاك:(من البسيط)[٣]

مِـن أَيـنَ لِـي فـي جميـع النّـاس كلّهِـمُ حلـوُ الشّـمائل مـنهم طيّـبُ الخَبَـرِ

أبثُّـــهُ عُجَـــرِي حتّـــى يكـــون لهـــا كفيلَهـــا وأُقضِّـــي عنـــده بُجَـــرِي

عُجَرِي وبُجَرِي تعنيان العيوب والأحزان أو ماخفي وما بدا من العيوب والأحزان ، فتجد الفرق في حرف واحد مابين الكلمتين، وهما يذكران بشكل مترادف كثيرا في الشعر العربي[١] ٠

---

(١) الديوان:٢٨٦/١

(٢) الديوان:١٥٢/١

(٣) الديوان:٥٢٧/١

ومهما يكن فانّ الجناسَ التام أو غيره هو نوع من أنواع التكرار الذي يزيد النغم قوة في تشابه الألفاظ وتقاربها

وهناك أمثلة كثيرة لأنواع الجناس في الديوان لم نتطرق إليها تجنبا للإطالة في البحث.

التصدير:

أو رد العجز على الصدر، وهو " أن يرد أعجاز الكلام على صدوره، فيدل بعضه على بعض، ويسهل استخراج قوافي الشعر إذا كان كذلك وتقتضيها الصنعة، ويكسب البيت الذي يكون فيه أبّهة، ويكسوه رونقا وديباجة ويزيده مائية وطلاوة"[٢] وفي الصناعتين:"فأول ما ينبغي أن تعلمه أنك إذا قدمت ألفاظاً تقتضي جوابا فالمرضيُّ أن تأتي بتلك الألفاظ بالجواب، ولا تنتقل عنها إلى غيرها مما هو في معناها"[٣]

وهو أن يكون احد اللفظين في آخر البيت، والآخر في صدر المصراع الأول، أو حشوه، أو آخره أو صدر الثاني[٤]، فالتصدير يعني تكرار كلمات معينة في صدر البيت وعجزه مما يحصل منه نغم موسيقي عن طريق تكرار أصوات تلك الكلمات، والسبب في لجوء الشعراء لهذا الفن كونه يزيد من تماسك البيت الشعري ويوحّد نغمته. وقد ورد هذا الفن البديعي في شعر المرتضى بشكل كبير، معتمدا في ذلك على ثقافته ومهارته اللغوية، ومن ذلك:(من الخفيف)[٥]

خادِعونـــا بـــالزُّور مـــنكم عـــن الحـــ قِ فمـــا زال ذو الهـــوى مخـــدوعا

وكِلونـــا إلـــى النُّـــزُوعِ عـــن الحـــ بِ وهيهـــات أنْ نريـــد النُّزوعـــا

ساعد التكرار في أعادة كلمة مخدوعا على خادعونا وكذلك النزوعا على كلمة النزوع ، ساعد في تقوية المعنى والتناغم الموسيقي بين المفردتين المشتقتين من جنس واحد.

---

(١) كقول الشريف الرضي: ألا صديقٌ في الزمان ماجدٌ أشكو إليه عُجري وبُجري (ديوانه/٤٧٦) طبعة الاوفسيت بطهران ١٤٠٦هـ

(٢) العمدة: ٣/٢

(٣) الصناعتين: ٣٥١

(٤)ينظر: البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها: ٥١٥، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: د. أحمد مطلوب، المجمع العلمي العراقي، بغداد، ط١، ١٩٨٦، ٢٢٨/٢،

(٥) الديوان:٦٤/٢

ومن قوله في الغزل:(من الكامل)[1]

عـــادَت إلـــيَّ بَغيضـــةٌ فَتَـــودَّدت هَيهـاتَ مَـن جَعـلَ البَغـيضَ حَبيبـا

عـــادَت إلـــيَّ فَخلـــت أَنّ شـــيبتِي خُلِســـتْ وَأَبـــدلها الزَّمـــان مشـــيبا

كرر الشاعر (عادت إليَّ) في البيتين، لأهمية الحدث ، فهي قد عادت إليه بعد أن ابغضها وكرهها، فكيف يكون البغيض حبيبا؟! ، وقد أعاد لفظة البغيض على بغيضة في الشطر الأول، وكذا في البيت الثاني أعاد لفظة المشيب على شيبتي، هذا الترديد ساهم في إضفاء الجو الموسيقي الداخلي ليدعم الغرض ٠

ومن مقطوعة في الغزل:(من الوافر)[2]

سَـقى اللَّـهُ الّتـي طَـردتْ وسـادي وكانـتْ لِـي معاصـمُها وسـادا

جعلـتُ وقـد خلعـتُ نِجـادَ سـيفي غـدائرَها لعـاتِقِيَ النّجـادا

فـإنْ يـكُ مُنْصُـلِي عَضْـباً حَديـداً فـإنَّ لحسـنها نُصُـلاًحِدادا

تبدو الصناعة اللفظية في الأبيات أعلاه وقد أشاعت جوا موسيقيا في الأشطر الستة من خلال تردد الكلمات في صدر وعجز كل البيت

ويصف أصحابه الذين ذهبوا في ساحات القتال :(من الكامل) [3]

وَمُعَصـفرٌ أَثوابَـهُ طعـن القَنـا مـا كـان يومـاً للّبـاس يُعَصـفرُ

وَمُقطّـرٌ لـولا القضـاءُ تقطّـرتْ فينـا النجـومُ ولـم يكـن يتقطّـرُ

ذاك الذي خالطت الدماء أثوابه ولم تك تصل إليه، لكن طعن الرماح صبغها بذلك، وآخر قد سقط من جواده ولم يك ليسقط قبل، فترى(معصفر ويعصفر)، (مقطّر- تقطّرت- يتقطّر)، كلها ساهمت في تقوية المعنى المراد وإثارة النوازع النفسية التي يريدها الشاعر ٠

---

(١) المديح:سامي الدهان، دار المعارف-مصر، ط٥، ١٩٩٢، ٥

(٢) الديوان:٣٩٣/١

(٣) الديوان:٤٦٦/١

التوازي:

أو التوازن أو الموازنة والمشاكلة، وهو عبارة " عن تماثل، أو تعادل المباني، أو المعاني: في سطور متطابقة الكلمات، أو العبارات القائمة على الازدواج الفنّي، وترتبط ببعضها، وهو اعم من التكرار؛ اذ يتطلب التكرار التماثل المعنوي في الحدات المتكررة، في حين تكون العلاقة في التوازي علاقة الاختلاف، أو التفاوت" [١]، فهو يخلق توازنا وتساوقا موسيقيا عندما يحدث في الصورة الصوتية للكلمات، حين يتوازن كل صوت مع مايقابله في الشطر الثاني[٢]

كما إن التوازن في النص الشعري " يحقق فوائد متعددة، فهو يرفد المعنى بالشحنات المؤثرة حين يراد منه تقوية المعنى، وتوكيده"[٣] ، وقد ورد هذا اللون من البديع كثيرا في شعر المرتضى كغيره من الألوان البديعية متكئا على خلفية ثرة من الكم اللغوي والمخيلة التي تربط مابين شقيّ الموازنة، ومن ذلك قوله: (من الطويل)[٤]

يَحُـزّ فـلا يـدرِي لمـن هـو جـارحٌ ويقـدح لا يـدرِي بمـا هـو قـادحُ

بِأنّـك عَـن سـاحاتِه الـدّاءَ طـاردٌ وَأَنّـك عَـن أكتـادِه الثِّقْـلَ طـارحُ

فَمـا أَنـا إلّا فـي رِياضـك راتـعٌ وَلا أَنـا إلّا مِـن زنـادكَ قـادحُ

وله في العتاب:(من الطويل)[٥]

فَمـا لِـي إلـى أَوطـانكم مـن مطـامِحٍ ومـا لِـي إلـى أعطـانكمْ مـن مَسـارِحِ

فقلبِـيَ عـنكمْ مُعـرضٌ غيـرُ مـائقٍ ودمعِـي علـيكمْ جامـدٌ غيـرُ سـافِحِ

ومن قصيدة في مدح جلال الدولة:(من الطويل) [٦]

---

(١) البديع والتوازي: د. عبد الواحد حسن الشيخ، مطبعة الإشعاع، مصر، ط١، ١٩٩٩، ١٨

(٢) ينظر:الرؤيا الإبداعية لدى الشريف المرتضى:٢٦٣

(٣) حركة الشعر العربي في مصر الفاطمية :د. محمد حسين المهداوي، دار الكتب، كربلاء، ط١،٢٠١٧، ٣٠٩

(٤) الديوان:١/٣٢٣

(٥) الديوان:١/٣٥٥

(٦) الديوان:١/٤٣٤-٤٣٥

أصــولُ بــه فعــلاً علــى كــلِّ فاعــلٍ وأزهــى بــه قــولاً علــى كــلّ منشــدِ

وَمــا كــانَ إلّا فــي رضــاك تشــمّرِي وَلا كــانَ إلّا فــي هــواك تجــرّدِي

وَمِــن أَبــيضٍ عنــدَ الضّــراب مــثلَّمٍ وَمِــن أَســمرٍ عنــدَ الطّعــان مقصّــدِ

نلاحظ التوازن الحاصل في البنية الصرفية والبنية التركيبية في الأبيات أعلاه ، بحيث كل شطر شكل وحدة بنائية ساهمت في الجانب الإيقاعي من خلال تكرير النغمة الموسيقية في كل كلمة تقابلها أختها في الشطر الآخر، فمثلا :

ومن أبيض = ومن أسمر، عند الضراب = عند الطعان، مثلّم = مقصّد

وكذلك:(من الطويل)[١]

وَكــلَّ صَــفيحٍ بِالضّــرابِ مُــثَلَّمٍ وكــلَّ وشــيجٍ بالطّعــان مكسَّــرِ

كل سيفٍ مثلمٍ من شدة الضراب والتصادم، وكل رمح مكسّر من كثرة الطعان، هاتان الصورتان يردان بعد أن يذكر الأسباب التي تجعله يكثر من الإنفاق ويفخر بآبائه الكرام وشجاعتهم، وبعد ذلك بأبيات يذكر صفاتهم ؛ فهم إما ملوك كرام أو أمراء مزينين بأبهى أنواع الحلي والأساور:

فَبــين كَــريم المفــرقينِ متــوَّجٍ وَبــينَ محلَّــى المِعْصَــمين مُسَــوَّرِ

وقريبا من هذه الصورة في الموازنة والمشابهة ، قوله في قصيدة يمدح الملك بهاء الدولة، ويذكر بطولات جنده: (من البسيط)[٢]

إنْ ظــاهَروا البــدرَ فــي ثــوبِ الــدّجى ظهــروا

أو ظــالموا اللّيــثَ فــي عِرِّيســهِ ظَلَمــوا

صورة الشطر الأول توازي الأصوات في الشطر الثاني، من حيث الشرط وجوابه والنغمة الموسيقية في التركيبة النحوية ٠

---

(١) الديوان:٥٣٦/١

(٢) الديوان:٤١١/٢

ومثل هذه الأبيات شواهد كثيرة في موازنة تنبيء عن قدرة عالية في التفنن باختيار الألفاظ التي تزيد من القيمة الإيقاعية المتناسقة في كل شطر ٠

الخاتمة:

بعد هذا التطواف في حياة وأدب الشريف المرتضى، نصل إلى خاتمةٍ لهذا الترحال، ونحاول هنا ان نستذكر أهم ما مرَّ من نقاط في البحث، عرضنا قسما منها في أثناء كل فصل ومبحث؛ ومن ذلك:

- ان الشريف الشريف المرتضى الشاعر لم ينل حظه من الدراسة والتركيز على شاعريته من خلال الدراسات التي درست عصره- العباسي- أو الفاطمي.
- الشريف المرتضى له ملكة نقدية جيدة، وقدرة على المحاججة والاستدلال بالشعر العربي القديم على آرائه، ولم تنل كتبه الأدبية ماتستحقه من الدراسة كي تُظهر لنا تلك الملكَة النقدية ولاسيّما أنه واجه الآمدي الذي يُعد من أكابر النقاد في حينه.
- أغلب الدراسات كانت منصبة على آثاره الكلامية كونه نقيب الطالبيين وعَلَمهم فدرسته فقيها، عالما، اماما، متكلما، محاججا، وربما غطّت شهرة أخيه الرضى الشاعر على شاعريته.
- كان لثقافته الدينية أثرٌ بارزٌ في شعره لا سيما اقتباساته الجميلة من القران الكريم، ورسم الصورة التي أرادها لمن مدحهم ورثاهم -أهل البيت عليهم السلام- تبعا لحفظه القران وتمسكه به، ولكن ذلك لم يضعف من لغته الشعرية بل زادها بهاء.
- برزت في ديوانه ظاهرة هامّة في الشعر العربي – تحتاج الى تسليط الأضواء عليها- وهي ظاهرة الشيب والشباب و طيف الخيال و- التي أخت حجما كبيرا من أشعاره – ووصف البرق.
- في شعره سلاسة وموسيقى ظاهرة فقد عُني بالعبارة ولاءم بين أجزاء الكلام، وبثّ في قصائده موسيقى داخلية أكسبتها تلوينا صوتيا خاصاً، من خلال أركانها والأساليب التي شاعت فيها مثل التكرار والاستفهام والتقديم والتأخير والتصريع وغيرها.
- وظّف البحور الطويلة مثل: الكامل والطويل والبسيط... أكثر من القصيرة، ليأخذ فسحته في التفصيل وسرد الأحداث وذكر مناقب الممدوح والمرثيّ، وحفاظا على هيكل القصيدة العربية.
- آثر القوافي المطلقة على المقيّدة في شعره، واختار ما سهلَ منها ولانَ والتي أغنت شعره ووسمته بالعفوية، مع استخدامه لألوان البديع كالجناس والطباق والتورية وغيرها التي أغنت صوره الشعرية وزيّنتها بإيقاع داخلي بهيّ.
- كان رثاؤه للامام الحسين يشكل ربع قصائد الرثاء في الديوان، وكان صادقا فيه وفي غيره ممن رثاهم الذين أكد على عمق علاقته بهم وذكر مناقبهم.

- ليس في مديحه غلوّ كبير ومبالغة، ولم يبتعد عن التعاليم الدينية، بحكم مكانته، لاسيّما في عصره الذي سادت فيه المبالغات في المدائح وتأليه الأشخاص، وكانت أبهى مدائحه في والده والوزير فخر المُلك وبعض المقربين.
- جاء الغزل عنده على شكل مقطوعات وليس قصائد، وفي أغلب قصائد المديح والفخر والقليل منه في الرثاء، وفيه كان عفيفا لم يخرج عن العرف والخلق النبيل.
- في الصورة الفنية كانت له طريقته البارزة في ذلك من خلال التشبيهات التي شغلت حيزا كبيرا في أشعاره، وبعضها لم يكن مقلدا فيه للأقدمين .

وقد مرّ في البحث نتائج ونقاط أخرى مهمة تستحق الوقوف عندها، يمكن للقارئ الكريم أن يلمحها.

ومن الله تعالى التوفيق

المصادر والمراجع

- القران الكريم

- الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر: د. عبد القادر القط، مكتبة الشباب، مصر، ط١، ١٩٨٨م٠
- اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلف: المقريزي، تحقيق د.محمد حلمي محمد أحمد، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٩٦م٠
- أدب الطف أو شعراء الحسين عليه السلام: جواد شبّر، دار المرتضى، بيروت، ط١، ١٩٨٨ م ٠
- أدب المحنة او شعراء المحسن بن علي : السيد محمد الحلو، قم المقدسة ، ايران ، ١٤١٨هـ
- أدب المرتضى من سيرته وآثاره: عبد الرزاق محي الدين، بغداد، ١٩٥٧م٠
- الأساليب الإنشائية في النحو العربي :عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة ، ط٥ ، ٢٠٠١م ٠
- الاستعارة في النقد الأدبي الحديث الأبعاد المعرفية والجمالية: د . يوسف أبو العدوس، الأهلية للنشر، الأردن، ط١، ١٩٩٧ م ٠
- الأسس الجمالية في النقد العربي – عرض وتفسير ومقارنة: د. عز الدين إسماعيل، دار الفكر العربي، القاهرة ط ١، ١٩٩٢م٠
- الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية، د. مجيد عبد الحميد ناجي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشروالتوزيع، بيروت، ط١، ١٩٨٤م.
- أسس النقد الأدبي عند العرب: د. أحمد أحمد بدوي، دار نهضة مصر، ط١، ١٩٩٦ م
- الأسلوب: أحمد الشايب ، مكتبة النهضة المصرية ،ط٨، ١٩٩١ م٠
- أسلوبية التركيب في شعر الشريف المرتضى: د. سمير عوض الله رفاعي، مكتبة الآداب، القاهرة ، ط١،٢٠١٠م٠
- الأصوات اللغوية: د.إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٥، ١٩٧٥م٠
- أصول النقد الأدبي : أحمد الشايب ، مطبعة النهضة المصرية ، ط١٠، ١٩٩٤ م٠

- الأعلام ، قاموس تراجم ، خير الدين الزركلي ، ط٦ ، المجلد الثالث ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٤ .
- أعيان الشيعة السيد محسن الأمين،حققه وأخرجه: حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، لبنان، ب٠ت٠
- أمالي المرتضى :الشريف المرتضى: تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم،دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٨ م٠
- أنباه الرواة على أنباه النحاة: جمال الدين القفطي، تحقيق:محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار الفكر العربي، القاهرة– مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط١، ١٩٨٦ م ٠
- أنوار الربيع في أنواع البديع: علي بن معصوم المدني، تحقيق: شاكر هادي شكر، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، ط١، ١٩٦٨م٠
- أوزان الشعر:مصطفى حركات، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ط١، ١٩٨٨ م ٠
- بحور الشعر العربي (عَروض الخليل): د. غازي يموت، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط٢، ١٩٩٢ م٠
- البداية والنهاية: ابن كثير ، تحقيق د. عبد الله التركي ،مطبعة هجر، مصر، ط١، ١٩٩٨م ٠
- بدائع البدائه: جمال الدين علي بن ظافر(٦١٣هـ) تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا،دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٧ م ٠
- البديع والتوازي: د. عبد الواحد حسن الشيخ، مطبعة الإشعاع، مصر، ط١، ١٩٩٩م٠
- البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها: عبد الرحمن الميداني، دار القلم– دمشق، دار الشامية– بيروت، ط١، ١٩٩٦ م ٠
- البلاغة والنقد :علي حسن هذيلي، مكتبة سفينة النجاة، العراق، ميسان، ط١، ٢٠٠٦ م٠
- بناء الصورة الفنية في البيان العربي – موازنة وتطبيق –، د. كامل حسين البصير، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ط ١، ١٩٨٧م.
- البناء العروضي للقصيدة العربية: د. محمد حماسة عبد اللطيف، دار الشروق، القاهرة، ط١، ١٩٩٩م ٠

- بناء القصيدة في النقد العربي القديم(في ضوء النقد الحديث): د. يوسف حسين بكّار، دار الأندلس ، بيروت، ط٢، ١٩٨٢ م ٠
- تاريخ آداب اللغة العربية: جرجي زيدان، دار الهلال، مصر، ب. ت٠
- تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الثاني :د. مرضيه آباد، طهران، ط٣، ١٣٩١ش، ٢٠١٢م ٠
- تاريخ الأدب العربي: عمر فرّوخ، دار العلم للملايين،بيروت، ط٥، ١٩٨٥ م ٠
- تذوق النص الأدبي : د.سامي يوسف أبو زيد ، دار المسرّة، الأردن، ط١، ٢٠١٢ م ٠
- جرس الألفاظ في البحث البلاغي والنقدي عند العرب : د. ماهر مهدي هلال ، دار الحرية للطباعة ، بغداد، ١٩٨٠م ٠
- الجملة العربية تأليفها وأقسامها: د. فاضل صالح السامرائي، دار الفكر العربي، الأردن، ط٢، ٢٠٠٧ م٠
- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: أحمد الهاشمي، منشورات اسماعيليان- قم، ط٤، ١٤٢٨ هـ ٠
- حركة الشعر العربي في مصر الفاطمية :د. محمد حسين المهداوي، دار الكتب، كربلاء، ط١، ٢٠١٧م٠
- دراسات بلاغية ونقدية: د. أحمد مطلوب، دار الحرية، وزارة الثقافة والإعلام، العراق، ط١، ١٩٨٠ م
- دراسة ونقد في مسائل بلاغية هامة: محمد فاضلي، جامعة فردوسي مشهد-إيران، ط٣، ١٣٨٨، هـ. ش ٠
- الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة، السيد علي خان الشيرازي(١١٣٠هـ)، مؤسسة الوفاء، بيروت، ط٢، ١٩٨٣م٠
- دلائل الإعجاز:عبد القاهر الجرجاني، تحقيق ، محمود محمد شاكر،الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ١/ ٢٠٠٠م
- دير الملاك ، دراسة نقدية للظواهر الفنية في الشعر العراقي المعاصر: د. محسن إطيمش، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ط٢، ١٩٨٦م.
- ديوان الشريف الرضي:منشورات مطبعة وزارة الإرشاد الإسلامي،إيران، ط١،١٤٠٦هـ٠
- ديوان الشريف المرتضى: تحقيق:رشيد الصفّار، دار البلاغة، بيروت، ط١، ١٩٩٨ م٠

- ديوان الشريف المرتضى:شرح د. محمد التونجي، دار الجيل ، بيروت، ط١، ١٩٩٧م٠
- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة : ابن بسام الشنتريني: تحقيق : إحسان عباس، الدار العربية للكتاب –ليبيا– تونس، ط١، ١٩٧٩م٠
- روضات الجنان، محمد باقر الخوانساري، المطبعة الحيدرية، طهران، ط١، ١٣٩٠هـ٠
- روضة الفصاحة: محمد بن بكر الرازي، تحقيق :خالد الجبر، دار وائل للنشر، ط١، ٢٠٠٥ م ٠
- الرؤيا الإبداعية لدى الشريف المرتضى : د.جاسم حسين الخالدي، دراسة موضوعية فنية، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط١، ٢٠١٤م٠
- السنن الكبرى :النسائي : أحمد بن شعيب (٣٠٣هـ) دار الكتب العلمية بيروت ، ط١، ١٩٩١ م٠
- سير أعلام النبلاء: الذهبي،تحقيق: شعيب الأرناؤوط، إبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة ،بيروت، ط١، ١٩٨٣ م٠
- الشافي في الإمامة: الشريف المرتضى: تحقيق: عبد الزهراء الحسيني الخطيب، مطبعة الصادق، طهران، ط٢، ٢٠٠٦م٠
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ابن العماد الحنبلي ، تح، عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط، دار كثير للطباعة ، دمشق–بيروت، ط١ ، ١٩٨٩ م ٠
- شرح المعلقات العشر وأخبار شعرائها: الشيخ:أحمد الأمين الشنقيطي،المكتبة العصرية، بيروت، ط٢٠٠٥م٠
- شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، تحقيق: محمد إبراهيم، دار الكتاب العربي، بغداد، ط١، ٢٠٠٧م٠
- الشريف المرتضى: حياته، ثقافته، أدبه ونقده، د.أحمد محمد المعتوق، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ٢٠٠٨م٠
- شعر الرثاء العربي واستنهاض العزائم: عبد الرشيد عبدالعزيز سالم، وكالة المطبوعات، عبد الله حرمي ،الكويت، ط١، ١٩٨٢م٠
- الشهاب في الشيب والشباب: الشريف المرتضى ، مطبعة الجوائب، الأستانة٠

- الصناعتين:الكتابة والشعر: أبو هلال العسكري، تحقيق: علي محمد البجاوي– محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ٢٠٠٦ م٠
- الصورة والبناء الشعري: د. محمد حسن عبد الله ، دار المعارف، مصر، ط١، ١٩٨١م٠
- الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي: د. جابر عصفور، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط٣، ١٩٩٢ م ٠
- الصورة الفنية في شعر المرتضى، دراسة نقدية: د. طاهرة عبد الخالق اللواتية، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ط١، ٢٠١٥م٠
- الطليعة من شعراء الشيعة: محمد السماوي، تحقيق: كامل سلمان الجبوري، دار المؤرخ العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١ م ٠
- طيف الخيال:الشريف المرتضى: تحقيق:محمد سيد كيلاني، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط١، ١٩٥٥م٠
- العبر في خبر من غبر،الحافظ الذهبي،(٧٤٨هـ)،تحقيق: ابوهاجر محمد زغلول، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط٢،١٩٨٥ م٠
- عضوية الموسيقى في النص الشعري : د. عبد الفتاح صالح نافع، مكتبة المنار، الأردن، ط ١٩٨٥،١م.
- عقائد الإمامية: محمد رضا المظفر، ط٢، ١٨٣٠ هـ.
- علم الأصوات: د . كمال بشر، دار غريب، القاهرة، ط١، ٢٠٠٠م
- علم البديع ، دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع: د. بسيوني عبد الفتاح فيّود، مؤسسة المختار للنشر، مصر، دار المعالم الثقافية للنشر، السعودية، ط٢، ١٩٩٨ م ٠
- علم اللغة : د. حاتم صالح الضامن ، وزارة التعليم العالي – العراق، ط١، ١٩٨٩م٠
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: ابن رشيق القيرواني(ت:٤٥٦هـ)،تحقيق:محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل ،بيروت،ط٥، ١٩٨١م ٠
- عيار الشعر: ابن طباطبا العلوي، تحقيق، عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط٢،٢٠٠٥ م ٠
- الغدير في الكتاب والسنة والأدب: العلاّمة الأميني، مؤسسة الأعلمي ، بيروت،ط١، ١٩٩٤م ٠

- الغزل في الشعر العربي: سراج الدين محمد، دار الراتب الجامعة، بيروت ، ب. ت٠
- الفخر في الشعر العربي: سراج الدين محمد، دار الراتب الجامعة، بيروت ، ب. ت٠
- فن البديع: د. عبد القادر حسين، دار الشروق، بيروت، ط١، ١٩٨٣ م ٠
- فن المديح وتطوره ، احمد أبو حاقه ، دار الشروق ، بيروت ، ١٩٦٢م.
- الفن ومذاهبه في الشعر العربي: شوقي ضيف، دار المعارف ، مصر، ط١١، ب٠ت٠
- في البلاغة العربية، علم المعاني،البيان، البديع: د. عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت، ط١، ب. ت ٠
- في التراث والشعر واللغة: د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٧م٠
- في النقد الأدبي القديم عند العرب : د. مصطفى عبد الرحمن إبراهيم ،مكة للطباعة، مصر، ط١، ١٩٩٨ م ٠
- في النقد الأدبي: د. شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط٩، ٢٠٠٤ م٠
- قراءة الصورة وصور القراءة: د. صلاح فضل، دار الشروق ،مصر، ط١، ١٩٩٧م٠
- قضايا النقد الأدبي: د. بدوي طبانه، دار المريخ، السعودية، ط١، ١٩٨٤ م٠
- الكشكول:الشيخ البهائي(١٠٣٠هـ)، تح، السيد محمد حسين المعلم،ب، ت٠
- الكنى والألقاب، الشيخ عباس القمي، مكتبة الصدر، طهران، ب.ت٠
- لسان العرب المحيط، ابن منظور، (ت ٧١١ هـ)، اعداد وتصنيف : يوسف خياط، دار لسان العرب، بيروت، (د. ت)٠
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ابن الأثير: تحقيق: د. أحمد الحوفي، د. بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطبع والنشر،ط٢، ١٩٧٣م ٠
- مدارس النقد الأدبي الحديث : د. محمد عبد المنعم خفاجي، الدار المصرية اللبنانية، ط١، ١٩٩٥ م ٠
- مدخل الى البلاغة العربية:د.يوسف أبو العدوس، دار المسيرة للنشر والتوزيع،الأردن،ط١، ٢٠٠٧
- المدخل إلى علم أصوات العربية:د. غانم قدوري الحمد، دار عمار، الأردن، ط١، ٢٠٠٤م٠
- المديح:سامي الدهان، دار المعارف- مصر، ط٥ ،١٩٩٢م ٠

- المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، د. عبد الله الطيب المجذوب، دار الفكر، بيروت، ط ٢، ١٩٧٠م٠
- مشاهير شعراء الشيعة، عبدالحسين الشبستري، مطبعة ستارة، قم، ط١، ١٤٢١هـ٠
- مطلع القصيدة العربية ودلالته النفسية: د. عبد الحليم حفني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،ط١، ١٩٨٧ م٠
- معجم الأدباء ياقوت الحموي ، تحيقيق، د.إحسان عباس، دار الغرب ، بيروت ، لبنان، ط١، ١٩٩٣ م٠
- معجم البلاغة العربية: د. بدوي طبانة، دار المنارة–جدة، دار الرفاعي– الرياض ، ط٣، ١٩٨٨ م ٠
- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: د. أحمد مطلوب، المجمع العلمي العراقي، بغداد، ط١، ١٩٨٦ م٠
- معجم النقد العربي القديم : د. أحمد مطلوب، دار الشؤون الثقافية، بغداد،ط١، ١٩٨٩ م ٠
- معجم تراجم الشعراء الكبير: د. يحيى مراد، دار الحديث ، القاهرة، ط١، ٢٠٠٦ م ٠
- مقدمة القصيدة العربية في الشعر الجاهلي:د. حسين عطوان،دار المعارف ، مصر، ١٩٧٠ م ٠
- مقدمة القصيدة العربية في العصر العباسي الأول:د. حسين عطوان،دار المعارف ، مصر، ط١، ١٩٧٤م ٠
- مناقب آل أبي طالب: ابن شهر آشوب، دار الأضواء، بيروت، ط٢، ١٩٩١ م ٠
- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم،ابن الجوزي(٥٩٧هـ)، تحقيق : محمد عبدالقادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١٩٩٢،١ ٠
- منهاج البلغاء وسراج الأدباء: حازم القرطاجني، تحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٣ ٠
- موسيقى الشعر العربي دراسة فنية وعروضية : د. حسني عبد الجليل يوسف ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط . ب،١٩٨٩م ٠
- موسيقى الشعر العربي: إبراهيم أنيس، مكتبة الانجلو المصرية، ط٤، ١٩٧٢م٠
- النقد الأدبي: أصوله ومناهجه: سيّد قطب، دار الشروق، القاهرة، ط٨، ٢٠٠٣ ٠
- النقد الأدبي:أحمد أمين، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ،ط١، ١٩٥٢م ٠

- النقد الثقافي،قراءة في الأنساق الثقافية العربية: عبد الله الغذامي، المركز الثقافي العربي ، المغرب، ط٣، ٢٠٠٥م ٠
- نقد الشعر: قدامة بن جعفر(٣٣٧هـ)، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية ،بيروت، ب، ت ٠
- نهاية الأرب في فنون الأدب: شهاب الدين النويري، تح: د.نجيب مصطفى فواز ود. حكمت كشلي فواز ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١، ٢٠٠٤ م ٠
- الوافي بالوفيات للصفدي (ت٧٦٤هـ)،تحقيق : أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١،٢٠٠٠م٠
- الوساطة بين المتنبي وخصومه: القاضي الجرجاني، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، المكتبة العصرية، بيروت، ط١،٢٠٠٦ ٠
- وشذرات الذهب في أخبار من ذهب، للعماد الحنبلي(١٠٨٩)، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، بيروت، ط١، ١٩٨٩م٠
- الوصف في الشعر العربي: عبد العظيم علي قناوي،مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط١/١٩٤٩م ٠
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، لابن خلكان(ت ٦٨١هـ)، تحقيق : د.إحسان عباس، دار صادر بيروت– لبنان، ط١، ١٩٧٨ ٠

المجلات والدوريات

- بنية القصيدة الرثائية في ديوان الشريف المرتضى، سميه حسنعليان، مجلة اللغة العربية وآدبها،جامعة الكوفة، كلية الاداب، مج١، عدد٢٧، ٢٠١٨ ٠
- بنية مراثي الإمام الحسين(ع) ومضامينها في ديوان الشريف المرتضى، د. محمد إسماعيل زاده، مجلة آفاق الحضارة الإسلامية العالمية، العدد ٢٣، السنة ١٢، ٢٠٠٩، طهران٠
- تأويل الشريف المرتضى للنص الشعري:محمد بن عبد الرحمن الهدلق، مجلة جذور، مج ١/عدد١٩٩٩،١ ٠
- التفرد الإبداعي عند الشريف المرتضى منهجا ورؤية، قراءة في كتاب طيف الخيال: نادية هناوي سعدون، مجلة اضاءات نقدية،السنة ١٦، العدد ٢٢،٢٠١٦ ٠

- ملامح الطيف في الشعر الجاهلي: مجلة مجمع اللغة العربية الأردني: د.حمدي منصور، د.أحمد زهير رحاحلة، العدد١،٧٦ يناير ٢٠٠٩ ٠
- وصف الشيب وبكاء الشباب في الشعر الجاهلي ، دراسة أدبية نقدية، مواهب أحمد علي محمد: مجلة جذور، جدة، العدد ٤٢، يناير ٢٠١٦ ٠

الرسائل الجامعية

- آراء الشريف المرتضى العقدية (عرض ونقد):محمد بن سعيدالغامدي،إشراف الدكتور:سعود العريفي، أطروحة دكتوراه، المملكة العربية السعودية، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، ١٤٣٤هـ ٠
- الخطاب النقدي عند الشريفين الرضي والمرتضى:سعد ناصر الحسني، رسالة ماجستير، بإشراف الدكتور: فاروق الحبوبي، جامعة واسط- كلية التربية، ٢٠٠٨ ٠
- الشريف المرتضى وأدبه: محمد إبراهيم عبد الرحمن المطرودي، جامعة الأزهر،كلية اللغة العربية، ١٩٧٩، رسالة ماجستير٠
- شعر أبي البقاء الرندي دراسة موضوعية- فنية : غسان حميد العزاوي، إشراف: الدكتورة أمل ناجي الدليمي جامعة بغداد، ٢٠٠٤ م ٠
- الصورة المجازية في شعر المتنبي، خليل رشيد فالح، رسالة دكتوراه، كلية الآداب – جامعة بغداد، ١٩٨٥م٠
- الغزل في شعر الشريف المرتضى: دراسة موضوعية وفنية، رسالة ماجستير، منيب عبد الرزاق، جامعة القاهرة ، كلية الآداب ، ١٩٨٧م٠
- فن الرثاء في الشعر في العصرين الفاطمي والأيوبي: خلود يحيى أحمد جرادة،الجامعة الأردنية، ٢٠٠١ ٠

A book Report Summary in Arabic
Higher Studies Directorate

Surname: AL- Ghazi
Name: Majd
Dr. the supervisor: Dr . Abbas TalibZadahShushtary
Dr. the assistant supervisor : Dr. Abbas Arab
College of Arts and humanitarian science , Arabic and Literature Department
Branch : The Literature
Section : Doctor of Philosophy
Date of the discussion: 30/4/2019
Number of pages: 186
Title of the Thesis: AL-Sharif AL-Murtada's Poetry Artistic and Objective Study

---

This thesis aims to focus the light on the personality of the poet , AL-Sharif AL-Murtada ,
And know him as a poet not as an Islamic jurist (Faqih) .
It studies his poetry themes in an objective study and an artistic study as well . It concentrate on the most important , creative and artistic sides in his poetry .
It analyzes and determines the strengths and weaknesses points .
This study is very necessary because of the lack of the studies that dealt with the poet and that covered his poetry with study and analysis .
The doctrine that was adopted was critical , analytic and sometimes stylistic .
The result of this study indicate :
The poet has a collection of poems but no one of those who wrote about Abbasid literature
(Era of the poet) wrote about it .

He is a creative poet never less than his brother, the poet AL-Sharif al-Radi .
He has a special style in the poems of praise, Elegy and proudness. He was unique in mentioning greyhair , imagination fancy , the light and other subject matters .
He had a critical , literal skill made him argue Amadi's opinions in the book "The balance" but unfortunately wasn't taken interest .

Guide words: AL-Sharif AL-Mrtada , The imagination fancy , AL-Murtada ,the critic .

Supervisor's signature

AL- Sharif AL- Murtada's Poetry
Artistic and Objective Study

Supervised by :

Dr. Abbas Talia Zadah Shshtary

Assistant Supervisor :

Dr. Abbas Arab

A thesis Submitted by the Student:

Majid Atiya Humaidy AL- Ghazi

To

Arabic Department in College of Art and Humanitarian Science

Ferdowsi University of Mashhad

For the Degree of Philosophy in Arabic Language and Literature

2019 AD 1440 AH